كتابي

الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية

١٢ قرشا



حلمي مراد

"الفتاة ذات الحلى"

لوحة للفنان محمود سعيد، الفائز بجائزة الدولة هذا العام

كتابي

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره: حلمي مراد

الكتاب التسعون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
من كل بلد قصة (مشاهدات وتعليقات ، للمحرر)	٧
سيمون بوليفار (قصـــة حياة وكفاح محرر أمريـكا اللاتينية) : للكاتبين « دانا » و « لى توماس » .	٣٥
الشمس تشرق .. كذلك ! : قصة طويلة تدور أحداثها فى اسبانيا ، للروائى الامريكى الكبير « ارنست هيمنجواى »	٦٧
ارنست هيمنجواى : قصـــة حياته ، وكفاحه الأدبى والانسانى ، بقلم « لويس اونترماير » . .	١٠٧
كردينال اسبانيا : المسرحية التى تترقبها باريس هذا الشهر ، للاديب الفرنسى المعـاصر **« هنرى دى مونترلان »**	١٣١
نســاء ومآس فى ســاحة العـدالة : عجـز الملك عن انقاذها ، للمؤرخ المحقق « روجيه ريجى » .	١٥١
قصــة حيــاة ، ووفاة .. فنــدق ! (أطرف وأهم الاحداث التى شهدها فندق (أدلون) ببرلين ، فى الفترة بين الحربين العالميتين : بقلم صـــاحبته السيدة « هيدا أدلون »	١٧٨
كتب جديدة ، من الغـرب والشرق (عرض لأحدث الكتب ـ أخبـار الحركة الادبية فى العـالم) : رسالة باريس ، للدكتور أنور لوقا ـ من الكتب العربية : نحو مدارس افضل	٢٠٧

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها تسعة وثمانون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد فى أول كل شهر .

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الآمينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها ثلاثة وخمسون كتابا (ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

• تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الاخرى والبلاد الاجنبية على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بأن سعرها فى مصر

ولمن شاء أن ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم .

• ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى . وللمشتركين فى البلاد الاخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل .



من كل بلد قصة !
الدنمرك - السويد - النرويج
المانيا - سويسرا
بلچيكا - هولندا
تركيا
اسبانيا
نافذة كتابي تطل على العالم
رأيت وسمعت لك
في أوربّا

من اسطنبول .. الى برلين

عزيزى القارىء ...

بقدر شوقى الى زيارة (اسطنبول) ، عاصمة التاريخ العريق والامبراطوريات القديمة ، كان شوقى الى زيارة (برلين) ، عاصمة الامبراطورية « النازية » ، بل عاصمة العالم الحديث فى السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية .. يوم كان هتلر يفزع اقطاب العالم بهجماته الخاطفة ، وخطبه النارية ، ويحرك جيوشه على خريطة القارات الخمس كما يحرك اللاعب قطع الشطرنج !

هبطت بى الطائرة فى مطار برلين الكبير (تمبلهوف) ، فكانت أول مفاجأة أثلجت صدرى ـ وغاظتنى فى الوقت نفسه ! ـ أن رأيت صورة ملكتنا الفاتنة « نفرتيتى » تحتل غلاف نشرة سياحية كبرى عن أشهر معالم برلين ، (بحكم اقامة تمثالها النصفى المشهور فى أحد متاحف العاصمة الألمانية منذ اغرم به هتلر عقب توليه الحكم !)

وكانت المفاجأة الثانية أننى خرجت من باب المطار لأجد نفسى فى قلب المدينة .. فى ميدان تتفرع منه شوارع مزدحمة بالعمارات والمبانى والسيارات والمارة .. الخ .. والعادة فى مطارات العالم كلها أن تكون فى الاطراف النائية من المدن .

ولم أشأ أن أضيع وقتا ، فتركت متاعى فى مكتب شركة الطيران وركبت أول سيارة سياحية كانت على وشك أن تنطلق فى جولة ببعض أحياء المدينة ..

ثم تبعت تلك الجولة جولات ، ذرعت فيها المدينة الضخمة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا .. بالسيارة ، والاوتوبيس ، وعلى قدمى .. فلم أترك صغيرة فيها ولا كبيرة لم أحاول أن ألم بها ، أو فى القليل أراها .. من شارعها الفسيح الأنيق ، (كورفورستندام) — الشبيه بشانزليزيه باريس ! — الى « جامعتها الحرة » العصرية الضخمة .. الى مسرحها المعروف باسم شاعر ألمانيا الكبير « شيللر » .. الى دار أوبرا البلدية .. الى بوابتها المشهورة (بوابة براندنبورجر) .. الى حلبة الاوليمبياد الهائلة .. الى برج الاذاعة الشاهق « فونكتورم » — ذى المطعم الشبيه بمطعم برج ايفل — الى قصر شارلوتنبورج .. الى المركز الثقافى الالمانى الفرنسى «ميزون دى فرانس» .. الى كنيستها الكبرى التى سلمت من الغارات الجوية ، بميدان (هوهينزولرن) .. الى متاحفها العديدة الغنية بكنوز الفن ، وفى مقدمتها متحف (داهليم) — حيث تقيم « نفرتيتى » — إلى حدائق النباتات والحيوان .. الى قصر الرياضة ، وميدان بوتسدام ، وشارع (اونتر دن ليندن) المشهور ، وقصر الرايخستاج ، وحدائق تيرجارتين (التى تضم أكثر من مليون شجرة !) ، والنصب التذكارى للزعيم « بسمارك » ، وكلية الموسيقى ، وقاعة الكونسرت ، ومسرح النهضة ، وأرض المعارض والمهرجانات ، و الـ (فالدبون) — وهو أكبر مدرج صيفى للمسرح والسينما فى أوربا ، ويتسع لخمسة وعشرين ألف متفرج ! — ثم شارع ستالين ، أكبر شوارع برلين الشرقية ، ومنه الى المقبرة التذكارية لضحايا معركة برلين الأخيرة (أبريل ١٩٤٥) .. الخ .. الخ .

ولكن ، قبل أن أحدثك عن هذه المعالم كلها ، بالتفصيل والصور ، أبدأ مشاهداتى فى برلين بأغرب قصة عدت بها من

رحلتى .. بقصة طلل بال من اطلال وخرائب برلين المتخلفة عن الحرب الأخيرة — (وقد يدهشك أن تعلم أن مساحات شاسعة من برلين ما تزال أطلالا حتى هذه الساعة ، رغم انقضاء خمسة عشر عاما على انتهاء الحرب . ولكن دهشتك تزول اذا علمت أن عدد المبانى التى دمرتها الحرب فى برلين بلغ ٣٤٢٠٠٠ مبنى !)

واليك قصة ذلك الطلل البالى : أثناء جولتى الأولى فى برلين ، على أثر وصولى اليها ، مررنا بمبنى ضخم متهدم أتى الحريق على أخشابه ونوافذه فلم تبق منه غير أحجار سوداء ، أشبه بجمجمة هيكل عظمى !.. فالتفت اليه الدليل فى حسرة وقال انه بقايا فندق (أدلون) العريق الذى كان — خلال ثلث قرن — أفخم فندق فى برلين ، وواحدا من أعظم فنادق العالم ! .. وقد « ولد » الفندق المذكور مع تتويج الامبراطور غليوم (عام ١٩٠٧) ، و « مات » فى عام ١٩٤٥ ، بعد أيام معدودة من احتلال الروس لبرلين ، حين راح طعما للنيران ! .. بعد أن شهد سقوط امبراطوريتين : امبراطورية غليوم ، و امبراطورية هتلر !

وخلال تلك الحقبة التى عاشها الفندق العالمى ، كان ملتقى للملوك والاباطرة ، وأصحاب الثراء والألقاب، وكواكب السينما ومهراجات الهند ، والعلماء وأهل الفن .. من كافة أقطار الأرض .

الى هنا والقصة عادية ، لا تستحق الذكر .. أما الطريف فى الأمر فهو المصادفة التى شاءت أن أمر — بعد مغادرتى برلين — بمدينة كوبنهاجن ، وفى قسم الكتب بمتجر (ماجازان) الكبير ، استوقف نظرى كتاب جديد يحمل هذا العنوان : (فندق أدلون : قصة حياة ووفاة فندق عظيم)

وتذكرت من فورى « جثة » ذلك الفندق ، التى شهدتها فى برلين قبل أيام . فابتعت الكتاب دون تردد ، وقد أعجبتنى فكرة تسجيل « سيرة » مثل ذلك الفندق المشهور فى كتاب ، **(وحبذا لو عكف كاتب من أدبائنا على كتابة سيرة فندق (شبرد) القديم** الذى شهد الكثير من الاحداث ، خلال قرن كامل أو يزيد ، واستضاف عددا من أشهر الشخصيات العالمية .. بل ودارت فى مخادعه وأبهائه آلاف القصص ، والمآسى ، وحوادث التجسس أثناء الحربين العالميتين !) .. والواقع أن الفندق – أى فندق – انما هو بمثابة عالم صغير ، يعكس صورة حافلة للعالم الكبير ، بكل نواحيه وبقاعه وأحداثه .. بل أن كثيرا من أسرار وخوافى الاحداث التى تجرى فى العالم الكبير قد تنبت أو تنتهى أو تنكشف حقائقها فى ذلك العالم الصغير .. الفندق !

واذا كنا قد اعتدنا أن نقرأ عن سير الاشخاص ، أو تاريخ الدول والبلدان ، فان هذا الكتاب يسوق لنا سيرة فندق ، أو شريطا لحياة فندق ، فان صفحاته تضم من الاحداث والقصص ما لا يجتمع فى شريط سينمائى واحد !

ومؤلفة الكتاب الذى نحن بصدده هى « هيدا آدلون » ، زوجة صاحب الفندق .. **وبحكم مكانتها هذه ، وصلتها بادارة الفندق ، أتيح لها أن تلم بكثير من الأسرار ، والطرائف ، والنوادر ، التى كانت تدور بين جدران الفندق ، فى مختلف مراحل « حياته »** .. وقد جمعت المؤلفة أهم وأطرف ذكرياتها عن الفندق فى هذا الكتاب الشائق ، الذى أقدم لك فى الصفحات التالية تلخيصا وافيا له ، قبل أن نبدأ – فى العدد القادم باذن الله – جولتنا التفصيلية فى برلين :

قصة حياة ، ووفاة .. فندق !

لم تهدمه الحرب .. وهدمه السلام !

• **تبنى** الحظ «فندق آدلون» منذ نبتت فكرته ، حتى انه ظل قائما بعد ان تحولت (برلين) الى خرائب وانقاض - فى الحرب العالمية الثانية - فلم يمس بغير اضرار تافهة ، من شظايا طائشة . غير ان الحظ تخلى عنه فجأة ، فاذا الفندق المكين ، الذى صمد لويلات الغارات الجوية العنيفة، يروح غذاء للحريق بعد توقف غارات الحلفاء بأيام قلائل - قد لا تزيد على ثلاثة - فلم تبق منه سوى انقاض تحف بها ذكريات لم يحظ بها أى فندق آخر فى العالم !

وأية ذكريات تنتظر لفندق احتضن فكرته منذ مولدها القيصر ولهيلم الثانى - أو غليوم ، كما اشتهر لدى قراء العربية - وكان يسميه «فندقى» ؟ ! .. بل لقد حرص على أن لا يسبقه أحد الى دخوله ، فزاره قبل أن يفتح ابوابه - فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٠٧ - وراح يطوف بكل أرجائه وقد بهره البذخ الذى تجلى فى تأثيثه وتجهيزه ، حتى أنه لم يكن يكف عن النظر الى كبير ياورانه - كلما وقع بصره على شىء أعجبه - ليقول له : « هل ترى ؟ ! .. هل تسمع ؟ ! .. أين ما فى قصرى من كل هذا ؟ »

وبعد يومين ، أقبل البرنس بولو - رئيس وزراء الرايخ - ليزور الفندق ، فلما عرف أن « آدلون » قد اختزن - فى قبو المبنى الفخم - مائتى زجاجة من كل نوع من أنواع

الخمر ، قال بين الفكاهة والجد :« **حذار أن يراها القيصر يا هر آدلون ، فلو انه عرف ان لديك ربع مليون زجاجة من الخمر ، لفكر فى أن من الواجب أن يمتلك هو مليونا ! »**

وكان أول الاحداث الهامة التى شهدها الفندق فى أيامه الاولى ، مأدبة اقامها ولى العهد لاخوته ، وفى ختامها قدم الى « آدلون » اذنا مصرفيا بثلاثمائة مارك ، فوقف « لورنز آدلون » — بعد انصراف القوم — يتأمل الاذن بنظرات شاردة ، ويسائل نفسه : كم من أمثال هذا الاذن يلزمه كى يغطى نفقات تأسيس الفندق ، التى بلغت عشرين مليونا من الماركات ؟ !

قصة طموح ونجاح

• **ولكن** .. كيف تسنى لهر « لورنز آدلون » أن ينشىء فندقا من أفخم فنادق العالم ، وقد كان ابن نجار متواضع فى مدينة (مينز) حيث ولد فى سنة ١٨٤٩ ؟ .. الواقع ان الحظ اختاره ، ووهبه من الذكاء والدأب ما مكنه من تحقيق رسالته . فقد تولى يوما تنظيم رحلة لمنتدى رياضى كان عضوا به ، فظفر بربح جعله يهوى هذه المهنة . وابتاع خيمة كان ينقلها الى اماكن الحفلات الرياضية . ثم اوحى له النجاح ان يقيم مطاعم فى خيام ، فى المهرجانات الكبرى بهولندا .

وسرعان ما قصرت الخيام عن طموحه ، فراح يدرس عادات الطبقة العليا من المجتمع ، واهواءها ونزواتها ، كما درس قوائم الطعام فى مختلف البلدان الاوربية ، وأصناف

الخمور الغالية .. واستطاع ان يفوز بامتيازات المطاعم الرئيسية فى المعارض الدولية .. ثم انتقل الى (برلين) فابتاع نصيبا من فندق « كونتيننتال » هناك ، كما اشترى مطعما مشهورا ، وجعله أفضل مطاعم المانيا بأسرها . فذاع صيته .

وكان « لورنز آدلون » يؤمن بأن (برلين) خليقة بأن تغدو أعظم العواصم السياحية . **واذ علم ان ولى عهد المانيا ــ الذى أصبح فيما بعد « القيصر ولهيلم الثانى » ــ يؤمن بالفكرة ذاتها ، راح يقول : « السوف أصبح مليونيرا اذا ماغدا الامير قيصرا »!** .. وأخذ يسعى للقاء الامير حتى سنحت له الفرصة خلال مأساة كانت فاتحة السعد له . اذ احترق فندق « كونتيننتال » ، وكان « آدلون » هو الوحيد من أصحابه الذى خف الى المكان .. وفيما هو يقف محسورا ، أقبل الامير ليشهد الحادث ، فسرعان ما نسى كلمات العزاء ، وهو يستمع الى « آدلون » يشرح ما ينبغى عمله .. كان يرجو أن يقيم فندقا يكون عنوانا للعاصمة الالمانية ، ويجتذب اليها اثرى وأشهر هواة الاسفار فى العالم !

وانصت الامير مأخوذا ، ثم قال : « يجب أن نبحث هذا الأمر معا ، فيما بعد ! » .

مناورات يفسدها القيصر !

• **ومرت** أعوام ، وأصبح ولى العهد قيصرا . وفى ذات يوم، تقرر بيع قصر قديم كان يقع فى رقم (١) بطريق (أونتر



ولى عهد المانيا القيصرية ، فى احدى زياراته للفندق ، وقد سار فى ركابه مؤسس الفندق « لورنز أدلون »

دن ليندن) ، فخطر لآدلون ان هذا خير موقع لفندقه المنشود . ولكن ازالة قصر تاريخى كنت تتطلب اذنا من القيصر نفسه . كما أن عملية البناء قدرت — فى بادىء الامر — بخمسة عشر مليونا من الماركات . وهو مبلغ كان — فى ذلك العهد — أضخم من أن تجازف المصارف بتقديمه قرضا لفرد واحد . فضلا عن ان « شركة فندق برلين » — التى كانت تملك أهم فنادق العاصمة — نهضت تحاربه .

ولكن « صاحب الجلالة » وقف يناصر أدلون ، فأجاز هدم القصر ، ودعا مديرى المصارف الى حفلة شاى ، ثم راح يحدثهم عن رغبته فى ان يجعل برلين عاصمة للعالم ،

وفى ان يعاونوه على ذلك .. **وأشار عرضا الى « آدلون » والفندق الذى كان يعتزم انشاءه ، فسارعت المصارف الى تقديم الاموال اللازمة لآدلون !** .. وأغراه هذا بالانفاق عن سعة فى البناء والتأثيث ، حتى بلغت النفقات فى النهاية عشرين مليونا من الماركات !

وحلت مواعيد تسديد القروض ولم يبدأ الفندق عمله ، فسارعت شركة فندق برلين الى شراء الديون ، وشددت قبضتها على « آدلون » ! ومرة اخرى خف الحظ والقيصر لنجدته . فقد استأذن رئيس مجلس ادارة الشركة القيصر فى التبرع لمعهد « القيصر ولهيلم » للبحوث العلمية .. وكان المألوف أن أصحاب التبرعات يطمعون فى ألقاب . فما كان من القيصر الا أن اوعز الى الصحف بنشر نبأ الاستئذان فى التبرع فقط .. **ولكنه لم يخطر الرجل بقبول الهبة ، بل أغفله حوالى اسبوعين ، ثم استدعاه ، فاستقبله بفتور ،**

وقال له : «أمن الصحيح ان بعض الناس يحاولون ان يعرقلوا مشروعاتى ؟ » . ثم انطلق يذكر كيف انه ظل أعواما يرجو أن يرفع من شأن برلين ، وكيف أنه كان يرجو أن يعاونه الهر كوبيل وأمثاله .. ثم اردف : **« ما أسوأ أن يعرف الرأى العام أن الهبة التى تعرضها لم تقبل ! »**

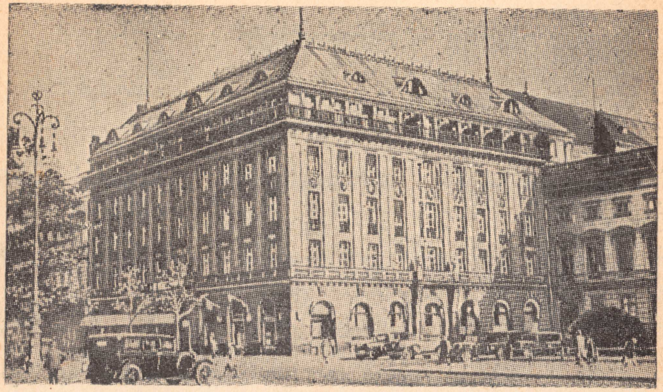
وغنى عن القول أن الرجل لم ينصرف حتى كان قد وعد القيصر بأن تجمد جميع ديون « فندق آدلون » ، وأن تسدد فى خمس عشرة سنة ، وبفوائد بسيطة !

القيصر يحجز جميع الغرف لضيوفه

• **ولقد** شهد « فندق آدلون » أبهى مراحل حياته ، فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الاولى بقليل .. وكانت أعظم المناسبات جميعا ، هى مناسبة زواج الابنة الوحيدة للقيصر ، بدوق برونزويك ولونبورج . فما ان أعلن تاريخ الزفاف – ٢٤ مايو ١٩١٣ – حتى انهالت البرقيات والمكالمات التليفونية على « فندق آدلون » ، ولكن جميع الحجرات تقريبا كانت قد حجزت لضيوف القيصر ، ولولا أن التقاليد الرسمية كانت توجب على كبار الملوك أن ينزلوا ضيوفا فى القصور الملكية ، لآثر الكثيرون منهم أن ينزلوا فى « فندق آدلون » .. فقد كانت وسائل الراحة والترف بين جدرانه، تفوق ما فى تلك القصور !

وكان نزول ضيوف القيصر فى الفندق سببا فى كثير من المتاعب لآدلون وأعوانه . فقد ظل رئيس الديوان القيصرى يعدل فى قوائم الضيوف ، وفى النظم والتدابير التى كانت تتخذ من أجلهم ، حتى أرهق كل العاملين فى الفندق .. وكان بين هؤلاء الضيوف ، أحد أخوة الامبراطورة الالمانية ، وهو دوق « شلزويج هولشتاين » ، وزوجته . وقد خصص لهما جناح فى الطابق الثالث ، ولكن رئيس الديوان لم يلبث أن أمر بأن يكونا فى الطابق الاول . **وكانت حجته فى ذلك أن قيصر روسيا كان يعتزم أن يزور الدوق ، وأن التقاليد الرسمية لم تكن تسمح بأن يستقل القيصر مصعدا كهربائيا !**

وكانت ثانية المضايقات ان اقبل البوليس السياسي يتفقد



فندق أدلون ـ أو « فندق القيصر » ، كما أطلقوا عليه ـ فى مستهل حياته الحافلة !

الفندق ، ويفتش كل شبر فيه ، ويبث أعوانه فى جوانبه . وما لبث أن وصل اثنان من رجال البوليس السرى الروسى، موفدين خصيصا للمحافظة على سلامة قيصرهما عند زيارته للفندق !

قتيل فى الفندق !

• **ووصل** دوق شلزويج هولشتاين وزوجته أخيرا . وكان يرتدى الزى العسكرى ، ولكنه لم يلبث أن هبط ـ بعد نصف ساعة من وصوله ـ بالزى المدنى ، فى بهو الفندق ، فاتصل تليفونيا بشخص ما ، ثم سار فى البهو حتى التقى بآدلون ، فقال له : « هل لكم فى أن تستدعوا لى سيارة ـ

أقصد « تاكسى » عاديا ـ فورا ؟.. ثم ، هل تتكرم باقراضى خمسمائة مارك ؟ »

وأجيب الى طلبيه ، فغاب ساعة ، ثم عاد وفى يده لفافة صغيرة !

وبعد ظهر ذلك اليوم ، وصل قيصر روسيا .. ولم تكن القيصرة ترافقه ، كما كان الجميع يتوقعون . وبوصوله ، اكتمل عقد الضيوف الملكيين .

وقبل الزفاف الملكى بيومين ، أقيمت حفلة راقصة كبرى فى فندق « آدلون » .. وحوالى الساعة الثالثة صباحا كان « لورنز آدلون » يقف فى البهو ، مستندا الى أحد الاعمدة ، يرقب القوم وقد انغمسوا فى المرح ، واذا بسيدين يقبلان من الخارج ، ويتقدمان نحوه .. وكان أحدهما رئيس البوليس السياسى فى برلين ، والآخر مساعده..وقال الاول لآدلون بعد أن اختلى ثلاثتهم فى مكتبه الخاص : « لقد نمى الينا من مصدر موثوق بهفى سويسرا، ان الفوضويين الروس هناك قد أعدوا محاولة لاغتيال القيصر الروسى ، وأن ثمة قنبلة قد دست بالفعل فى هذا المبنى ! »

وحملق فيهما « آدلون » مبهوتا ، وكأنه لم يفهم الكلام . فلما طال به الصمت ، قال له الرجل فى حدة : « يبدو أنك لا تتبين خطورة الموقف .. فاذا لم تكن العواقب السياسية تهمك فى شىء ، فخليق بك أن تدرك أن فندقك سيهدم اذا انفجرت القنبلة ! » .. وأصر رئيس البوليس السياسى على تفتيش الفندق فى تلك الساعة .. وبينما كان آدلون يجادله ليكسب بعض الوقت ، كى يتدبر الامر ، انفتح باب الفندق

فى عنف ، ودخل أحد السعاة دون استئذان ــ وهو ما لم يكن آدلون يغتفره قط ــ وقال :« هر آدلون .. هناك رجل ميت فى قاع بئر محطة توليد الكهرباء ! »

أمام جثة القتيل ..

• وقفز رجلا البوليس من مكانيهما . ولكن آدلون تمالك نفسه ، وقال للساعى : « لا ينبغى أن تستسلم للذعر اطلاقا يا ماكس ! » . ولكن رئيس البوليس السياسى جذب الساعى وانطلق به ــ يتبعهما مساعده ــ الى مكان الحادث . وفكر « آدلون » فى أن يستدعى مساعد مدير الفندق ــ وكان يدعى « يانسن » ــ لأن الامر من اختصاصه . بيد انه تذكر انه كان قد أمره بأن يلجأ الى فراشه ، اذ كانت اعصابه وشيكة الانهيار ، لفرط ما عاناه من ارهاق فى الايام الاخيرة .

وأسرع آدلون بنفسه الى مكان الحادث . وفيما كان يجتاز البهو ، اقترب منه مدير الفندق ، وهمس له بأن ولى العهد كان قد أقبل ــ فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ــ وقصد الى قاعة الرقص . فقال آدلون : « لا استطيع أن أرحب به الآن ، فان هناك ما يقلب جميع تدابيرنا رأسا على عقب . ابحث لفورك عن رجلى البوليس السرى الروسيين! » . وأجاب المدير بأن أحدهما قد اختفى ، وأن الآخر كان يبحث عن زميله المختفى !

وكان الميت الذى وجد مهشما فى قاع بئر محطة الكهرباء هو بعينه المخبر الروسى المختفى ، وقد بدا جليا أن شخصا ما قد ألقى به من احدى نوافذ الفندق ! .. وما ان وصل

زميله ، حتى أمر بتكتم الامر ، وعدم تدخل البوليس الالمانى .. وأصر على نقل الجثة الى السفارة الروسية فى بهيم الليل .. وكان من نتائج ذلك ، ان ضاعف رئيس البوليس السياسى عدد أعوانه فى الفندق !

قنبلة على مكتب مساعد المدير !

• **وذهب** «آدلون» ليرحب بولى العهد ، الذى كان باقيا فى قاعة الرقص . وكانت الحفلة مستمرة فى أوج مرحها .. وفجأة ، أقبل المدير ، فانحنى على أذن « آدلون » وذكر له أن « يانسن » فى حالة انهيار عصبى . واستأذن « آدلون » ولى العهد ، وأسرع الى مكتب « يانسن » فألفاه جالسا ، نامى اللحية ، مشعث الشعر ، مهدل الثياب ، محطم الاعصاب ، وأمامه علبة ملفوفة فى ورق مشمع ، تناولها عند دخول « آدلون » ، وهو مرتجف اليدين ، فبادره مخدومه : « لماذا لم تنم ؟ .. وما هذا ؟ »

وأجابه يانسن : « انها .. القنبلة ! » . فقال آدلون مأخوذا : « ومتى تنفجر ؟ » . فأجابه : « لن تنفجر ، فان جهاز التوقيت لم يثبت بها ! »

وظهر أن « يانسن » كان قد تورط فى الميسر ، وتراكمت عليه الديون ، فقبل أن يكون هو الذى يضع القنبلة حيث أرادها المتآمرون ، مقابل مبلغ كبير من المال .. وهكذا كان مساعد مدير الفندق ـ الذى أنيط به أمر التعاون مع البوليس لصون سلامة القيصر الروسى ـ هو مخلب المتآمرين !

وبعد دقائق ، كان « يانسن » قد أطلق الرصاص على رأسه ، بعد ان لف فوهة المسدس فى قماش ليكتم الصوت . فقضى على حياته التعسة !

وفى اليوم التالى ، زار القيصر الروسى دوق شلزويج هولشتاين فى « فندق آدلون » ، ومكث معه سبعا وثلاثين دقيقة .. وما ان انصرف ـ سالما ـ مع حاشيته ، حتى تهالك « آدلون » على أقرب مقعد !

الدوق فى حالة يأس !

• وفى تلك الفترة بالذات ، كانت ثمة قصة أخرى .. فلقد ذكرت كيف أن دوق شلزويج هولشتاين افترض خمسمائة مارك من «آدلون» ، وغادر الفندق فى ثياب مدنية، عقب وصوله بنصف ساعة .. ولقد حدث بعد أيام ـ وقد انتهت احتفالات الزفاف الملكى ، ورحل معظم الضيوف ـ أن رأى « آدلون » الدوق يجلس فى ركن من البهو ، وهو شارد البال مهموما . وكان قد عرف ان الدوق ظل أياما يستقل « تاكسى » من الفندق ـ فى كل يوم ـ ويذهب الى حى متواضع من المدينة ، فيقضى وقتا فى بيت لم تكن سمعته فوق الشبهات.. وكان فى كل مرة يعود أكثر اكتئابا مماذهب!

وقرر آدلون أن يعرف ما كان يكرب الدوق ، فاقترب منه . وبعد التحيات والمجاملات ، سأله : « هل أستطيع أن أكون ذا عون لسموكم ؟ » . فهز الدوق رأسه ، وقال : « لاتزعج نفسك ، فليس فى امكان احد ان يساعدنى ! » . ثم نهض وغادر المكان ، بشكل أوحى الى « آدلون » بأن

القنوط قد يدفعه الى عمل خطير ، فأسرع واتصل بادارة البوليس . وسرعان ما كان الضابطان - اللذان توليا مسألة القنبلة - عنده . واذ سمع رئيس البوليس السياسى قصة الدوق - كما رواها له «لورنز آدلون» - قال : «اعتقد اننى اعرف ذلك البيت ! » .. وغادر الفندق مع مساعده . فلما كان الاصيل ، عادا والبشر باد على اساريرهما . وقال الرئيس : « لقد قبضنا على الرجل الذى اعتاد الدوق أن يزوره ! » . ثم أخرج من حقيبة اوراقه بعض الرسائل والوثائق ، وقال : « لابد لى من أن أقابل صاحب السمو فورا . »

رسائل من الامبراطورة الى أخيها

• **ولكن** احدا لم يعثر للدوق على أثر ، فانطلق اثنان من سعاة الفندق للبحث عنه ، بينما راح رئيس البوليس السياسى يقص على « آدلون » جلية الامر . فان الدوق كان يذهب الى مكتب تاجر للسلع الجلدية ، كان البوليس يعرف ان عددا من علية القوم يترددون عليه لاسباب لم تخف على المسئولين ، وان لم يملكوا أى دليل يثبتها أو يبيح لهم التدخل . بيد أن مسألة الدوق لم تدع سبيلا للتردد ، فاقتحم رئيس البوليس السياسى ومساعده المكتب ، زاعمين انهما بصدد تحقيق اتهام موجه من الدوق للتاجر .

وهددهما صاحب المكتب بأن يشكوهما الى القيصر ، قائلا ان لديه رسائل كتبتها امبراطورة المانيا الى أخيها وذكرت فيها أمورا عن زوجها ، لا يسره أن يطلع عليها ..

ولكنه لم يلبث أن اعترف بأنه يقرض علية القوم نقودا ، فى مقابل وثائق يحررونها لصالحه .

وفتش رئيس البوليس السياسى خزانة الرجل ، فوجد من القرائن ما يكفى لادانته بتهمة الربا والاستغلال .. وأردف الرئيس قائلا لآدلون : « انك تعرف ان الدوق ليس واسع الثراء ، بينما هو مسرف مبذر ، وقد استدان من ذلك الرجل ـ بوثائق مكتوبة ـ مبالغ ضخمة ، تضاعفت بفضل الفوائد والنفقات التى كان الرجل يبتدعها .. وكلها تستحق الدفع فى آجال قصيرة ، وقد مدت آجالها مرارا .. كما رهن الدوق لدى الرجل قطعا كبيرة من أرضه ، ورسائل خطيرة كان الرجل تواقا الى اقتناصها لاسباب جلية .. بل لقد رهن الدوق لديه وسام النسر الاسود ! »

وهتف آدلون : « ولكن الوسام لا يساوى شيئا » . فقال رئيس البوليس : « لقد كان الدوق مضطرا الى ارتدائه عندما استقبل قيصر روسيا ، ومن ثم فقد استعاره من الرجل ، مقابل خمسمائة مارك » .. وادرك آدلون السبب الذى من أجله اقترض الدوق منه هذا المبلغ .. كما ادرك ان اللفافة الصغيرة التى عاد بها الدوق الى الفندق فى ذلك اليوم انما كانت تحوى الوسام المذكور !

وعثروا على الدوق أخيرا ، فما ان عرف بما جرى ، حتى تولاه السرور .. وبعد عشرين دقيقة أعلن انه مغادر برلين فورا ..

عارية .. على صفحة من فضة !

• **كان** الناس يعيشون فى سنة ١٩١٤ ، وهم فى غفلة مما كان يدبره القدر .. وقد زارت برلين – فى ذلك العام – راقصة كان سحرها حديث العالم كله ، هى : « أوتيرو الحسناء » .. كانت ثمرة حب جمع بين رجل ينتمى الى اسرة يونانية عريقة ، وغجرية اسبانية. وقد دفع هذا الغرام بالشاب اليونانى الى مبارزة لقى فيها حتفه ، فأسلمت الغجرية ابنتها الى ملجأ تتولاه الراهبات الكاثوليكيات . ولكن الفتاة لم تكد تبلغ الرابعة عشرة من عمرها حتى هربت مع شاب اسبانى أخذها الى (لشبونة) ، وعلمها الرقص ، فلم ينقض عام حتى احرزت نجاحا كبيرا ، سيما وانها كانت ذات جمال فذ ، نادر المثال .. ثم أخذت تطوف بمدن العالم الكبرى ، متنقلة من نجاح الى نجاح أكبر .. وقدبلغ من ابداعها فى (سانت بطرسبورج) ، أن قيل ان **عشرة من الامراء الروس ، حملوها عارية على صفحة من الفضة ! ..**

وبهذه السمعة ، هبطت « أوتيرو » برلين ، ونزلت فى فندق « آدلون » ، فاذا القيصر يقوم باحدى زياراته غير الرسمية للفندق ، ثم يسوق « لورنز آدلون » الى الحديقة القوطية – الملحقة بالفندق – وهو يقول له : « لقد جئت لاتناول كأسا من النبيذ معك ! » . وفيما كان يحتسى النبيذ ، أخلد الى الصمت لحظة ، ثم راح يعبث بشاربه ، وما لبث أن قال : « سمعت ان ثمة راقصة يتحدث عنها كل الناس ، تنزل لديك . أهي حقا كما يصفونها ؟ .. مما يؤسف لهحقا

اننى لا استطيع أن أذهب الى المسرح لرؤيتها .. سيما وقد قال بعضهم للامبراطورة ان السيدة تحمل عارية على صحاف من الفضة ! »

واستأذن « آدلون » القيصر لحظة ، فذهب الى مكتبه ، واستعمل تليفونه.. وبعد دقائق ، ظهرت الراقصة الحسناء فى الحديقة القوطية ، وكأنما ساقتها المصادفة.. ولم تغفل أن تؤدى التحية الواجبة للقيصر ، فاغتبط بأن تحدث اليها بضع دقائق .. ثم انسحبت فى رشاقة ولباقة !

وفى اليوم التالى ، ارسل القيصر الى الفندق رساما ليرسم الراقصة بالحجم الطبيعى !

من أجل معدة « ادوارد السابع » !

• **وذات مرة** سأل القيصر « آدلون » عن أهم عناصر ادارة الفنادق ، فأجابه : « الفراش والفطور يا صاحب الجلالة ! .. فيجب أن يكون الفراش بحيث يكفل الراحة التامة ، ويوحى بالعزلة المطمئنة » .. ولا يجب أن يكون الفطور شهيا فحسب ، وانما يجب أن تكون له نكهة تثير الشهوة الى الاكل .. والضيف الذى ينعم بالنوم والفطور — على هذا النحو — لا يحفل بالغداء والعشاء .. وليس معنى هذا ان فندق «آدلون» لم يكن يولى الغداء والعشاء اهتماما، **بل أن مطابخه كانت مجهزة أبدع تجهيز ، وكان على رأسها طاه ذو شهرة عالمية ، يدعى « ايسكوفييه » اطلق عليه القيصر لقب « ملك الطهاة » !**



رئيس الطهاة فى « مركز قيادته » بالفندق ، وأمامه التليفون والورق

وقد حدث عندما اعتزم « ادوارد السابع » ـ ملك انجلترا ـ ان يزور برلين ، ان اعرب عن رغبته فى تناول العشاء فى « فندق آدلون » ، لا سيما حين عرف ان « ايسكوفييه » كان يعمل فيه . ومن ثم جاء القيصر بنفسه الى الفندق ليبحث الامر مع « لورنز آدلون » ، وهو تواق الى ان يكون بين أصناف الطعام التى تقدم ، صنف مبتكر ، جديد تمام الجدة ، فقد كان « ادوارد السابع » مشهورا بحب الطعام ، وبأنه ذواقة خبير !

امبراطور المانيا مع « ملك الطهاة » !

• **ولم** يكن ثمة بد من استشارة « ايسكوفييه » ، ولكنه لم يشأ ان يترك المطبخ ، اذ كان منهمكا فى اعداد حساء خاص ، فلم ير القيصر غضاضة فى ان يسعى اليه بنفسه . وما أن دخل المطبخ ، حتى ترك الطهاة والمساعدون كل شىء ، ووقفوا يحيونه بنظام عسكرى . وساد المكان صمت عميق ، لم يلبث أن قطعه صوتان : صوت الامبراطور يقول بالالمانية : « ياللسماء يا أولادى ! لاتدعوا الأكل يحترق ! » .. **وصوت ايسكوفييه يصيح بالفرنسية ساخطا ، مؤكدا انه صاحب الامر فى المطبخ ، فلم يكن لاتباعه ان يتصرفوا دون أمر منه !**

واقترب منه الامبراطور مبتسما ، ووقف يرقبه وهو يعد الحساء . وسأله عن بعض المواد التى كان يضيفها ، فالتفت ايسكوفييه حوله بحذر ، ثم راح يشرح — فى همس — ما سماه « سرا خطيرا » ! .. وتناول الامبراطور الغداء فى الفندق — فى ذلك اليوم — ليخلو بعده الى « ايسكوفييه » و « آدلون » ليبحثوا المشكلة .. وفكر الطاهى فترة ، ثم قال : « ان سمك موسى هو أحب طعام لدى الملك ادوارد ، وكثيرا ما فكرت فى ابتكار صنف جديد من المرق المتبل ، ليقدم معه ! » . فهتف الامبراطور : « يا للشيطان ! » — وكانت هذه « لازمة » تتكرر فى كلامه — « اننا نبحث عن صنف جديد من الطعام ، لا من المرق ! »

مرق من البلح والمانجو !

• **وقال** ايسكوفييه : « ليأذن لى صاحب الجلالة ان

اروى له قصة ! » : فلقد اختلف المشرف على شؤون قصر لويس الرابع عشر مع كبير الطهاة يوما ، فاحتكما الى الملك : كان كبير الطهاة قد انفق مائة الف ليرة فى شهر واحد ، فى حين أن مجموع أجور الطهاة والخدم ، وأثمان المواد الاولية ، لم يكن يتجاوز ثلاثين ألف ليرة .. ودهش الملك لهذا الفارق ، واذا برئيس الطهاة يصيح : « معذرة يا مولاى ، ولكنه لم يحسب نفقات المرق ، فهى أعلى نفقات المطابخ كلها ! » .. ولم يستطع القيصر أن يجادل !



جانب من « مشرحة » الماشية ، بالفندق ، وقد انهمك أحد الطهاة فى اختيار اللحوم اللازمة للتموين اليومى .

وقضى « ايسكوفييه » اليوم التالى جالسا فى المطابخ شارد البال ، او متجولا فيها وهو يردد « لازمة » القيصر : « ياللشيطان ! » . وفجأة ، لمح بعض البلح الطازج ، فتناول بلحة وتأملها مليا ، ثم أكلها ، وهتف : « يا للشيطان .. لقد وجدتها ! » .. ونقل النبأ الى « آدلون » ، الذى نقله بدوره الى القيصر ، فبدا على هذا القلق ، وهو يتساءل :

كيف يصنع مرق من البلح ؟

وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، ذهب ايسكوفييه الى آدلون ، وذكر له انه قد ألف المرق فى ذهنه ، ولم يكن ينقصه سوى بعض ثمار المانجو الهندى .. وهنا أشرف آدلون على اليأس ، ولم يجد بدا من أن يلجأ الى القيصر ، الذى أمر بالابراق الى السفير الألمانى فى (لندن) !

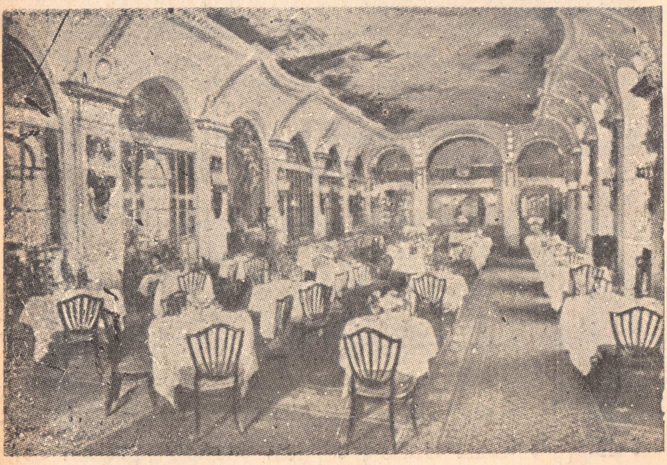
« مرق الشيطان » على مائدة الملك !

• **ووصلت** « المانجو » فى الساعة العاشرة من صباح اليوم الذى كان مقررا أن يتناول ادوارد السابع عشاءه فى مسائه فى الفندق ، فأفرد « ايسكوفييه » ركنا من المطابخ لعمل المرق خصيصا ..

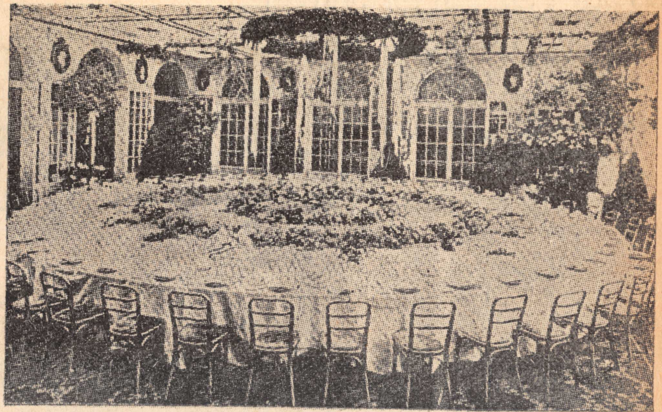
وحان موعد العشاء .. وكانت المائدة تضم ثمانية من علية القوم ، الى جانب الملك الضيف والقيصر .. وعندما قدم سمك موسى ، ظهر « ايسكوفييه » فى ثياب السهرة ، وقد حمل بين يديه وعاء ذهبيا ـ وكانت كل الصحاف وأدوات المائدة من الذهب ! ـ فما ان رآه ادوارد السابع ، حتى هتف : «هالو ! أأنت هنا يا ايسكوفييه ؟» .. وانحنى

الطاهى فى احتــرام ، ثم نثر المرق على الســمك ، فتذوقه الملك ، ثم صاح : « ما هذا المرق ، بحق السماء ؟ .. ابدا لم اتذوق مثله ! انه رائع ! .. كيف اعددته ؟ » .. وهتف القيصر وهو يتذوق نصيبه : « انه مرق جدير بالمناسبة حقا .. ولكن ، ليتخطفك الشيطــان اذا أنت بحت بسره الى صاحب الجلالة ، يا ايسكوفييه ! »

وضحك ادوارد السابع وقال : « اذن فاخبرنى بالاسم الذى اطلقته عليه .. على الاقل ! » وكان جواب ايسكوفييه: « مرق الشيطان ! »



الموائد تنتظر شاغليها ، فى احدى قاعات الطعام الفاخرة بفنـدق أدلون ..



مائدة مستديرة ، لعروس ، لا لمفاوضات سياسية .. وفى وسطها كعكة الزفاف ..

((الطبخة)) التى أكلتها المانيا كلها !

• وتطورت الأحداث فى صيف سنة ١٩١٤ .. وفى الساعات الحرجة من شهر يوليو ، كان الكونت «مولتكه» — رئيس هيئة اركان حرب الجيش الالمانى — يتردد على الفندق ليتناول الطعام وحيدا ، صامتا ، مهموما .. وكان القيصر فى رحلة بحرية ، لم يعد منها قبل يوم ٢٧ يوليو . وفى المساء ، أقبل الكونت بيثمان هولويج — رئيس الوزراء — على الفندق ، حيث التقى بالكونت مولتكه ، واحتلا احدى حجرات الجلوس بالجناح الملكى ، وتحدثا ساعة ، فى خلوة تامة .. وعندما انصرفا ، كان الانفعال باديا عليهما . وعرف فيما بعد ان رئيس الوزراء كان فى استقبال القيصر عند

عودته ، **فلم يكد هذا يراه ، حتى قال له بصوت سمعه جميع مستقبليه : « لقد طبخت هذه الطبخة الجهنمية ، وعليك أن تأكلها وحدك ! »** .. ولكن ألمانيا بأسرها أكلتها معه . بل أن القيصر نفسه « أكل » معهم ، اذ إنتهى به الامر الى النزول عن العرش ، والرحيل الى هولندا .

وما ان أعلنت الجمهورية ، حتى قام الثوار « الحمر » ضد قوات الجمهورية .. ودارت بين الفريقين معارك فى الشوارع . وعندما هدأ القتال بعض الشىء ، ظلت الظروف بعيدة عن أن تكون عادية ، فكانت بعض شوارع (برلين) مغلقة — لوقوع ادارات حكومية هامة فيها — بحيث لم يكن يسمح لشخص باجتيازها الا باذن خاص . وقد كان « فندق آدلون » وسط احدى المناطق المغلقة ، اذ أعتبر « موقعا ستراتيجيا عظيم الاهمية » ، فكان البوليس كثير التردد عليه .

واختفى كثير من حاجات المعيشة ، وارتفعت الأسعار ، فكثرت الاضرابات ، سيما بين عمال المرافق العامة . ولذلك كانت الكهرباء ، والغاز ، والماء ، تنقطع لفترات طويلة ، حتى لقد كان الناس يصطفون فى صفوف طويلة أمام الصنابير العامة ، ليحصلوا على ماء الشرب !

لص برلين .. المهذب !

• **وفى** تلك الآونة من سنة ١٩١٩ ، أصبح « فندق آدلون » **مقصد كل من يملك النزول فيه ، اذ كانت فيه محطة مياه — تستمد مياهها من آبار خاصة — ومحطة**

لتوليد الكهرباء .. فضلا عن انه كان فى منطقة محايدة بين الجمهوريين والحمر . لذلك كان الفندق ملتقى القوم من الفريقين ، يتبادلون الأحاديث ، ويتجسس بعضهم على بعض .. !

ولقد اهتم الرأى العام فى برلين – فى ذلك العام – بلص اشتهر بالبراعة ، وبدقته فى اختيار ضحاياه ، فكان يختار الاغنياء ، ولا يسطو الا على الحلى والمجوهرات ..

البقية على صفحة ١٧٨



محرر أمريكا الجنوبية

سيمون بوليفار

البطل الذى خلق ليحرر قارة .. ومات محسورا لتناحر قومه !

للكاتبين المحققين "دانا" و "لى توماس"

عزيزى القارىء :

لاتكاد توجد فى العالم بلاد تشبه بلادنا العربية فى جهادها ضد الاستعمار الغربى البغيض ، كدول امريكا اللاتينية .. ولا تكاد توجد بلاد تتحمس لجهادنا الحاضر ، كما تتحمس له هذه الدول ، لانهـا ذاقت مثلنـا مرارة الاسـتعمار ، وتعرضت مثلنا لمكائده ، وعانت مثلنا من مؤامراته ..

لهذا لم يكن من العجيب ان اختير شارع (قصر الدوبارة) فى القـاهرة ، الذى اقترن اسـمه ـ فتـرة من الزمن ـ بالاستعمار البريطانى ، (اذ قامت فيه دار المعتمد البريطانى ، التى تحولت ـ فيما بعد ـ الى دار السفارة البريطانية) .. لم يكن من العجيب أن اختير هذا الشارع ، ليطلق عليـه اسم (شارع أمريكا اللاتينية) ، تعويضا له عن الوصـمة التى اقترنت بتاريخه ..

ومنذ ثلاثة أشهر ، أطلق على (ميدان قصر الدوبارة) ـ الذى يتوسط هذا الشـارع ـ اسم « **سيمون بوليفار** » .. وتقرر أن يقام فيه تمثال لصاحب هذا الاسم .

فمن تراه « سيمون بوليفار » هذا ؟

ان الصفحات التالية تحمل اليك خير جواب عن هـذا السؤال . فاقرأها .. بل احفظهـا عن ظهر قلب ، ولقنها لاولادك ، وأروها لاصـدقائك فى مجالسكم .. فقد كان « سيمون بوليفار » بطلا .. وكفى بهذا وصفا له !

ولد ليثور على الطغيان الاسبانى

• **كان** التمرد على الحكم الاسبانى ـ فى أمريكا اللاتينية ـ من أخطر الامور ، فى القرن الثامن عشر .. **حتى أن الحاكم الاسبانى على (بيرو) ، لم يتورع عن أن ينتزع لسان « توباك ـ أمارو » من حلقه ، عند ما حاول أن يحرر بلاده ، فى سنة ١٧٨١ ..!** وكأنما لم يشف هذا غليل الحاكم الطاغية، ففرض على المجاهد الابى ان يشهد بعينيه زوجته وابنه ، وهما يمزقان اربا ، بعد ان ربط كل منهما الى أربعة جياد ، انطلق كل منها فجأة فى اتجاه غير اتجاه أى من الثلاثة الاخرى ! .. ثم ازدادت شهوة الحاكم الى البطش ، فلم يلبث أن قضى على « توباك ـ أمارو » بعين المصير الذى لقيته زوجته وابنه !

وكانت قصة هذه الوحشية الفظيعة لا تزال على السنة القوم ، عندما ولد « بوليفار » ، فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٨٣ .. وكان أبوه راغبا فى أن يسميه « سانتياجو » ، بيد أن القس الذى تولى تعميد الوليد، أطلق عليه اسم «سيمون»، ورد على احتجاجات بوليفار بقوله : **« ان لدى الهاما يوحى بأن هذا الطفل سيصبح يوما « سيمون ماكابيوس » للعالم الجديد » ..**

وقد كان « سيمون ماكابيوس » من أبطال التحرير القدامى ، الذين ورد ذكرهم فى تاريخ عشيرة « المكابيين » .

يرث ثروة تفوق الخيال

• **وهكذا** كرست حياته ـ منذ مولده ـ للثورة . فاذا هذا الوليد الذى نشأ فى أسرة عريقة من أسرات (فنزويلا) ينمو جريئا ، جسورا ، مقداما ، لا يكاد يهدأ أو يستقر .. وكان أبوه قد توفى ـ وهو بعد فى الثالثة من عمره ـ فكفله قريب له من رجال القانون فى (كاراكاس) ، يدعى « ميجيل خوزيه سانز » . وقد أخذ الرجل يشهد مغامرات الغلام ، وما كان يعتمل فى أعماقه من فورات ، فى صغره ، فكان يشعر بالجزع والاعجاب يتنازعانه .. **حتى لقد قال له مرة وهو مشفق : «انك ياصغيرى شحنة من البارود». فما كان من الغلام الا أن أجاب لفوره : « اذن فخليق بك أن تبتعد عنى .. خشية أن أنفجر ! »**

ومع أنه كان نحيل الجسم ، سريع الانفعال ، الا أنه استطاع أن يفتن كل امرىء بعينيه السوداوين الجريئتين، وابتسامته المشرقة ، الناطقة بالاستهانة . وراح يعيش وكأنه أمير فى اسطورة خرافية ، حتى اذا ماتت أمه ـ وهو بعد فى التاسعة من عمره ـ أصبح « سيمون » واخوته الورثة لثروة طائلة : مناجم غنية بالمعادن الثمينة ، أراضى زراعية واسعة، حقول شاسعة تنتج قصب السكر، طواحين، مزارع لتربية الماشية ، معامل لتقطير الكحول ، بساتين حافلة بالفواكه ، آلاف مؤلفة من الحيوان والرقيق .. كل هذه الثروة ـ التى يقصر الخيال عن تصورها ـ كانت من نصيب « سيمون » ، وأخيه ، وأختيهما !

فى رعاية فيلسوف جاهل شريد !

• **على أن** « سيمون » لم يعن بثروته كثيرا ، فما كان يهمه سوى مغامراته ، قبل كل شىء . وكان من جراء هذه الظروف أن التفت حوله زمرة من الشبان المتهورين، فأصبح « سيمون » وعصبته شوكة فى خاصرة السلطات ، ورجال القضاء ، والتجار فى (كراكاس) . وكان يستهدى فى كل مغامراته الطائشة ، بفيلسوف شريد يدعى « رودريجيز »، كان يحلم بدنيا مثالية ، ولكن جهله كان يحيط دنياه هذه بظلام يحيد به عن الاهتداء الى طريقها .. وكان يسير وفى جيبه أبدا نسخة من كتاب «اميل» للفيلسوف « جان جاك روسو » ، وفى رأسه كافة الافكار الهاذية المتخبطة ، فى السياسة والاجتماع ..

ولقد أجمل « بوليفار » تعاليم استاذه هذا بقوله : « فى هذه الدنيا المجنونة ـ التى نعيش فيها ـ تقوم حقيقتان لا ثالث لهما : قداسة الجسد الانسانى، وغباء العقل الانسانى!» . **ولكى يبين «قداسة» بدنه للعقول « الغبية! » فى مجتمعه ، كان لا يتورع عن أن يظهر أحيانا عاريا من كل لباس !**

على أن «رودريجيز» كان ـ برغم تخبط آرائه ـ ذا فضل على « بوليفار » . فقد علمه أهمية الجسد السليم فى الحياة . وكان يصحبه فى رحلات طويلة ـ تستغرق اياما وليالى ـ فى الغابات ، وفوق جبال (فنزويلا) .. وكان

يرافقه الى مزارع آل بوليفار للماشية ، حيث تعلم الفتى من رعاة البقر فن ترويض الجياد البرية ، وكيفية استعمال الرمح والسهم ، وملاحقة الثيران الهائجة ـ على ظهور الجياد ـ بأن يمسك الواحد منها من ذيله ، ثم يقلبه أرضا بحركة بارعة من يده !

يحلم بعصر تسوده الحريات

• **وكان** « رودريجيز » يرقب تلميذه باعجاب ، وهو يزداد غبطة كلما رآه يزداد قوة وبأسا .. وعند ما رآه يتفوق على رعاة البقر، بقبضته الفولاذية، قال له : «لسوف تحتاج الى هذه القوة الحديدية ، فى المعارك التى ترتقبك فى المستقبل ! »

ذلك لان (فنزويلا) ، وأمريكا الجنوبية ، بل الدنيا بأسرها ، كانت فى انتظار من يصلح شأنها ، ويعيد تشكيلها .. وكان « سيمون » يعلم ـ منذ حداثته ـ أن القس اختار له اسمه ، لانه كان مقدرا له أن يصبح محررا لقومه . لذلك راح يستوعب ـ فى نهم ـ آراء فيلسوفه عن « عصر تسوده الحريات » !

وكانت أمريكا الجنوبية تغلى وتضطرم .. كانت تشهد احداثا كبارا : ثورات ، وحملات قمع وارهاب ، وأحكام اعدام وتعذيب لم تكن تؤدى الا الى تجدد حركات التمرد ..

ولقد شهد « بوليفار » وفيلسوفه قطع رقبة الثائر «جوزيه

كيرينوس » ، فى الميدان الرئيسى لمدينة (كراكاس) . وكانت نفساهما تغلى لهذه الفظائع ، حتى لقد كاد « رودريجيز » ان يفقد حياته فى احدى الثورات العديدة ، لولا أن نفوذ اسرة « بوليفار » استطاع أن يرفع عنه حكم الاعدام ، على أن يغادر (فنزويلا) .. فرحل عنها مكرها .

وافتقد « سيمون بوليفار » استاذه وصديقه ، وحزن عليه ايما حزن .. ولكنه سرعان ما وجد العزاء فى أحضان شقيقتين من أبناء خؤولته – من أسرة « أريستيجويت » – امتازتا بجمال بارع ، ودماء حارة ، وآذان تجيد الاصغاء لاحاديثه ، وقلبين يملكان رصيدا هائلا من الحنان والحب راحا يغرقانه فى فيضه .. ومما يؤثر عن بوليفار ، انه قال يوما لاحد أصدقائه : « آمل أن أذهب الى « المطهر » عند ما أموت ، فسوف يتاح لى هناك أن أواصل غرامياتى مع الآنستين اريستيجويت ! »

ينشد المغامرات فى اسبانيا

• **غير أن** هذه الغراميات لم تكن سوى فترة عابرة فى حياته السريعة التقلب والتغير .. فلم يلبث بوليفار أن انضم الى « المليشيا » . وكما كان عاشقا جريئا متهورا ، فقد اثبت أنه جندى مقدام ، لا يهاب الاخطار .. فلم ينقض عامان من المران والمناورات ، حتى أصبح صف ضابط .. أو « صول » .

ومرة أخرى ، مل الحياة السائرة على وتيرة واحدة .. كانت نفسه قلقة ، لا تهدأ الى استقرار ، ولا تفتأ تبحث عن غاية لم تكن معالمها قد اتضحت له . لذلك شاء أن يمارس مغامراته فى العالم القديم ، بعد انتهاء العامين .. فرحل ــ فى ١٩ يناير سنة ١٧٩٩ ــ الى (مدريد) ، حيث كان خاله « استيبان بالاشيو » يحظى بمكانة ممتازة .

وهبط (مدريد) تحف به هالة من تأكيدات ولائه للملك كارلوس والملكة ماريا لويزا ، ومع ذلك .. **فلم تنقض شهور قلائل ، حتى صدرت الاوامر بالقاء القبض عليه ، اذ اشتبه فى أنه اشترك مع خاله فى مؤامرة كانت تدبر ضد الملك والملكة .**

ولكن الشاب الجسور ، عاشق المغامرات ، ومروض الثيران ، لم يكن بالصيد السهل .. واستطاع أن يروغ من مطارديه ، وأن يهرب الى باريس ، حيث قدم تحياته الى نابليون « منقذ الجمهورية الفرنسية » ، وحيث التقى بحسناء أخرى من أسرة « اريستيجويت » ، فنعم بحبها ، واستمد من هذا الحب حافزا جديدا على مواصلة كفاحه فى سبيل الحرية ..

بداية عهد العمل

• **وفيما كان** مغرقا فى غرامه ، تناهت اليه الانباء بأن الاتهام الذى وجه اليه ــ فى اسبانيا ــ قد أسقط عنه ..

وكأنما كان « سيمون » يعيش فى ارتقاب هذا النبأ . فما ان سمعه حتى تحول عن حبيبته ، وهجر أحضانها ، وبادر بالرحيل الى (مدريد) .

وهناك ، كان فى انتظاره غرام جديد .. واثبتت الحسناء الاسبانية ـ حبيبته الجديدة ـ انها ابرع من زميلاتها فى بوليفيا و باريس ، وأشد فتنة ، وأقدر على أن تحتفظ بالصيدفى شباكها . **فلم يمض على وقوع «سيمون» فى هذه الشباك طويلا ، حتى تزوج من فاتنته .. ولم يكن اذ ذاك قد تجاوز التاسعة عشرة !**

وأبحر بعروسه الى (كراكاس) عقب الزفاف ، حيث نعما بشهر عسل ، ومآدب حافلة اقامها أصدقاء « سيمون بوليفار » تكريما وابتهاجا بهذا الزواج ..

واذ انتهى شهر العسل ، استقر العروسان فى احدى ضياع « بوليفار » فى (سان ماتيو) . وهناك ، راحا يرتشفان اشهى كؤوس السعادة والهناء .. ودامت نشوتهما ثمانية أشهر ، ثم تبددت فجأة ، عند ما اختطف الموت العروس الحسناء ، اثر حمى خبيثة ..

واذا كان الموت نكبة ، الا أن الاحداث لم تلبث أن أثبتت أنه وسيلة اختارها القدر ليوجه حياة بوليفار وجهة أكثر نفعا وجدوى .. وهو يقول بهذا الصدد : « كانت هذه النكبة نهاية عهد اللعب والعبث ـ بالنسبة لى ـ وبداية عهد العمل » !

نجم يتألق فى باريس

• **ولكى** ينسى « بوليفار » حزنه ، عـاد الى (مدريد) ثانية ..

وفى هذه المرة ، التقى بفريق من المثقفين، من أبناء أمريكا الجنوبية ، الذين كانوا يحلمون مثله بالحرية . فلم يلبثوا أن نظموا ـ فيما بينهم ـ جمعية سرية ، واختاروا «بوليفار» كأحد زعمائها . فمع أنه كان متوسط القامة ، الا أن متانة بنيانه ، وانفتال عضلاته ، وامتشاق عوده ، كانت تضفى عليه مظهر القيادة . وكانت عيناه السوداوان الغائرتان فى وجهه ، والفياضتان بمظاهر التفكير والذكاء .. وجبينه العريض البارز .. ووجهه النحيل ، الطويل ، ذو الطـابع الارستقراطى .. وصوته النابض بالحرارة والحماس ، ذو اللهجة الآمرة ، المسيطرة ..كل هذه أكسبته احترام زملائه واكبارهم .

ومرة أخرى ، ثارت شكوك البلاط الملكى الاسبانى حول « بوليفار » ، فصدر اليه الامر بمغـادرة البلاد .. **ومرة أخرى ـ كذلك ـ نزح الى باريس ، فسرعان ما اصـبح من العناصر التى لا غنى عنها فى المجتمعات و « الصالونات » الراقية** .. واستطاع بابتسـامته الآسرة ان يكسب عطف ذوى النفوذ والمكانة من رجال فرنسا ونسائها، وفى مقدمتهم : تاليران ، والجنرال ديروك ، والمارشال اودينو ، وأصـغر أبناء جوزفين ـ زوجة نابليون ـ من زوجها الاول «بوهارينه»،

والممثل الكبير « فرانسوا تالما » ، و مدام ريكاميه ، ومدام دى ستايل .. وغيرهم .

رجل الاقدار المرتقب

• **ولكن** وشائج الصداقة لم تتوثق بينه و بين أحد ، قدر توثقها بينه وبين « الكسندر فون همبولت » ، عالم الطبيعة الالمانى الكبير ، الذى كان فى زيارة باريس فى تلك الاثناء ..

وكان « فون همبولت » عائدا لتوه من بعثة علمية الى أمريكا الجنوبية ، لذلك كانت هذه البلاد موضوع حديث لا ينقطع بين الصديقين الحميمين . وقد عن لبوليفار — ذات يوم — أن يسأل صديقه : « هل تظن ان أمريكا الجنوبية فى حالة تجعلها جديرة بالاستقلال ؟ » .. وأجابه العالم الالمانى لتوه : «أجل ، اعتقد ذلك ، وليس ينقص بلادك سوى أن تظفر بقائد عظيم ! »

وأخذ قلب « بوليفار » يتواثب فى صدره ، على صدى الكلمتين الاخيرتين : « قائد عظيم » .. وردته هاتان الكلمتان الى سنوات مضت ، كان يسمع فيها انه قد كتب له ان يغدو يوما محررا لبلاده ..

فهل تراه — حقا — يصلح لان يكون هذا القائد المنشود ؟

وكان صديقه واستاذه الفيلسوف « رودريجيز » قد استقر فى باريس .. وقد بادر مجيبا ، حين وجه اليه

« بوليفار » هذا السؤال ليسترشد برأيه : « بلا شك .. انك أنت الرجل الموعود ! » .. على انه كان من الواجب اولا على « بوليفار » أن يستكمل تعليمه ودراسته . وقد عنى «رودريجيز» بأن يمده بالكتب التى قدر لها أن تكون ابواقا تدعوه للحرية .. كتب افلاطون ، و فولتير ، و روسو ، ومونتيسكيو ، وهيلفتيوس ، وهوبز ، وهيوم ، وسبينوزا .

مرحلة الخشونة والمران

• **واذ دعم** « بوليفار » عقله وتفكيره ، كان عليه أن يضاعف من تعزيز قواه البدنية ، و .. « ان تضع نهاية لحياة الترف التى تعيشها» ، كما نصحه استاذه. واستطاع الفيلسوف أن يحمله على الانتقال الى مسكن متواضع ، وأن ينام على حشية خشنة ، وأن يتبع نظاما قاسيا فى الاكل والشراب ، وأن يمارس تمرينات شاقة مثل المبارزة واللعب بالسيف ، حتى أصبح بوليفار يجيد القتال بيديه الاثنتين على حد سواء .

واذ تم كل ذلك ، شرع « بوليفار » فى جولة على قدميه خلال جنوب اوربا بأسره ، بصحبة استاذه و مدربه « رودريجيز » .. فجاسا خلال وادى (الساون) وعبرا (الالب) ، واجتازا سهول ايطاليا ، وزارا ميلان ، وفينيسيا ، وفيرونا ، وبادوا ، وفيرارا .. وعند ما بلغا نابولى ، نزلا ضيفين على شقيق « همبولت » صديق بوليفار الحميم ..

وفى « اليساندريا » ، شاهدا نابليون وهو يستعرض جنوده فى معركة (مارينجو) .. وكان **« منقذ الجمهورية الفرنسية » ـ كما دعاه بوليفار من قبل ـ يوشك أن يتوج نفسه ملكا على ايطاليا .. فاذا هذا العمل يهبط بمكانته فى نفس الشاب الثائر من أجل الحريات ، فقال فى حسرة وأسى : « يا لها من سقطة شنيعة ! »** .. لقد رأى الرجل الذى ارتفع فى أنظار الناس الى مصاف الآلهة ، يهوى الى « ديكتاتور » تملكه الطمع فى الحكم والسلطان !

يرفض أن يركع للبابا

• **وبلغ** « بوليفار » روما أخيرا ، وزار (الفاتيكان) ، حيث قدر له أن يحظى بمقابلة « البابا » .. ولدهشة الحضور ، أبى « بوليفار » أن يركع أمام الرئيس الدينى الرفيع المقام ، وان يقبل حذاءه .. وقال فى شمم لم يخل من أدب : **« اننى احترم صاحب القداسة وأوقره ، ولكنى لن أركع لبشر ! »**.

وفى ذات يوم ، تسلق مع «رودريجيز» تل (مونتهساكرو) .. وتبدت لهما المدينة تحتهما وقد خلعت عليها شمس الاصيل غلالة امتزج فيها لون الذهب بحمرة الارجوان . وأخذ « رودريجيز » يلقى خلاصة عن أمجاد روما هزت اوتار فؤاد زميله الشاب ، فظل يصغى فى صمت ، ثم اغرورقت عيناه ، وأخذ صدره يعلو ويهبط فى انفعال ،

واحتقن وجهه بحماس محموم ، ثم هتف بصوت متهدج :

((يا رودريجيز ، أقسم برب آبائى وأجدادى على أن يدى لن تستريحا حتى تكونا قد خلصتا وطنى من ربقة الاسبان وحثالتهم !))

وفى عودته الى بلاده ، عرج ((بوليفار)) على الولايات المتحدة الامريكية، فشهد روح الاستقلال فى تطبيقها العملى، فزادت تحمسه اتقادا ، وضاعفت من الحمى التى كانت تدب فى أوصاله .. حمى العمل على تحرير بلاده .

زعيم سبقه الى الجهاد

• **واذ بلغ** مسقط رأسه ــ مدينة (كراكاس) ــ وجدها فى هياج محتدم ، فقد قدر لفنزويلا أن يظهر فيها محرر .. وكان هذا البطل شخصية غريبة، تجمع بين روح المحارب ، و فلسفة النبى الروحى ..

ذلك البطل النبى هو ((ميراندا)) ، الذى كان من أبناء فنزويلا ــ كما كان بوليفار ــ والذى كان الحظ العاثر يطارده ويقصيه عن بلاده .. كما كان يفعل ببوليفار كذلك. وقد دفعته روحه المكافحة الى أن يخوض مع الامريكيين حرب استقلالهم ، والى أن ينغمس فى الثورة الفرنسية ، حيث أبلى أروع بلاء تحت قيادة نابليون ، واستطاع أن يظفر بمرتبة ((جنرال)) . ثم عاد الى امريكا الجنوبية وقد عقد العزم على أن ينفخ فيها من روحه الثائرة ، وأن يدفعها الى

الانتقاض على حكم الاسبان. **واستطاع فى صيف سنة ١٨١١ أن يجمع حوله فريقا من الوطنيين الفنزويليين فى كراكاس، ثم أصدر – فى ٥ يوليو – اعلان استقلال أمريكا الجنوبية.**

وكانت الخطوة التالية، هى أن حاول أن يوطد دعائم هذا الاستقلال بقوة السلاح، فراح يحشد الانصار.. وعند ما تأملهم، غاص قلبه، اذ رأى شراذم من فلاحين حفاة، لا يعرفون نظاما، ولا قبل لهم بمران، ولا عهد لهم بحمل البنادق.. بيد انه لم يشأ ان يطأطىء للظروف، فقد كان يعرف انهم شجعان، وانهم ذوو جلد على أشق الاعمال، وان بوسعه أن يجعل منهم – بالدأب والصبر – جنودا مغوارين.

ثورة يقضى عليها الغدر

• **وعلى هذا**، فقد اختار نفرا من ذوى الاستعداد وجعلهم ضباطا، وكان بينهم «الكولونيل» سيمون بوليفار. ثم عهد الى هؤلاء الضباط بتدريب الباقين، فأقبلوا على مهمتهم بعزم وحماس.. ومع أن القوم لم يكونوا يحظون بوجبات منتظمة من الطعام، ولا كانوا يتقاضون أجورهم بانتظام.. ومع انهم كانوا فى أسمال بالية، الا أنهم تحولوا – بالتدريب الشاق – الى جيش استطاع بقيادة «ميراندا» أن يهزم قوات ملك اسبانيا مرتين!

وليس من يدرى ما كان بوسع هذا الجيش أن يحققه ، لولا .. الخيانة والغدر . فقد أسلم أحد الحراس حصن (بورتو كابيللو) للاعداء ، وكان من المعاقل المنيعة .. وكان « ميراندا » قد أعد وليمة عشاء لمائة ضـابط ، احتفـالا بالنصر . عند ما نمى اليه نبأ الخيانة ، فقال لهم : **« ايهـا السادة .. لقد تلقت فنزويلا طعنة فى الصميم ! »**

(« كتابى » : وما أشبه ما فعلته هذه الخيانة بميراندا ، بما فعلته خيانة مشابهة ببطلنا الكبير : أحمد عرابى)

وأدت الخيانة الى تمكين الاسبان من أن ينتصروا على طول الخط ، ومن أن يعتقلوا « ميراندا » ، وأن يسجنوه فى (قادش) ، حيث مات كسـير القلب .. وقضى على ثورة فنزويلا بأن تخبو .

يتحدى الطبيعة .. والمستحيل !

• **ولكن** واحدا من قادة الثورة استطاع أن يهرب من الاسبان .. وكان ذلك الناجى هو « بوليفار » . فقد تسرب تحت جنح الظلام ، واستقل مركبا سار به فى البحر حتى أنزله فى (بورتو كابيللو) بسـلام . بيد أنه لم يلبث أن رجع الى (كراكاس) ، حيث اختبأ فى كوخ صديق من الهنود ، وشرع يرسم الخطط لثورة جديدة ، تكون أكثر اسـتعدادا للنجاح .

واذا كان « ميراندا » قد اخفق لانه لم يكن يملك أن يفعل المستحيل ، فان « بوليفار » لم يكن يعترف بأن هناك مستحيلا .. ولقد صودرت ثروته وممتلكاته ، وتناقص جيشه اذقضت الزلازل على عشرين ألفا من أهل (فنزويلا)، وراح الناجون يرددون معولين : « ان الطبيعة ذاتها تحارب ضدنا ! » .. **ولكن صوت بوليفار علا فوق كل صوت ، وهو يصيح : « اذا كانت الطبيعة تحاربنا ، فسوف نجعلها ـ هى الاخرى ـ تسلم لنا ! »**

.. لكنه لم يلبث أن اعتقل ونفى الى جزيرة (كيراساو)، ثم تمكن من الهرب فأبحر غربا، ثم جنوبا، الى(نيو جرانادا) ـ غرناطة الجديدة ـ التى تفصلها جبال (الانديز) عن فنزويلا ..

وهناك ، فى البلد الذى لم يكن قد رآه من قبل ، و بين قوم لم يكونوا قد سمعوا باسمه قط ، أصدر « اعلان التحرير » ، ودعوة الى السلاح ..

يغلب جيش الاستعمار .. بصوته !

• **واستطاع** أن يأسر القوم بشخصيته ، وحماسته ، وجاذبيته ، فأنصتوا اليه وأطاعوه .. وسرعان ما تألف جيش ، كأنما من صنع ساحر .. وصاح « بوليفار » :

ـ فلنحرر (نيو جرانادا) أولا ، ثم .. لنزحف الى فنزويلا !

وفى صحبة مائتى رجل ، أبحر على عشر عائمات (صنادل) فى نهر (مجدالينا) ، الى (تنريف) ، وكانت معقلا حصينا، تحتله قوة اسبانية كبيرة .

وفى أكناف الظلام ، بلغ «بوليفار» ورجاله المعقل الحصين .. وشرعوا يتسللون كالاشباح .. وعند ما صاح حارس القلعة : « من هناك ؟ » ، انقض عليه بوليفار ، وذبحه ذبحا .. ثم وزع رجاله فاحتموا بالصخور والاشجار ، وأمرهم بأن يحدثوا ضجيجا كبيرا ، يوحى الى الحامية الاسبانية بأنهم حشد زاخر .

ووقع فى روع الاسبان أن جيشا كبيرا يزحف عليهم . وعند ما استيقن بوليفار أثر حيلته ، صاح طالبا الى قائد الحامية أن يستسلم ، واردف قائلا : « واذا أبيت فسوف أنسف القلعة وأدكها بقذائف مدافعى ! » .. **وفعل الانذار فعله فى نفس القائد ، فلم يلبث أن فر برجاله ، ودخل « بوليفار » القلعة ، واستولى على مدينة (تنريف) دون أن يفقد نفسا واحدة !**

وحملق أهل المدينة مبهوتين فى الثائر الذى « غلب جيشا بقوة صوته » . وراحوا يتساءلون عن مدافعه .. أين هى ؟

وضحك بوليفار قائلا : « ليس لدى مدفع واحد ! » .. ثم تفقد أسلحة القلعة ، وقال : « ولكنى أرى اننا سننعم بأسلحة وفيرة لحملاتنا المقبلة » .

فى الطريق الى فنزويلا

• **وكان** هدفه التالى ـ بعد (تنريف) ـ هو قلعة (مومبوكس) ، التى تقع على ضفة النهر ، بعد غنيمته الاولى .. ومرة أخرى ، استطاع أن يستولى على غايته ، وأن يدخل القلعة بدون قتال ، اذ أن الاسبان لم يكادوا يعلمون باقترابه حتى بادروا الى الفرار ، وقد جعلتهم هزيمة (تنريف) يخالون أن « بوليفار » يسير على رأس قوة عارمة ، عظيمة العدة والعتاد ..

وواصل الزحف ، ساعيا الى منابع النهر ، بين التلال الجيرية وجبال (الانديز) .. واينما ضرب معسكره ـ فى طريقه ـ كان كثير من المتطوعين يتوافدون لينضموا اليه .. **وكان الجيش الاسبانى ينهار أمامه كما تنهار قلاع من الرمال .. واستطاع « بوليفار » أن يخوض ست معارك ، فى ستة أيام ، وان يكون المظفر فيها جميعا .**

ثم اتجه بجيشه شرقا ، متسلقا سفوح (الانديز) نحو القمم العليا ، ساعيا الى وطنه الاصلى .. (فنزويلا) .

وقال له مساعدوه : « انها رحلة فوق طاقة البشر واحتمالهم » . ولكن قولهم لم ينل من عزيمته ، فقال : « اذن ، ليكن جلدنا فوق جلد البشر ! » .. وكان قد بدأ فى اجتياز (الانديز) فى أواسط الشتاء ، وليس لجنوده ـ الذين جمعهم من وديان (نيو جرانادا) الاستوائية ـ

قبل بالعواصف الثلجية ، والرياح المحملة بالبرد . ومع ذلك فقد مضوا فى جوف العاصفة ، يتسلقون الصخور الملساء ويتشبثون بها بأصابعهم ، ويزحفون ــ واحدا وراء آخر ــ فى دروب ضيقة ، على حواف القمم الشاهقة ، والهواء القارس ــ الذى يدور حول تلك القمم كالاعصار ــ يصفع وجوههم بالثلج الناعم !

أرواح نقمة وانتقام

• **وكم من** مرة كانوا يضطرون الى الرجوع فى طريق تعرضوا للاخطار كى يجتازوها ، لانهم كانوا يفاجأون بأنها تفضى الى هوة سحيقة .. وما من يوم كان يمر بهم دون أن يمنوا بفقد عدد من الرجال والبغال، كانت تزل أقدامهم، فيترددون فى الوهاد ، وصرخاتهم تتردد فى الفضاء ، مختلطة بعواء الرياح !

وكان الذين يبقون على قيد الحياة ، يئنون فى حسرة ، وهم يرددون : « لن نستطيع المضى فى رحلتنا ! » .. ولكن الروح الجائحة كانت تدفعهم الى الامام باستمرار .. روح بوليفار الذى كان يظهر فى كل مكان ، ليواسيهم ويذكى عزائمهم .. وكان دائما باسم المحيا ، لا ينال منه تعب ، ولا تحد من همته خيبة أو عقبة ، ولا يؤثر البرد فى جسده الذى كانت تتقد بين جوانحه روح متأججة الحماس ..

ولم يكن يكترث لشىء ، ولا يفتأ يردد : «ان علينا رسالة لابد من أن نؤديها ، ولن يوقفنا عن ادائها شىء ! »

ولم يوقفهم شيء فعلا !.. وعند ما انحدر مع الخمسمائة محارب الذين تبقوا معه ، هابطين من اعالى (الانديز) ، ساعين الى (فنزويلا)، راح أنصار الحكم الاسبانى يحملقون فيهم مذهولين ، وكأنهم بلاء ينصب من السماء ، أو كأنهم اشباح مسحورة ، بثت فيها قوة خارقة من وراء الغيب.. وقالوا : « ان هؤلاء الجنود شياطين ولا بد ! » .. فرد بوليفار : « لسنا شياطين ، وانما .. نحن روح النقمة والانتقام ! »

.. حتى الاسبان ينضمون اليه !

• **وعند ما** بلغ بوليفار ــ أخيرا ــ حدود بلاده ، صف جنوده وخطب فيهم قائلا : « أيها الجنود : ان سواعدكم قد حملت الحرية حتى أبواب فنزويلا .. وعند ما يبدأ الظلام فى الانحسار أمام أضواء الفجر الاولى ، يجب أن يتبدد الاسبان كما تتبدد أصداء طلقات بنادقكم .. أيها الشجعان ، ان أمريكا تعتمد فى خلاصها على أيديكم .. لقد غلبتم (الانديز) ، وبقى لكم فخر التغلب على ملك اسبانيا نفسه ! »

فقد كانت فنزويلا أهم قاعدة للاستعمار الاسبانى .

وشق طريقه فى بلاده ، وسط عواصف من الحماسة والتأييد ــ تفوق كل مايخطر بأى بال ــ زاحفا نحو مسقط رأسه : (كراكاس) . وكان فى كل مدينة ، وفى كل قرية ،

يجد متطوعين يتلهفون على الانضمام الى جيشه .. **ومن العجب انهم لم يكونوا جميعا من أبناء أمريكا الجنوبية ، بل كان بعضهم اسبانيين ممن استقر بهم المقام ، وتوطنوا فى تلك الاصقاع ، اذ كان السخط على فساد الحكام الاسبانيين قد بلغ أشده ..** حتى لقد كان بين المتطوعين الاسبان — فى قوات بوليفار — ضابط برتبة « ميجر » اسمه « فيشنتى الياس » ، بلغ من تهوسه فى كراهية الحكام من بنى وطنه ، أن أقسم أن يفتك بهم عن بكرة أبيهم .. وكان يقول : « عندما أقضى على الاسبان سأتحول الى أسرتى ، ثم أقضى على نفسى ، حتى لا يبقى على قيد الحياة — فى هذه البلاد — واحد من قومى ! »

ولقد جلب « ميجر الياس » معه — عندما انضم الى جيش التحرير — فصيلة كاملة من المتطوعين المدربين !

انتصار « محرر فنزويلا »

• **وهكذا** أصبح « بوليفار » قائدا لقوة لا يستهان بها .. لجيش كان يضم رجالا تلهب الحمية صدورهم ، ويدفعهم عزم طاغ على أن لا يروا لحملتهم سوى نهاية واحدة .. هى النصر !

وعلى ذلك فقد مضوا يشنون على العدو الحملة تلو الحملة ، غير مكترثين بخطر ما ، ولا مبقين على أرواحهم ، حتى اضطروا الاسبان الى أن يفروا أمامهم . وقد بلغ من

اصرارهم على الفوز ، انهم – فى احدى المعارك العصيبة – أعادوا الكر على العدو ، كلما صدهم ، عشرين مرة .. و « بوليفار » على راسهم ، لا يستريح ولا يهن .. وكان يخوض الاهوال غير حافل ، ويخرج فى النهاية حيا ، وكأنما هو مسلح بتعويذة سحرية ، حتى داخل اتباعه اعتقاد بأنه ذو قداسة ، فكانوا يقولون : « ان الله يصونه من أجل أمريكا .. فقد كتب لامريكا ان تتحرر ! »

وفى ٩ أغسطس سنة ١٨١٣ ، دخل جيش التحرير (كراكاس) مظفرا .. وكانت المدينة تستكين فى أحضان تجويف فى الجبل ، تحف بها الزهور .. وسار « بوليفار » على رأس رجاله ، وسط أكاليل الغار والاعلام والحشود المتهللة من الناس .. وكان رجاله – وقد تهلهلت ثيابهم ، وحفيت أقدامهم ، وأثخنوا بالجراح ، دون أن ينال ذلك من فرحهم – يحملون الاعلام التى غنموها من العدو . وساروا حتى الميدان العام .. وهناك ، على منصة عالية ، خلع أعيان المدينة على « بوليفار » اللقب الذى عرف به منذ ذلك الحين ، والذى التصق باسمه فى التاريخ : « المحرر » .. محرر فنزويلا

الحسد والمطامع والحروب الاهلية

• **واذا** كان « بوليفار » قد نجح فى التغلب على أعدائه ، فانه كان عاجزا عن التغلب على اصدقائه . اذ أن كثيرين منهم

تملكهم الحسد لما أصابه من نجاح و مجد، واذا بهم ينقلبون عليه ، ويتهمونه بأنه كان ذا مطامع ديكتاتورية.. واذا بعدد من أعوانه السابقين قد أقاموا أنفسم ديكتاتوريين يعملون لمصالحهم الخاصة ، ورفضوا الاعتراف لقائدهم العام بأى سلطان عليهم !

وكان من الطبيعى أن يفضى هذا الى أن تدب الحروب الاهلية فى جنبات فنزويلا .. فمن معارك فى الشوارع ، الى حركات عصيان وتمرد، الى انتقاض من المحاربين على الجيش وهجر لصفوفه .

وحاول «بوليفار» ما استطاع أن يبقى على وحدة قومه ، واستخدم كل ما كان فى وسعه من اساليب نفسية .. فمن ملاطفة وملاينة ، الى اغراء ، الى تشجيع ، الى مكافآت ، الى وعود ، الى تهديد ، الى تذكير بالصالح العام ، الى الاهابة بالشعور الوطنى ، الى محاولة ايقاظ الادراك السليم .. وكان يعمد – فى بعض الاحيان – الى البطش ، اذا ما رأى الضرورة تدعو اليه ، فى سبيل تخليص الوطن من سعاة الشر ، وذوى النوايا الخبيثة .. وقد ذهب فى ذلك الى درجة أن امر يوما باعدام خمسمائة رجل ، قائلا : « اذا كنت اضطر الى اللجوء الى وسائل فظيعة – انفر منها بطبعي – فانما أفعل ذلك لاخلص وطني من اعدائه ! »

العنف بالعنف .. والبادى أظلم !

• **وما كان** بوليفار بالرجل القاسى ، ولكنه كان مضطرا الى أن يحارب العنف بالعنف. فقد كان أعداؤه ـ سواء من الاسبانيين أو من الامريكيين ـ ممن لا يقفون عند حد . وكان بينهم شخص يدعى « موراليس » ، لا يسير الا ووراءه عبد هائل الجسم ، عرف باسم : « منفذ أحكام الاعدام » .. فقد كان هذا العبد جبارا ، لا هم له ولا تسلية الا أن ينظف طريق مولاه من « الحشرات الآدمية » !

كذلك كان بين اعداء بوليفار شخص يدعى « زوازولا »، اعتاد أن يزين قبعته بأذن أى امرىء يعصاه !..وكان هناك عدو آخر ـ يدعى « انتونانزاس » ـ اعتاد أن يهدى اصدقاءه صناديق مليئة بأيد وأقدام مبتورة ، وبأنوف مجدوعة .. من غنائم المعارك التى كان يشنها ! .. وما كل هؤلاء سوى نماذج لاولئك الذين تمردوا على « بوليفار » ، فاضطر الى أن **يحاربهم** .

ولقد حاربهم بعين العزم والدأب اللذين حارب بهما العدو الاصلى ، واستطاع أن يقضى عليهم واحدا بعد آخر . وكان فى بعض الاحيان يوشك أن يفقد حياته ، سواء فى نضال صريح ، أو نتيجة الغدر والتآمر . وقد حدث ان غادر داره ـ ذات ليلة ـ ليقابل شخصا انجليزيا كان يعطف على قضية

فنزويلا . وفى غيابه ، أقبل صديق حميم لزيارته ، فلما لم يجده ، استلقى على مضجعه ، فى انتظار أوبته .. **وعند ما رجع « بوليفار » الى داره ، ألفى ذلك الصديق مضرجا بدمائه، وقد غاص فى قلبه خنجر . وبدا من الجلى أن عدوا ظنه « المحرر » فاعتدى عليه !**

وليست هذه سوى مصادفة من المصادفات التى نجا فيها من الغدر بمعجزة . فان القتلة كانوا يعجزون عن معرفة مكان يتربصون له فيه ، أو موعد ينقضون فيه عليه .. وكان أصدقاؤه يقولون مباهين : « من العسير أن تصيب خيال الصقر وهو طائر » !

يحرر أمريكا الجنوبية بأسرها

• **وراح** «الصقر» يتعقب الطغاة والغادرين، فى كل مكان من أمريكا الجنوبية .. فى الشمال ، والشرق، والجنوب ، والغرب .. عبر الانهار ، وفوق الجبال ، وخلال الغابات الكثيفة .. أينما ذهب أعداؤه كان يتعقبهم، ثم ينقض عليهم كالبرق الخاطف .. **وفى كل مكان ، كان يقابل بالتكريم ، ويهتف القوم بحياة « المنقذ » و « المخلص » .. محرر فنزويلا ، ونيو جرانادا ، و كولمبيا ، و اكوادور ، و بوليفيا ، و شيلى ، و بيرو ..**

وهكذا مضى دائبا فى استئصال شأفة الاستعمار الاسبانى فى أمريكا الجنوبية ، حتى لم يعد ذلك الاستعمار سوى .. مجرد ذكرى !

ولم يحن اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٨٢٦ ، حتى كان ((بوليفار)) قد أتم مهمة التحرير عن آخرها .. وحق له أن يستريح ، وان يخلد الى حياة هانئة ، مشرقة .. ولكن البقية التى تبقت من حياته كانت — فى الواقع — مأساة محزنة . فان الحملات والحروب كانت قد انهكت صحته . وراح يعانى من نكسات متكررة للحمى .. وشهد البلاد التى حاول أن يوحدها تتفكك ، ومنى بفشل محاولته عند ما أراد أن يعقد فى بناما «برلمان» مشتركا لدول أمريكا الجنوبيـة ، على نمط « الكونجرس » فى ولايات أمريكا الشمالية .. وراح الحسد ، والتآمر ، والمنافع الشخصية — فى كل مكان — تهدد بأن تعصف بالبلاد وتسلمها الى الفوضى .

ولم يشأ أن يستسلم ، بل شرع فى جولة بدول أمريكا الجنوبية ، وهو يردد : « لنقض على الاقليمية .. ليست هناك فنزويلا ، واكوادور ، و بوليفيا ، و شيلى ، و بيرو ، بل يجب أن تتحد جميعا فى أسرة واحـدة .. الاسرة الامريكية ! » .. وفى كل مكان ، كان الناس يصفقون لهذه الكلمات ، ويتعاهدون على أن يرتبطوا بها ، حتى اذا غاب قائلها عن أبصارهم ، نسوها ونكثوا بعهودهم !

وحيد و مفلس .. فى النهاية !

• **وهكذا** كانت المؤمرات ، والاغتيالات ، والتنافس غير المشروع ، تؤلف دوامة تجتاح أمريكا الجنوبية .. كان فى

(بوليفيا) ـ على سبيل المثال ـ ثلاثة رؤساء ، أغتيل منهم اثنـان فى اسبوع واحد . وكانت الثورات تستـشرى فى اكوادور ، و نيو جرانادا ، و فنزويلا .

وأعيا الامر « بوليفار » .. قعدت به صحته عن أن يقوم بدور عملى فى قمع هذه الفوضى ، فراح يناشد مواطنيـه ويهيب بهم أن يثوبوا الى رشدهم . فلم يكن منهم الا أن أجمعوا على أن يمنحوه معاشا قدره ثلاثون ألف «بيسوس»، ليفى بنفقات عيشه ، ثم مضوا يستأنفون صراعهم .. **وكان رده على ذلك أن رفض هذا المعاش ، بالرغم من أنه كان قد أصبح معدما ، بعد أن ضحى بثروته كلها فى سبيل قضـية بلاده !**

وتلفت حوله فاذا هو وحيد .. فقد انفض عنه أصدقاؤه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من نكص على عقبيه ، وتنكر له ، فلم يبق على الوفاء له سوى بضعة أفراد قلائل .. بل لم يبق وفيا له سوى مساعده «سوكر»، واستاذه الفيلسوف الكهل «رودريجيز» ، وياوره الايرلندى « اوليرى » ، و .. عشيقته « مانسويلا » !

يهجر بلاده ليخلو الى أحزانه

• **وكان** قد التقى بمانسويلا فى (كويتو) ، عند ما دخل هذه المدينة مظفرا ، بعد أن فاز فى معركة (بيشينشا) ..

فبينما كان يتقدم على رأس موكب النصر ، رمته الغانية بوردة ، من الشرفة التى كانت تقف فيها .. وان هى الا أيام حتى رمته بقلبها كذلك !

وكانت مانسويلا زوجة طبيب انجليزى توطن فى (كويتو)، فلم تحجم عن أن تهجر زوجها لتتبع « بوليفار » ، اينما سار فى مغامراته. وظلت معه عند ما تراكمت حوله الاحزان والأشجان .. وكان زوجها يتوسل اليها – من حين الى آخر – ان تعود اليه ، ولكنها كانت ترفض دائما ، وتقول : « انه لأكرم لى أن أكون عشيقة بوليفار ، من أن أكون زوجة أى امرىء آخر ! »

كان « بوليفار » الها فى نظرها .. وقد ظلت مؤمنة به ، حتى بعد ان تخلى عنه سائر اتباعه ! .. ولكن « بوليفار » كان راغبا فى أن يخلو الى أحزانه ، وعقد العزم على ان يهجر مسرح انتصاراته الحربية وخيباته السياسية ..

ولكن .. الى أين تراه يذهب ؟

حصاد الذين حرثوا .. البحر !

• **والواقع** أنه لم يعبأ بوجهة معينة، ولم يطمع فى مكان معين .. كل همه كان أن ينأى عن الحزازات ، والعداوات ، والتناحر .. عن الهوة التى تردى فيها أبناء وطنه. أولئك الذين جلب لهم الحرية ، فأضلتهم المطامع عن أن يحسنوا

استعمالها ، وخسرت أمريكا الجنوبية ـ بسببهم ـ السلام ، بعد أن كسبت الحرب !

كان يحز فى قلبه أن يرى الجهاد الطويل الشاق ، الذى أفنى فيه عمره ، قد انتهى الى كسب ضئيل . فلم يعد يطيق أن تقع عيناه على أمريكا الجنوبية ، أو أن يستنشق هواءها المحمل بالغدر والدس والتآمر والتناحر .. **وكان لا يفتأ يردد متحسرا : « ان الذين قاموا بالثورة منا ، انما كانوا يحرثون البحر ! » .. وهل يحرث البحر ؟ ! .. وهل ـ اذا حرث ـ يمكن بذره واستنبات الزرع من مائه ؟ !**

وفى هدوء ، استقل البطل المحسور بارجة ، وغادر بلاده للمرة الاخيرة .. وكانت البارجة تتجه الى (جامايكا) ، ولكن المرض اشتد ببوليفار خلال الرحلة ، وساءت حاله ، حتى أن قائدها لم يجد بدا من أن يحول طريقه الى (سانتا ماريا) ، على ساحل (كولمبيا) .. فلما بلغوها حملوا « بوليفار » الى البر فى محفة .. حفنة من عظام محمومة ، ترتجف وتئن .. تلك هى كل ما كان قد تبقى من « محرر أمريكا الجنوبية » !

ومكث هناك أياما يحتضر ، ويقول : « ان امنيتى الاخيرة ـ وانا أموت ـ هى ان ارى أبناء وطنى متحدين ! »

. . . .

. . . .

. . . .

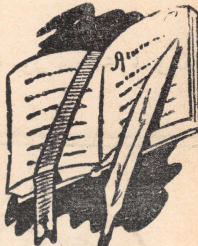
وبعد اثنى عشرة سنة من وفاته ، قدر لامنيته أن تتحقق .. فى نطاق محدود . ففى أحد أيام شهر ديسمبر سنة ١٨٤٢ ، كون اسطول يمثل جميع الدول التى حررها « بوليفار » موكبا لينقل رفاته الى مدفن أعد لها فى مسقط رأسه .. (كراكاس) .

وبدأ مواطنوه يعرفون بطولته ، ورسالته ، وعظمته !

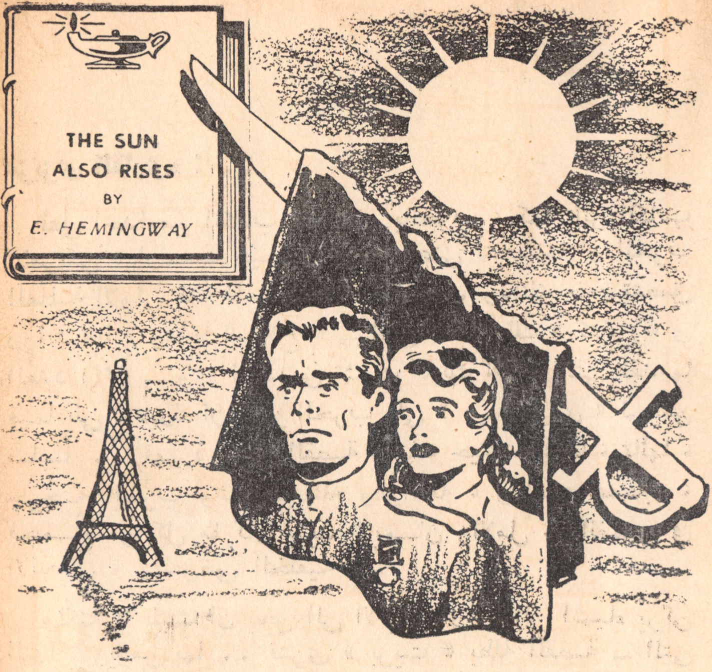
عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية
قصص : أموك : لستيفان
زفايج . قلب عذراء : جون
جالزورثى . أحدب نوتردام :
فيكتور هوجو . جريمة حب :
بول بورجيه . مانون ليسكو :
الاب بريفو . حديقة الله :
روبرت هتشنز . عندما تحقد
المرأة : جورج أونيه . آسيا :
ايفان تورجنيف . الشيطان على
الارض : برتراند رسل .
الحب الاول : تورجنيف . تاييس :
أناتول فرانس . بلاد العميان :
هـ . ج . ويلز . نادى الانتحار :
روبرت لويس ستيفنسون .
كوخ العم توم : هارييت بيتشر
ستو . الزوج والعشيق :
سومرست موم . البوهيمية :
هنرى مرجيه . فتاة لها ماض :
بول بورجيه . شيرى : كوليت
. الجريمة والعقاب . لحن
كرويتزر . افروديت . الشيطان
فى الجسد . «اليهودى التائه»
. « صباح الخير أيها الحزن »
. غريزة السعادة : اندريه موروا
. فيكى : ارسكين كالدويل .

الحياة قصة



روائع القصص العالمى



الشمس تشرق.. كذلك!

قصة جيل مضيع تائه، فى أعقاب الحرب

كما صوره الروائى الأمريكى الكبير: ارنست هيمنجواى

تلخيص: محمد بدر الدين خليل

عزيزى القارىء :

لعل أحدا من الكتاب لم يتأثر بالحرب ، كما تأثر الكاتب الامريكى « ارنست هيمنجواى » ، حتى لتحسب ان الحرب العالمية الاولى قد خلفت له علة نفسية . ولكنك حين تتعمق روايتيه : « وداعا للسلاح » ـ التى قدمها لك « كتابى » فى العدد (٧٤) ـ و « الشمس تشرق كذلك ! » ، التى نقدمها فيما يلى ، تدرك أن تأثير الحرب على « هيمنجواى » لم يكن سلبيا .. فهو فى هذه القصة يصف جيلا مضيعا ، تائها ، جرحته الحرب وشتتت باله وعواطفه ، وأتلفت أعصابه ، فجمح من كل ما كان يؤيد الايمان والامل ، وانغمس فى الانحلال ، والفوضى الخلقية ..

ولكنه لا يلبث أن يحن الى الاستقرار ، والى اشياء يركن اليها ، ويؤمن بها .. فترى « بريت » بطلة القصة ـ التى حطمها الكبت وخيبة الامل فى حياتها الارستقراطية ـ تجمح وراء شهواتها ، ثم تستيقظ روحها حين تشعر ان فى تشبثها بمصارع الثيران الشاب ـ الذى لا يحفل فى الحياة بغير المصارعة والثيران ـ قضاء على شبابه ومستقبله .. واذ عز عليها ان تؤمن بالدين، وهى تشعر ان القدر لم ينصفها ـ لاسيما اذ حرم الرجل الوحيد الذىأحبته حقا من فحولته، بسبب جرح فى الحرب ـ اذا بها تتخذ من عزمها على أن لا تكون متهتكة ، ما يعوضها عن الدين ..

وهكذا يرى « هيمنجواى » أن الشمس التى غربت على هذا الجيل التائه الحائر ، كانت تشرق كذلك .. تشرق فى كل نفس اعياها الانطلاق الجامح ، الاهوج !

والآن ، اقرأ القصة ، ولكن .. لا تقنع بأحداثها وحدها ، بل حاول أن ترتاد نفوس ابطالها ، فسوف تجد فى أعماق كل منها قصصا ! .. أما هيمنجواى نفسه ، فسوف تجد سيرته وقصة حياته ، فى مكان آخر من هذا العدد .

الجزء الاول

• **كنت** قدتناولت عشائى – فى ذلك المساء – مع «كوهن» و « فرانسيس » ، وأعقبنا العشاء بالقهوة ، ثم ببعض المشروبات الخفيفة .. وراح « كوهن » يتحدث عن الذهاب معى فى رحلة خارج باريس – فى عطلة آخر الاسبوع – دفعا للسأم ، فاقترحت ان نذهب الى (ستراسبورج) ، حيث كنت أعرف فتاة تستطيع أن ترينا معالم المدينة . واذا بى أشعر بقدم تركلنى تحت المائدة .. وظننت الامر عفوا ، فاستطردت قائلا : « انها فتاة بديعة ! » . وشعرت بركلة أخرى .. وفى هذه المرة ، التفت الى فرانسيس ، فرأيت وجهها متجهما . وأسرعت أقول : « ولكن ، لماذا نذهب الى ستراسبورج ! .. نستطيع ان نذهب الى اى مكان آخر ! »

وبدا الارتياح على وجه « كوهن » . حتى اذا تأهبت للانصراف ، رافقنى بزعم شراء احدى الصحف . وهتف اذ

ابتعدنا : «بالله عليك ما الذى جعلك تذكر فتاة ستراسبورج؟ ألم تر « فرانسيس » ؟.. انها هكذا ، تغار من أية فتاة ! »

***

كان « روبرت كوهن » يوما بطلا فى الملاكمة ، من الوزن المتوسط . ولا تظن اننى مبهور بهذا اللقب ، ولكنه كان ذا قيمة عظيمة لكوهن . . والواقع انه لم يكن يعبأ بالملاكمة لذاتها، بل انه كان يكرهها . الا انه عانى الكثير فى تعلمها ليقاوم الشعوربالنقص والخجل، اللذين كانا يراودانه أثناء دراسته فى جامعة (برينستون) ، بوصفه يهوديا !

ولقد قدر له أن يتزوج ، وأن ينجب ثلاثة أطفال فى خمس سنوات ، وأن يبدد الشطر الاكبر من خمسين ألف دولار خلفها له أبوه. ثم راح يعانى الشقاء من جراء زوجته الفنية. حتى اذا قرر أن يهجرها ، اذا بها تهجره وتهرب مع رسام ! .. وشغف ـ بعد ذلك ـ بالادب فساهم فى الانفاق على مجلة أدبية ، مما تبقى من الخمسين الف دولار ، وانتهى به الامر الى أن يكون المحرر الاوحد للمجلة .

ولما أوشك أن يعجز عن الانفاق عليها ، أخذت بيده سيدة كانت تأمل فى ان تلمع على حساب الادب .. **وكانت قوية الارادة ، ولم يكن كوهن قد حظى بان يتولى احد قياده من قبلها ، فاعتقد انه أحبها !**

وعندما تبينت فرانسيس ـ وهو اسم تلك السيدة ـ ان المجلة لن تلمع البتة ، قررت أن تظفر من كوهن بأقصى ما يسعها الظفر به. فرحلا الى أوربا ، وقضيا فى باريس عامين

اكتسب خلالهما صديقين : «برادوكس» ـ زميله فى الادب ـ وأنا . زميله فى «التنس» . وفطنت فرانسيس بعد ذلك الى انها بدأت تفقد ملاحتها ، فراحت تتشبث بكوهن ، وتلح عليه بأن يتزوجها .. ومع انه ظل عامين ونصف ـ منذ ذلك الحين ـ على وفائه لها ، لا ينظر الى سواها ، الا انه أبى أن يتزوجها ! .. ثم قدر له أن يرحل الى امريكا ، حيث باع رواية ألفها .

وعندما رجع، كان قد تغير تغيرا تاما .. اذ لقى من الناشرين اطراء ، وصادف عددا من النساء اللائى تقربن اليه ، وتلطفن معه .. وأعتقد انه لم يحب واحدة منهن ، بل ولا أراه قد أحب يوما فى حياته . ولكن تشبث فرانسيس به ، وحرصها عليه ، أقنعه بأن الامر لم يكن مجرد معجزة من السماء ، فلابد انه قد أوتى جاذبية لا ريب فيها . كما أن فوزه فى «البريدج» بعدة مئات من الدولارات ،بعث الغرور فى نفسه ، فراح يتمشدق بأن فى وسع المرء أن يعيش على مكاسبه من « البريدج » ، اذا ما اضطرته الظروف ..

وفى ذات يوم ، اقتحم مكتبى ليسألنى : « هل تحب ان تصحبنى الى امريكا الجنوبية يا جيك ؟ » . ومع اننى أجبته بالنفى ، فقد عاد يقول : « هل تذهب معى اذا أنا تكفلت بنفقاتنا معا ؟ » .. وسألته عن سر اختياره اياى ، فقال : « لانك تجيد اللغة الاسبانية !» . واذ ذاك قلت له : « اننى أحب باريس ، وفى الصيف أذهب الى اسبانيا » .. فقال فى نوع من القنوط : «لست أقوى على صد الشعور بأن عمرى

ينقضى سريعا ، واننى لا استمتع بالحياة حقا .. ألم تشعر يوما يا جيك بأنك لم تعش نصف العمر الذى مر بك ؟.. اننى أريد أن أذهب الى امريكا الجنوبية . لقد كرهت باريس ! » .

وعبثا حاولت أن أحمله على أن يحيد عن هذه النزوة ، فان عقله اليهودى العنيد تشبث بها فى اصرار !

***

وفى امسية من أمسيات الربيع الدافئة ، علقت بى فتاة من فتيات باريس ، تدعى « جورجيت » ، فاصطحبتها فى عربة من العربات التى تجرها الخيل ، فى جولة فى شوارع باريس الواسعة ، اللامعة ، التى كانت شبه مقفرة .. والتصقت بى الفتاة ، فطوقت جيدها بذراعى . **وأرادت أن تجزينى بأكثر من القبلات ، ولكننى كنت زاهدا ، وما استبقيتها الا لان فكرة مبهمة أوحت الى بأن صحبتها قد تجعل العشاء هنيئا !**

واذ استقربنا المقام فى مطعم هادىء ، سألتنى الفتاة وهى تقرع كأسها بكأسى : «لماذا تبدى كل هذا الزهد، وانت شاب لابأس به ؟ » . فقلت : « انه داء من آثار الحرب!» .ورحنا نتحدث عن الحرب فاتفقنا على انها كارثة تحيق بالحضارة ، وان من الخير تفاديها .

وفى اللحظة التى اوشكت فيها أن أمل الحديث ، أقبل على المطعم برادوكس وزوجته ، و كوهن و فرانسيس . فانتقلنا جميعا الى ملهى كان برادوكس مشغوفا بالتردد عليه

.. وقامت « جورجيت » لتراقص شابا من الفرنسيين كان مع جمـاعة من الماجنين ، فجلست الى « البـار » أشرب وأرقبها .

وفجأة ، اقبلت ثلة من الشبان الامريكيين الذين يعيشون فى باريس لوجه الادب والفن .. وكانت صديقتى القديمة «الليدى بريت آشلى» بينهم وقدتألقت فتنتها ، حتى لقد راح كوهن يحملق فيها كما كان بنو جلدته ـ اليهود ـ يحملقون حين اشرفوا على ارض الميعاد .. **والحق ان «بريت» كانت تسبى العقول !**

وقلت لها : « ما أبدع الثلة التى تصطحبينها ! » . فقالت: « وانت يا عزيزى ؟ .. من أين التقطت هذه الفتاة ؟ .. هل نعمت معها بأمسية بديعة ؟ » . وكان جوابى : « أوه ، انها ليست ذات قيمة لدى ! » . فضحكت قائلة : « هـذه اهانة لنا جميعا يا جيك ! » . وكانت الموسيقى قد بدأت تعزف لحنـا جديدا ، فقـال روبرت كوهن : « هل لك أن تراقصينى يا .. ليدى بريت ؟ » . فابتسمت قائلة : « لقد وعدت جاكوب بارنس بهذه الرقصة ! » . ثم التفتت نحوى قائلـة : « يا لاسمك ياجيك ! .. انه من أعتق أسـماء التوراة ! » . فعاد كوهن يقول لها : « والرقصة التالية ؟ » .. وكـان جوابهـا : « اننـا على موعـد فى مونمـارتر ، وسننصرف ! » .

وبينمـا كنت اراقصـها ، لاحظت ان كوهن لم ينفك عن النظر اليها ، فقلت لها : « ها قد أرديت فريسة جديدة ..

احسبك تحبين أن تجمعى الفرائس ! » . ففمغمت : « لاتكن أبله .. انه مسكين ! » . واقتربنا من جورجيت ونحن نرقص ، فتساءلت بريت : « ما الذى حملك على أن تحضرها الى هنا ؟ » . فقلت : « لا شىء .. مجرد الضجر ! » . وعادت تتساءل فى دلال : « وهل لا تزال ضجرا ؟! .. تعال بنا نغادر المكان، ولا تخش على فتاتك، فهى فى رعاية سواك!» .. فدسست ورقة مالية فى مظروف أسلمته لصاحبة الملهى ، وسألتها أن تعطيه لجورجيت حين تفتقدنى .

وخرجت مع « بريت » فعرجنا على حانة مجاورة ، ثم استقللنا سيارة .. وسألتها : «الى أين يمضى بنا السائق؟» . فقالت : « أطلب اليه أن يقوم بجولة ! » .. وانكمشت فى ركن من السيارة ، وأغمضت عينيها ، ثم غمغمت : « لشد ما كنت تعسة يا حبيبى ! » . وأخذت السيارة ترتج ، وهى تسلك بنا طرقا أزيلت صفحة القار عن سطحها ، لتكسى بطبقة جديدة . حتى اذا تحولت بنا الى طرق مظلمة نوعا ما، اشتدت حرارة القبلات التى كنا نتبادلها . وفجأة ، أهابت بريت بى : « لاتمسنى ! » . فتساءلت فى دهشة عما جرى، واذا بها تقول : **« يجب أن تعرف اننى .. لا أستطيع احتمال كل هذا ! .. اواه يا حبيبى ، اننى استحيل الى عجينة رخوة حين تمسنى ! »**

وراحت تحدق فى عينى ، وهى تقول : «أواه ، اننى لاأريد أن أخوض الجحيم مرة أخرى ! .. لقد خضت جحيم الحب العذرى مرة مع صديق لاخى ، ولكن الشبان لايعرفون شيئا

قط !.. انما الحب جحيم على الارض ! » .. فقلت : «ولكن من الجميل للمحبين أن يرى أحدهما الآخر » . غير انها أجابت : « لا ، لا أظن ذلك ! »

وأمرت سائق السيارة بأن يتجه بنا الى مقهى «سليكت» فى (مونبارناس) . فلما بلغناه ، ومددت يدى اساعد«بريت» على الهبوط ، كانت يدها ترتجف..وألفينا معظم ثلتنا قد سبقونا الى هناك ، وهم سادرون فى صخبهم المرح.وعلمت أن كوهن آب الى مسكنه مع فرانسيس . وعقب برادوكس قائلا : « **يا للمسكين !.. انه يبدو ضجرا ، خائر الروح ! »**

***

وانصرفت بعد أن اتفقت مع « بريت » على لقاء ، فى الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالى.وسرت فى الطرق الخالية من المارة ، واضواء الليل تخبو رويدا . حتى اذا بلغت مسكنى ، تصفحت البريد فى غير اكتراث ، ثم أضأت المصباح القائم بجوار السرير ، وفتحت النوافذ على سعتها ، وجلست على السرير ، دون ان اخلع ملابسى .. ولم أشعر برغبة فى النوم ، ولكننى خلعت ثيابى ، واندسست فى السرير ، ثم حاولت أن أقرأ ، فأصر عقلى على أن يشرد عما كنت أقرأ !

ورحت أفكر فى الفرار من حب « بريت » ! .. وثار حزنى القديم ، اذ تذكرت الجرح الذى أصبت به فى الحرب ، والذى أفقدنى فحولتى برغم اننى كنت رجلامكتمل الصحة.

وترددت فى سمعى كلمات الطبيب الايطالى ، فى المستشفى الذى كنت قد نقلت اليه فى ميلانو : « انك أيها الاجنبى قد جدت بما هو أكثر من حياتك ! » .. ثم أردف بالايطالية : « ياله من حظ تعس ! » .. ولكننى لم أحاول قط أن أتبين فداحة المصاب ، ولعلنى لم أكن مزمعا أن اتبينها ، لو لم التق ببريت. **واحسب انها لم تكن تبغى من الحب سوى ما لم يكن من سبيل لها الى الظفر به منى !..هكذا هم الناس!**

وحاولت أن أتخلص من أفكارى ، ولكننى عدت ـ بالرغم منى ـ الى التفكير فى « بريت » . وفجأة ، وجدتنى أبكى.. وكأنما خفف البكاء من شجنى ،فلم ألبث أن نمت . وعندما استيقظت ، كانت ثمة أصوات غاضبة .. كانت ثمة امرأة تتشاجر مع حارسة الدار ، وقد راح اسمى يتردد خلال الشجار . وتبينت انها « بريت » ، وقد أقبلت مصرة على أن ترانى ، وهى ثملة تماما .. وكانت الساعة الرابعة والنصف صباحا !

وبادرتنى قائلة : « لم أكن أظن اننا فى هذه الساعة .. لا تغضب يا حبيبى ! » . وطلبت شرابا ، فقدمت لها قدحا من الويسكى والصودا .. وقال وهى تشرب : « رافقنى حتى بابك كونت يونانى ، يملك شبكة من متاجر الحلوى فى الولايات المتحدة .. لقد عرض على عشرة آلاف دولار ، كى أرافقه الى بياريتز ، فأنبأته بأننى لا أستطيع ! » . وراحت تضحك ، ثم قالت : « انك بطىء الفهم ! .. لقد قلت له اننى احبك ، وهذا حق ! .. ولقد دعانا الى العشاء فى

مساء غد ، فهل تأتى ؟ » . ولم اتردد فى القبول .

وتبادلنا القبلات ، ثم انصرفت . ورحت أراقبها من النافذة وهى تصعد الى السيارة الفخمة ، فشعرت بلوعات الجحيم من جديد !

***

عندما ولجت مكتبى فى اليوم التالى، وجدت روبرت كوهن فى انتظارى . وظل معى حتى حان موعد الفداء ، فصحبنى الى مطعم « ويتزل » .. وكان لا يزال بادى الضجر ، وقد أصبح ضجره هذا يزعجه ، ويجعله اكثر تفكيرا فى الرحيل الى امريكا الجنوبية ، ولكن فرانسيس كانت تقف فى وجه هذا الرحيل .

وأخذ يقطع بضع شرائح من الخيار ، ثم سألنى فجأة : « ما الذى تعرفه عن ليدى بريت آشلى ؟ » . فقلت له : «انها فتاة لطيفة ، تسعى للطلاق كى تتزوج من مايكل كامبل» .. فقال روبرت : « انها جذابة الى درجة عجيبة .. لقد أوتيت شيئا ما . رقة غريبة ! لكم تبدو رقيقة ، وصريحة!» .. فقلت : « يبدو انك جد معجب بها » . **فكان جوابه : « لن أدهش اذا كنت قد أحببتها فعلا ! »**

ــ ولكنها سكيرة ، وتحب « مايك كامبل » ، وستتزوج منه .

ــ ما أظنها ستفعل . لست أدرى لماذا ، ولكنى أعتقد ذلك فحسب ! .. متى تزوجت من آشلى ؟

ـ أثناء الحرب .. وكان الشخص الوحيد الذى أحبته حقا قد مات بالديسنطاريا .

ـ لست أعتقد أنها ستتزوج ثانية ، فهى لم تحب اطلاقا .. لن أصدق انها أحبت !

وتمشينا بعد الغداء حتى مقهى « ديلا بيه » .. وشعرت بأن كوهن كان يحاول ان يعود الى الحديث عن « بريت » ، ولكنى قطعت عليه محاولاته .

ولم تبر « بريت » بوعدها ان تلقانى فى الساعة الخامسة، لتلبى دعوة صديقها اليونانى.. فسعيت الى مقهى «سليكت»، واذا بروبرت كوهن هناك ، وهو أشد ضجرا وقلقا من ذى قبل ، وقد فقد الروح التى عاد بها من أمريكا فى أوائل الربيع .. **كان قد تدله فى هوى «بريت» حقا !**

وما لبثت فرانسيس أن أقبلت ، فلم تبدا كتراثا بفتاها ، بل بادرتنى تشكومن انه لم يعد اليها فى موعد الغداء. ثم قالت: « اسمع ياجيك، اننى أريد أن أتحدث اليك على حدة، فامكث هنا يا روبرت ! » .. ونهضت معها ، فعبرنا طريق (مونبارناس) ، وجلسنا فى أحد المقاهى . واذ ذاك ذكرت لى فرانسيس أن روبرت كان راغبا فى أن ينفصل عنها ، بعد أن قالت لامها ولكل معارفها انه كان وشيك الزواج منها . وانطلقت تقول : « تصور ! .. بعد أن حصلت على الطلاق من زوجى .. لقد بددت خمسة أعوام من حياتى ، ولست أدرى أى رجل يرضى بالزواج منى الآن ؟ .. ثم اننى مغرمة به ، وأريد أن أرزق أطفالا »

ــ مازال بوسعك ان تتزوجى من أى رجل .. ثم أن لروبرت أطفالا ..

ــ آه ، حقا .. لكنه أوتى مالا كذلك ، اذ ألف كتابا .. فى حين اننى لم أعد أملك مالا البتة، وكان بوسعى أن أحصل على نفقة ، لولا تسرعى فى تعجل الطلاق ! .. كلما تحدثت الى كوهن فى أمر الزواج ، صاح صارخا بأنه لا يستطيع .. لماذا لا يستطيع ؟ .. اننى كفء لان أكون زوجة موفقة ، كما اننى سهلة المعشر .. ولكن ، ليس من وراء الكلام جدوى !

واستقبلنا روبرت ــ حين عدنا ــ بابتسامة . فسألته فرانسيس عن سر هذه الابتسامة . وكان جوابه : « انما ابتسم للاسرار التى بينك وبين جيك » . فصاحت : **« لا أسرار هناك ، فلن يلبث الجميع أن يعرفوا كل شىء . لقد فاتنى أن أقول لك يا جيك ، اننى راحلة الى انجلترا .. ان هذا يحدث فى أرقى العائلات !** .. ان روبرت يقصينى عن باريس، سيعطينى مائتى جنيه ، لاذهب فأزور بعض الاصدقاء ! »

.. وتقبل « كوهن » صامتا كل ما راحت فرانسيس تقوله : « لقد كانت هذه غلطتى يا روبرت ! .. كان جديرا بى أن أعرف ــ يوم حملتك على التخلص من سكرتيرتك الحسناء فى المجلة ــ أنك لن تلبث أن تتخلص منى أنا الاخرى ! »

وكان وجهه شديد الشحوب ، حين تعللت أنا بعذر لانصرف !

***

وعدت الى مسكنى ، فلم تلبث « بريت » أن جاءت ومعها

صديقها الكونت اليونانى ، وقد حمل باقة كبيرة من الزهور. وهتفت بريت : « لقد نعمنا بيوم .. وأى يوم ! » .. وتركتها تقدم الشراب ، بينما دلفت الى حجرة أخرى لاستبدال ثيابى . على انها سرعان ما لحقت بى .. وكنت ارتدى ثيابى ببطء ، وأنا أشعر بتعب ، فطبعت على جبينى قبلة مواسية . ولم أتمالك أن هتفت : **« أواه يا بريت ، لكم أحبك ! »** . فقالت: « يا حبيبى ! .. أتريد أن أقصيه عن المسكن ؟ » .. وقبل أن أعترض، كانت قد ذهبت الى الحجرة الاخرى، فتهامست مع الكونت ، ثم عادت فمسحت على شعرى وهى تقول : « يا حبيبى المسكين !.. لقد أرسلته ليحضر شمبانيا ، فهو مغرم باحضار الشمبانيا ! »

ـ الا نستطيع أن نعيش معا يا بريت ؟ .. مجرد الاقامة معا !

ـ لا أظن ذلك ، والا خدعتك مع كل امرىء ، ولن تطيق ذلك !.. دعنا من هذا ، فانى راحلة بعيدا عنك .. هذا خير لك ، وخير لى ! .. اننى راحلة غدا ، الى (سان سباستيان) .

وعاد الكونت يتبعه سائق سيارته يحمل سلة ملأى بالزجاجات .. وجلسنا الى الشراب . وأخرج الكونت سيجارا من علبة ذهبية . وكانت الشمبانيا بديعة ، فرحنا نشرب ونتبادل بعض الاحاديث الخفيفة .. وقال الكونت لبريت : «انك فاتنة حين تسكرين يا عزيزتى .. انها الوحيدة بين من عرفت من سيدات ـ يا مستر بارنس ـ التى تكون فاتنة فى سكرها ، كما هى فاتنة فى صحوها ! »

وأفرغنا ثلاث زجاجات من الشـمبانيا ، ثم انتقلنا الى مطعم فى (البوا) ، حيث تناولنا العشاء ، فى فيض من لطف الكونت .. وكنا الوحيدين الذين ظلوا فى المطعم حتى أوشك أن يغلق أبوابه .. **ونظر الكونت الينا ، اذ آن أن ننصرف ، وقال : « ما ألطفكما معا ، لماذا لا تتزوجان ؟ »** . **فقلت : « اننا نريد أن نعيش كما نهوى ! »** .

وانتقلنا الى ملهى «زيللى» ـ فى (مونمارتر) ـ فراقصت بريت مرارا على انغام « الجـاز » التى تعزفهـا فرقة من الزنوج .. ثم تركنـا الكونت فى الملهى محوطا بالفانيـات ، واستقللنا سيارته الى فندق بريت . فلما بلغناه ، قالت لى: « لاتصعد معى .. أرجوك !.. عم مساء ياحبيبى، فلن أراك ثانية ! » . وتبادلنا القبلات لدى الباب ، ثم تحولت بريت واسرعت الى الداخل .

الجزء الثانى

• **ولم** أر بريت ثانية الابعد عودتها من (سان سباستيان) .. لا ولم أر « روبرت كوهن » ، هو الآخر . وسمعت أن فرانسيس رحلت الى انجلترا . أما هو ، فقد أرسل بطاقة قال فيها انه ذهب الى الريف ، على أن يلتقى بى فى اسبانيا حين أذهب فى رحلة صيد السمك التى تحـدثنا عنهـا فى الشتاء السابق .

وفى تلك الاثناء ، عاد « بيل جورتون » من الولايات المتحدة

.. وفيما كنا فى طريقنا الى مطعم - يوم وصوله - اذا بسيارة أجرة تمر بنا ، فتندفع منها يد تلوح لنا .. ووقفت السيارة ، فألفينا « بريت » بداخلها .

وهتف بيل : « ها هى ذى سيدة جميلة تعتزم اختطافنا!» .. وعرفت كلا منهما بالآخر ، ثم ابتسمت بريت قائلة : « لقد وصلت اليوم . وسيأتى مايكل الليلة » . وصعدنا الى السيارة معها ، وقلت للسائق : « قف عند أقرب مشرب !» . وسرعان ما كنا نجلس فى شرفة « كلوزيرى ديه ليلا » ، وأمامنا الشراب . واذ ذاك قالت بريت : « كيف حالك يا « جيك » ؟ .. لقد كنت حمقاء اذ هجرت باريس ! » .

وما ان أفرغنا كؤوسنا ، حتى نهضنا ، فاستقلت بريت السيارة ، وهى تقول : « لا تنس ان تكون فى « سليكت » حوالى العاشرة . وهات صديقك هذا معك . سيكون مايكل هناك ! »

ورحنا نجوس خلال الطرقات ، حتى حان الموعد ، فذهبنا الى مقهى « سليكت » . وكان لقاء حارا بينى و بين «مايكل» الذى اكتسبت بشرته سمرة ، وبدا موفور الصحة .. أما « بيل » فقد انصرف الى الحديث مع « بريت » . على انها مالبثت أن رمقتنى بنظرة ذات معنى ، وقالت لى و لبيل : « هناك مباراة فى الملاكمة الليلة ، فاذهبا لتتفرجا عليها ، وسأضطر الى أن أسوق المستر كامبل الى الفندق فورا ، فهو متعب ! »

***

وفى الصباح التالى – ٢١ يونيو – تلقيت رسالة من روبرت كوهن ، من (هينداى) ، يستحثنى فيها على الاسراع الى اسبانيا . وأبدت بريت و مايكل رغبة فى أن يصحبانى ، كما اننى اتفقت مع « بيل » على أن نرحل بعد اربعة أيام .. وهكذا رحنا نعد العدة لرحلة صيد السمك .

وسألتنى بريت ، فى فرصة كنا فيها معا : « هل سيذهب روبرت كوهن فى هذه الرحلة ؟ » . فلما أكدت ذلك ، قالت: « الا ترى أن وجوده معنا سيكون شاقا عليه ؟ » . **حتى اذا تبدت الدهشة على محياى ، قالت : «اذن ، فمع من تظننى ذهبت الى سان سباستيان ؟ ! »**

وسادنا الصمت برهة ، ثم سألتها : « لماذا قلت هذا ؟ » . فأجابت : « لست ادرى .. ولكنه كان حسن التصرف . اترى ان الامر سيشق عليه ؟ » . فقلت : « هذا سؤال يجيب هو عنه ، ولكن بوسعه دائما ان يرافقنا »

– سأكتب اليه ، لتكون لديه فرصة للتراجع .

ولم أرها – بعد ذلك – الا فى مساء ٢٤ يونيو ، فسألتها : « هل تلقيت ردا من كوهن ؟ » .. وكان جوابها : « انه مشوق الى الرحلة ، ويقول انه لا يكاد يحتمل الايام الباقية ! »

ورحلت مع بيل فى صباح الخامس والعشرين من الشهر ، على أن نلتقى ببريت و مايكل فى (بامبلونا) .. وكان القطار مزدحما بالسياح الامريكيين ، الذين كانوا فى طريقهم الى

(بياريتز) و (لورد) ، فى رحلة دينية لزيارة بعض الاماكن المقدسة لدى الكاثوليك .

والتقيت بكوهن فى « بايون » ، آخر محطة على الحدود الفرنسية الاسبانية . وفى الصباح التالى ، عبرنا الحدود — فى سيارة — الى اسبانيا ، وسعينا الى هضبة (بامبلونا)، التى تقوم خلفها المدينة بكاتدرائيتها العريقة .

واستقرت بنا السيارة أمام فندق « مونتويا » — على مقربة من حلبة مصارعة الثيران — حيث استقبلنا صاحبه بحفاوة ، وآثرنا بأبدع الغرف . فقد كان « مونتويا » — صاحب الفندق — يعرفنى كزائر سنوى مواظب. **وكان كوهن يبدو قلقا منذ قابلنا فى (بايون) ، فقد كان تواقا الى أن يعرف ما اذا كنا قد علمنا أن « بريت » كانت معه فى (سان سباستيان) ، ولكنى لم أشأ ان أطفىء غليله ! ..**

وفيما كنا نتناول اول غداء فى اسبانيا ، قلت : « الليلة موعد وصول بريت و مايكل » . فقال كوهن : « لست اعتقد انهما قادمان » . وكان فى لهجته شىء من التعالى ، وكأنه أوتى معرفة فوق معرفتنا ، مما أغاظنا ، فهتف بيل : « اراهنك على خمسين «بيزيتا» — وهى العملة الاسبانية — انهما سيصلان الليلة » . وكان عيب بيل انه يسرع الى الرهان اذا ما غضب .

وقال كوهن : « قبلت الرهان، فتذكره ياجيك ! » . وقلت، اخفف من حدة الموقف : « من المؤكد انهما قادمان ، ولكنهما قد لا يصلان الليلة » . فقال كوهن لبيل : « أتحب أن نلغى

الرهان ؟ » . وزاد هذا «بيل» غيظا ، فصاح : «بل أجعله مائة ! » . وابتسم كوهن قائلا : « قبلت .. ولعلك تعوضه فى لعب البريدج » . ثم انصرف ، فعتبت على « بيل » تسرعه ، اذ ان بريت و مايكل كانا مقيدين بموعد وصول نقود كان الاخير قد طلبها من اسكتلندا . فقال بيل : **« لقد أغاظنى تعاليه ومسلكه اليهودى ! »**

واذ اطمأننت الى المقاعدالتى حجزت لنا فى ملعب مصارعة الثيران ، سرت الى الكاتدرائية . وكان الضوء فى داخلها خافتا ، وثمة اناس يصلون ، وعبير البخور يملأ المكان .. فركعت ، ورحت أصلى .. داعيا لكل امرىء خطر ببالى . وشعرت بشىء من الاستحياء والندم لاننى لم أكن كاثوليكيا تقيا ، ولكننى تبينت أن ليس فى وسعى أن أفعل شيئا ازاء هذا ، سوى أن ارجو أن أشعر بالتقوى تملأ قلبى !

وذهبنا الى محطة السكك الحديدية ، بعد أن تناولنا عشاءنا فى ذلك المساء . وكان كوهن مضطربا ، قلقا. وتمنيت أن تكون « بريت » فى القطار القادم .. فما رأيت قط رجلا فى اضطراب كوهن ، وقد لذ لى أن يكون مضطربا، برغم مافى شعورى من نذالة .. وما لبث القطار أن أقبل ، فانتظرنا حتى بارح المحطة آخر فرد من ركابه ، دون أن نرى أثرا لمن كنا ننتظر . وقال كوهن ، ونحن فى طريقنا الى الفندق : « كنت أعرف انهما لن يأتيا ! »

وان هى الا دقائق، حتى تلقيت برقية من بريت و مايكل، ذكرا فيها انهما تخلفا ليلتهما فى (سان سباستيان) ..

ولست أدرى لماذا شعرت بأن فى ارسال البرقية باسمى ـ دون كوهن ـ ايثارا لى . **والحق اننى كنت حاقدا عليه ، غيورا منه .. وما خطر لى يوما اننى اكرهه ، لولا ذلك التعالى والاعتداد اللذان أبداهما أثناء الغداء ، فحفزا ((بيل)) على تحديه ومراهنته .**

وفى صباح اليوم التالى ، حجزنا لانفسنا مقاعد فى الحافلة التى كانت مزمعة الرحيل الى (بيرجيت) فى الساعة الثانية ـ بعد الظهر ـ على أن تلحق بنا بريت و مايكل عند وصولهما . وجلست فى شرفة مقهى هادىء ، أطالع الصحف، ريثما يحين موعد الرحيل ، واذا ((كوهن)) يلحق بى . وقال وهو يجلس : ((اننى لم أحظ بنوم مريح ليلة أمس)) .. وما لبث أن اردف : ((اننى لن ارحل اليوم الى بيرجيت ، فاذهب أنت مع بيل ! .. أخشى أن يكون فى الامر سوء فهم .. اخشى ان يكونا ـ بريت و مايكل ـ قد توقعا أن يقابلانى فى سان سباستيان ، ولهذا تخلفا هناك)) . فسألته : ((وما الذى يحملك على هذا الظن ؟))

ـ الواقع اننى كنت قد كتبت لبريت مقترحا ذلك !

اذن ، فهذا هو السر ؟ ! .. ولقد كان يطيب له أن يتكلم وهو موقن من اننى أشعر بأن ثمة علاقة بينه و بين ((بريت))! .. واشتد عجبى حين التقيت ببيل، فذكر لى ان ((كوهن)) قد صارحه ـ فى الليلة السابقة ـ بأنه كان على موعد مع بريت، فى (سان سباستيان) . وغضبت أشد الغضب، ولكن بيل راح يسرى عنى ، ثم اردف : ((كيف قدر لك أن تعرف هذا

الشاب ؟ . . أليس لديك مزيد من الاصدقاء اليهود لتحضرهم ؟ . . ومع ذلك فاننى اميل لروبرت كوهن هذا ، وكل ما هنالك انه . . فظيع ! »

وضحكت ، فصاح بيل : « اجل ، اضحك ! . . انك لم تكن معه ليلة أمس حتى الساعة الثانية صباحا ! . . ما هذه القصة عنه وعن بريت ؟ . . **يالها من حمقاء . لماذا ذهبت معه الى سان سباستيان ؟ . . لماذا لم تذهب مع واحد من قومها ، أو معك أنت ؟ »** . . ثم نظر الى وجهه فى المرآة ، واردف : « أو أنا ؟ . . ان لى وجها ينم عن الامانة ، وتطمئن اليه كل امرأة . . ان هذا الكوهن يكاد يزهق انفاسى ، ولكم يسرنى انه سيبقى ولن يكون معنا فى صيد السمك ! »

***

وكان الحر قاسيا ، لافحا ، والحافلة الذاهبة الى (بيرجيت) مزدحمة ، حتى لقد كان الرجال والنساء يجلسون فوق سقفها . ولكن النسيم لم يلبث أن لطف أثناء الطريق . وعندما بلغنا البلدة ، نزلنا فى فندقها الوحيد . . وكان الليل باردا ، فأوينا الى فراشينا عقب العشاء .

وبينما كنا نحتسى القهوة بعد الفطور ـ فى الصباح التالى ـ أثار «بيل» سيرة كوهن ، فصحت به : « ياللجحيم ! . . اننا نستقبل الصباح ! » . فصاح : « هكذا انت . ومع ذلك فأنت تزعم انك كاتب ، ولكنك مجرد صحفى . . صحفى مبعد عن وطنه . ان القهوة مفيدة لك ، فان فيها كافايين ! . .

اتعرف ماعيبك ؟ ..عيبك انك بعيد عن وطنك ، ومامن أحد غادر وطنه واستطاع ان يكتب أو يقرأ ! .. لقد قطعت صلتك بالارض ، وافسدتك المقاييس الاوربية الزائفة .. ان الجنس يزعجك ، ويقض عليك هناءك ! .. انك لا تعمل ، والناس فريقان فى أمرك : فريق يزعم أن النساء تعولك ، وفريق يزعم انك عاجز جنسيا ! »

وأمسك فجأة ، وقد شعر انه جرحنى بعبارته . ولكننى قلت اخفف عنه : « اننى لست بالشاب الطيب ! » . واذا به يصيح : « بل انك الطيبة ذاتها .. وانى لأكثر حبا لك منى لاى مخلوق على وجه الارض ! »

وانطلقنا نجتاز التلال التى كانت الماشية ترعى فى جنباتها، ثم عبرنا الجدول الى الحقول ، وعبرنا جدولا ثانيا ، ثم نفذنا خلال غابات الى حقول أخرى .. وما لبثنا أن بلغنا قمة التلال المكسوة بالغابات، حتى وصلنا الى نهر (ابراتى) ، وسعينا الى سدمقام عليه..وكانت رحلة طويلة، ولكن متعة الصيد عوضتنا عما لقينا من نصب ، فاستطعت أن أصيد ست سمكات كبيرة ، واصطاد «بيل» ثلاثا أكبر .. ثم رحنا نأكل ، ونشرب النبيذ ، ونتحدث ، ونضحك ، ونهذى . وما لبثنا أن اضطجعنا على الارض ، ورأسنا فى الظل ، ورحنا نتطلع الى السماء .

وتساءل بيل : « وبعد ، ما مسألة بريت هذه ؟ ..هل كنت تهواها يوما ؟ » . فقلت : « بالتأكيد » . وعاد يسألنى: « كم من الزمن ؟ » . فقلت : « مدة طويلة جدا ..ولكن ،

على فترات ! » وهنا قال : « آسف ايها الصديق ! » .

فقلت : **« لا بأس عليك .. انني لم أعد أحفل بالامر ، وان كنت أوثر أن لا اتحدث عنه ! »** .

ومكثنا فى البلدة خمسة أيام نعمنا خلالها برياضة صيد السمك .. ولم نتلق كلمة من « روبرت كوهن » ، ولا من « بريت » و « ماك » !

***

ثم وصل خطاب من مايكل ـ ذات صباح ـ من (سان سباستيان) ذكر فيه انه وبريت وكوهن كانوا فى طريقهم الى (بامبلونا) ، حيث اعتزموا أن ينزلوا فى فندق « مونتويا » .. وهو الفندق الذى اعتدت النزول فيه ـ فى كل موسم ـ والذى كان صاحبه صديقى . وكنا فى يوم الاربعاء ، بينما كان الخطاب قد كتب فى يوم الأحد .. ولم نكد ننتهى من تناول الفطور ، حتى تلقيت برقية بالاسبانية من كوهن ، جاء فيها انهم اعتزموا أن يصلوا الى (بيرجيت) فى اليوم التالى .

ولكن موسم مصارعات الثيران كان وشيك البدء ، فأبرقت اليهم بأننا فى طريقنا الى (بامبلونا) . ثم بادرنا بالرحيل ، فبلغناها فى أصيل اليوم ذاته .. وكانت المصابيح الكهربائية تزين ميدان البلدة استعدادا لأعياد القديس « فيرمين » ، ولمصارعات الثيران التى تتخللها ..

واستقبلنى « مونتويا » فى بهو فندقه بترحاب وتهلل ، فذكر ان أصدقائى قد وصلوا فى اليوم السالف ، وانهم

خرجوا للنزهة . ثم قال ان القوم كانوا يتأهبون لمشاهدة عملية نقل الثيران واطلاقها فى الحظيرة فى تلك الليلة . وراح يحدثنى عن هوايته الكبرى .. مصارعة الثيران . فقد كان من غلاة الهواة ، وكانت خير حجرات فندقه وقفا على كل من له صلة بالمصارعة .

وقال بيل ونحن نتأهب للخروج : « كيف ترى حفلة الليلة ؟ » ، فأجبته : « انها بديعة عادة . فهم يطلقون الثيران من أقفاصها ، بعد أن يكونوا قد وضعوا فى الحظيرة بعض العجول لاستقبالها وتهدئة ثائرتها . فان الثيران تندفع مهاجمة العجول ، فتروغ منها هذه ، وتروح تدور بها فى الحظيرة حتى تهدأ حدتها ، فلا تناطح الجدران وتتلف قرونها » .

واتجهنا الى مشرب « ارونا » ، فاذا الموائد والمقاعد قد امتدت عبر الميدان .. وألفينا بريت ومايكل وكوهن جالسين الى احدى هذه الموائد . وهتفت بريت : « أهلا بكما ! » . فقلت : « أين كنتم ؟ » . **وتولى كوهن الاجابة قائلا : « لقد أحضرتهما الى هنا ، وما كانا ليحضران لولا ذلك ! » . فصاحت بريت : « هراء .. لولاك لجئنا قبل ذلك ! »**

ورحنا نتحدث عن الايام التى استمتعنا خلالها بصيد السمك فى (بيرجيت) . وبعد ان ذهبنا لنشاهد اطلاق الثيران من أقفاصها ، عدنا الى المقهى ، حيث أخذت أشرح لأصدقائى ما تعلمته عن الثيران ، فقلت : « انها تكون خطرة اذا ما كان كل ثور منها وحيدا ، أما اذا اجتمعت ، فانها تغدو هادئة . .

فالثور اذا كان وحيدا ، تملكته الرغبة فى القتل . ولو انك دخلت بين الثيران ، لاجتذبت نظر واحد منها فتبعك . وما ان ينفصل عن القطيع ، حتى يغدو خطرا »

واذا بمايكل يقول لكوهن : « أحسبك تحب أن تكون عجلا ، كتلك العجول التى أطلقت فى الحظيرة ؟ .. انها تعيش وديعة، لا تتكلم، وانما تحوم حول الثيران ! » . وأحرجنا حديثه .. وضحك بيل ، فغضب كوهن ، ولكن مايكل استطرد قائلا : « قل شيئا يا روبرت ! .. ألا تحب أن تكون عجلا ؟ » . وهتفت بريت : « كفى يا مايكل ، فأنت سكران ! » . ولكنه أجاب : **« لست سكرانا، ولكنى جاد .. هل سيظل روبرت كوهن يحوم حول بريت طيلة الوقت ، كتلك العجول ؟ .. لماذا لا تقول شيئا يا روبرت ؟ .. ماذا فى الامر اذا كانت قد اختلت بك ، وهى التى اختلت بكثيرين ممن هم خير منك ! »**

ونهض كوهن صائحا : « اخرس !»

ـ لا تقف كما لو كنت توشك أن تضربنى ! .. لماذا تتبع بريت كما لو كنت عجلا بائسا ؟ .. ألا تعرف انك غير مرغوب ؟.. لقد جئت الى سان سباستيان وليس من أحد راغب فيك ، فلم تنعم بالاقامة هناك ، لأن أحدا من أصدقائنا لم يشأ أن يدعوك الى أية حفلة . وليس بوسعك أن تلومهم .. لماذا تحوم حول بريت ؟ أليس لديك شىء من الاخلاق ؟.. كيف تحسبنى أشعر ازاء ذلك ؟

ونهض بيل فجذب كوهن وابتعد به .. وكان وجه كوهن

مربدا ، متجهما . وقالت بريت : « ما كان ينبغى أن تقسو الى هذا الحد يامايكل !.. لست أقول انه لم يكن مخطئا ؟ » . واسترد مايكل هدوءه المألوف ، وقال : « اننى لست ثملا ، ولم أقل كلمة لم أكن أعنيها .. انه يتبع بريت ولا يكف عن الحملقة فيها ، مما يثير اشمئزازى .. اننى أعرف ان لبريت مغامرات سابقة مع الرجال ، فهى تصارحنى بكل شىء ، وقد أعطتنى خطابات هذا الكوهن لأقرأها ! » .

فقالت بريت : « تراجع يا مايكل ، ولا تفسد استمتاعنا بموسم مصارعة الثيران . وسوف أطلب اليه أن يحسن السلوك . فلننصرف الآن ، وتظاهر اذا قابلته كما لو ان شيئا لم يحدث . فاذا قال شيئا ، فازعم انك كنت ثملا ! »

وعند ما عدنا الى الفندق، قال لى بيل : « لقد كان مايكل فظيعا .. اننى لا أحب كوهن ــ علم الله ــ وأرى انها كانت حيلة قذرة منه ان ذهب الى سان سباستيان ، ولكن مايكل لم يكن .. » . وبعدت به عن الموضوع ، اذ رحت أحدثه عن مصارعة الثيران .. ثم ذهبت الى كوهن ، فهبطت به الى حيث كان الآخرون قد اجتمعوا حول مائدة العشاء . وبدت بريت فاتنة فى ثوب أسود للسهرة ، انحسر عن ذراعيها وصدرها . وظل كوهن متحفظا ، متجهما ، ولكنه مالبث أن انشرح .. ولم يكن يحول عينيه عن « بريت » ، وكأنما كان تأملها يسعده .

كان عشاء ذكرنى بأمثال له أيام الحرب : نبيذ وافر ، وتوتر يحاول الحضور أن يتجاهلوه ، وشعور بأن ثمة أحداثا مرتقبة لا تملك أن تمنع حدوثها !

***

ولم أدر متى لجأت الى فراشى فى ذلك المســاء . كل ما أدريه هو اننى كنت ثملا الى درجة كنت أشفق معها من أن أغمض عينى ، حتى لا تدور بى الحجرة ، فرحت أقرأ .. وما لبثت أن سمعت بريت وكوهن يصعدان ، ثم يتبادلان تحية المســاء ، فينصرف كوهن الى حجـرته ، وتلج بريت الحجرة المجاورة . وسمعتها تتحدث مع مايكل ، ويضحكان .. وأطفأت النور ، وأغمضت عينى ، فلم تدر بى الحجرة ، ولكنى لم أستطع النوم !.. **ولست أدرى لماذا تتراءى الامور فى الظلام ــ غيرها فى النور ، ولذلك ظللت ستة أشهر أنام والنور مضاء .. لتذهب النساء الى الجحيم ..والى الجحيم ياليدى بريت آشلى !** .. ان النساء صـديقات بديعـات ، ولـكن من المهم ان تحب المرأة اذا شئت ان ترسى أساس الصداقة معها . ولقد اتخذت من بريت صديقة ، فلم أكترث بشعورها ازاء هذه الصلة .. كنت أفيد دون ما مقـابل ، ولكن هذا لم يكن ليعفينى من الحساب ، وان جاء متأخرا !

ولقد كنت أظننى **دفعت ثمن كل شىء..لا كما تفعل** النساء اذ يدفعن باستمرار ، دون ما تفكير فى جزاء أو عقاب ، وانما على سبيل تبـادل القيم ، فأنت تمنح لتأخذ ، وأنت تدفع بطريقة ما .. تدفع ثمن بعض الامور بأن تلم بمعلومات عنها ، أو تدفع بأن تخوض التجربة ، أو بالمجازفة ، أو بالنقود .. **والاستمتاع بالحياة معناه تعلم الظفر بما يساوى ما تدفع من نقود ، وقد خيل الى لخمس سنوات ــ منذ أصبت بذلك**

الجرح الذى قضى على فحولتى ــ ان هذه هى خير فلسفة فى الحياة .. وكان كل ما أردت هو أن أتعلم كيف اعيش فى الحياة المحيطة ! .. ولقد أحببت ان أرى مايكل يجرح شعور كوهن ، ولكنى تمنيت لو انه لم يفعل ، لأن هذا أثار ــ فيما بعد ــ اشمئزازى من نفسى .. انها الاخلاق ! .. لا ، بل لابد ان هذا لايمت إلى الاخلاق بصلة !

وهكذا راحت الخواطر تتضارب فى رأسى ، فأضأت المصباح ، وعدت الى القراءة .. وحوالى الفجر ، واتانى النعاس .

***

وفى ظهر يوم الاحد ــ ٦ يوليو ــ انفجر موسم الأعياد ومصارعة الثيران .. وليس ثمة كلمة تصف بدايته سوى « انفجر » !.. فلقد ظل الناس يتدفقون من كل حدب وصوب ، فينسابون فى البلدة دون أن يفطن اليهم أحد .. وازدحمت مقاهى البلدة وحاناتها ، وأخذت النقود تنفق عن سعة .. واختفت الموائد الرخامية والمقاعد الانيقة من المقاهى والمشارب ، وحلت محلها مناضد ومقاعد من الحديد ، وكأن المدينة تتأهب لمعركة .. وازدحم الناس فى المقاهى والشوارع المفضية الى الميدان ، بمختلف آلات الموسيقى ، وهم يعزفون ويغنون ..

وعند الظهر ، انفجر الصاروخ الاول ، مؤذنا ببدء الحفلات .. وتوالت الصواريخ ، واشتدت أصوات الموسيقى والغناء ، وراح القوم يرقصون جماعات .. ثم أقبل الموكب التنكرى ،

يرقص أفراده – فى ثيابهم التنكرية وأقنعتهم الضخمة – ويدورون بعضهم حول بعض .. وما لبثت احدى الجماعات الراقصة ان أحاطت بنا ، فاندمج « بيل » فى الرقص ، بينما أبوا على «بريت» أن ترقص ، بل جعلوها فى وسطهم وراحوا يرقصون حولها ، حتى اذا انتهى اللحن ، اندفعوا بنا صوب حانة ، فأجلسوا بريت على البراميل وكأنها ربة يقدمون اليها فروض العبادة ! .. وأديرت الكؤوس ، فحاولت أن ادفع ثمن شرابنا ، ولكن الاهالى أبوا علينا أن ندفع شيئا ..

ولم يستيقظ أحد – فى اليوم التالى – قبل الظهر ، فاذا كل نفس فى البلدة تسعى الى ملعب مصارعة الثيران . وكنت قد حجزت ستة مقاعد ، ثلاثة منها فى الصف الاول ، وثلاثة فى منتصف المدرج ، فرأى « مايكل » و «بريت» أن لا يجلسا فى الصف الاول . وشاركهما « كوهن » ، قائلا : « انما أجلس بعيدا عن الصف الاول ، لأننى أخشى ان يدركنى الملل ! » .. **واغتاظ بيل ، فقال لى : « ان هذا الكوهن يثقل على صدرى ، فان صلفه اليهودى أكثر مما أحتمل ! »**

واتفقنا على أن نلتقى فى المقهى . وفيماكنت أتأهب للخروج مع بيل ، أقبل « مونتويا » – صاحب الفندق – ليؤثرنى بلون جديد من التكريم ، فقد شاء أن يعرفنى ببطل الموسم .. مصارع الثيران الشاب « بيدرو روميرو » . وألفيته شابا فى غضارة الصبا ، لم يتجاوز التاسعة عشرة ، ولكنه كان ممشوق القوام ، جميل المحيا ، فى الواقع . وقد أبدى من قوة الجنان ، وخفة الحراك – فى حفلة ذلك اليوم – ما جعل « بريت » تنصرف الى مشاهدته ، ولا تكاد تحول عينيها عنه . فلما اجتمعنا فى المقهى بعد ذلك ، قال مايكل :

« انها امرأة عجيبة ، لم يرهبها الصراع ولا الدماء ! » . فقال بيل : « ألم يدركك الملل يا روبرت ؟ » . فضحك كوهن قائلا : « لا ! » . **وهنا قال مايكل : « لقد وصف بريت بأنها سادية ، تحب مشاهدة مناظر القسوة والايلام .. ولكنها ليست سادية ، وانما هى امرأة جميلة ، موفورة الانوثة ! »**

أما « بريت » ، فلم تكف عن الحديث عن « روميرو » المصارع . وفى اليوم التالى أصرت على أن تجلس فى الصف الاول ، لترقبه عن كثب .. وفى اليوم الخامس ، هبطت الى قاعة الطعام متأخرا ، فاذا بقية الثلة قد سبقتنى .. ولمحت « روميرو » جالسا الى احدى الموائد ، فما ان رآنى حتى نهض يحيينى فى استحياء ، وأخذ يحدثنى باللغة الانجليزية التى تعلمها فى (جبل طارق) .. ثم مضينا نتحدث عن الثيران ومصارعتها . . وصاحت بريت من المائدة التى جلست اليها الثلة : « خليق بك أن تقدم أصدقاءك اليه يا جيك ! »

وسرعان ما كان « روميرو » يجلس وسط الثلة .. ودار الشراب . وجلست بريت الى جوار روميرو ، لا تكف عن الحديث اليه . وقال بيل : « قل له اننى أصبحت أخجل من أن أكون مجرد كاتب ! » .. ونقلت الى روميرو الحديث ، فبهره أن يكون بين مجالسيه شخص من أصحاب القلم . وأجال بصره فى الحضور ، ثم أشار الى كوهن ، اذ رآه عاكفا على الشراب ، وتساءل : « وما عمل هذا السكير ؟ » . فقيل له : « لاشىء ! » . واذ ذاك تساءل : « ألهذا ينصرف الى الشراب ؟ » .. وقال بيل : « لا .. وانما هو ينتظر الى

أن يتاح له الزواج من هذه السيدة ! » ، فصاح مايكل : « قل له ياجيك أن بريت تموت شوقا الى .. » . وقطعت عليه الحديث مقترحا شرب نخب روميرو .

وأقبل مونتويا ـ فى تلك اللحظة ـ فما ان رأى روميرو بيننا ، حتى تجهم وجهه وغادر القاعة .. كانت النساء والخمر والاطراء ألد أعداء لأى مصارع للثيران ! وما ان انصرف الشاب ، حتى هتفت بريت : « يا الهى !.. ما أجمله من فتى ! » . وكانت الخمر قد لعبت برأس مايكل ، فقال لى : « لماذا قطعت على الحديث ؟ » .. ثم التفت الى كوهن ، وقال : « أتظن انك تساوى شيئا يذكر ؟ أتظن انك تليق بصحبتنا ؟ أتتصور ان بريت تريدك ؟.. لماذا لاتقول شيئا ؟ .. أغرب عن هنا ! .. خذوا هذا اليهودى الكئيب بعيدا عن وجهى ! » . وحاولت أن أهدئه ، فصاح : « ألا ترانى على حق ؟ .. اننى أحب هذه المرأة ! »

وظل كوهن جالسا ، مكفهر الوجه ، تنبعث من عينيه نظرة صفراء . واذ ذاك اندفع اليه مايكل ، لولا أن أمسكت به ، وجذبته الى الخارج . وسرعان مالحقت بنا بقية الشلة ، فى الميدان الذى كان يموج بالناس ، وقد راحت موسيقى الجيش تعزف الحانها ، وانطلقت « البالونات » فى الهواء . وسرنا وسط الجموع المحتفلة بأعياد القديس فيرمين ، حتى بلغنا حانة ألحقت بها قاعة خلفية للرقص . وسمع مايكل ان فوجا من السائحين الانجليز قد وصل الى البلدة ، فجذب بيل قائلا : « تعال نرحب بهم على طريقتنا .. ارجو ان لا

تكون انجليزيا ، فاننى اسكتلندى ، وأكره الانجليز ! » . **ومكث كوهن الى جوار بريت ، فصاحت به : « اذهب بالله الى أى مكان .. اذهب الى الفندق ! ألا ترى اننى أريد أن أبقى مع جيك ؟ » . حتى اذا خرج يجرجر قدميه ، هتفت :** « **رباه ! لكم أضيق به !** » . وتحولت نحوى قائلة : « انك أيها الحبيب الشخص الوحيد الذى أرتاح اليه ! .. اننى الليلة شديدة الضيق ! »

وخرجنا نتمشى ، فلمحنا كوهن يتسكع على مقربة، فقالت بريت : « انه لم ينصرف ! لست آسفة عليه ، فاننى اكرهه، وأكره هذه الذلة التى تجعله يحتمل الاهانات ! » . وتأبطت ذراعها ، ورحنا نسير معا ، بعيداً عن وسط البلدة ، نحو الخلاء . حتى اذا اشتدت برودة الليل ، عدنا على طول ضفة النهر . وقالت بريت فجأة : « **أمازلت تحبنى ياجيك ؟** .. انما أسألك لاننى هاجرة . اننى أجن شغفا بذلك الشاب روميرو ، ولست املك لنفسى صدا !» . وكانت يدها ترتجف .. وعادت تقول : «**يجب أن أفعل شيئا . لقد فقدت احترام نفسى ! .. اواه يا حبيبى ، ابق بجوارى ، وساعدنى على اجتياز هذه الازمة . يعلم الله اننى لم أحس بالتردى الى هذه الدرجة من قبل !** » . فسألتها : « وماذا تريديننى على ان أفعل ؟ » ، فأجابت : « تعال نبحث عنه ! »

ووجدناه فى مقهى ، يحيط به مصارعو الثيران والنقاد والهواة .. ودعوته الى مائدتنا ، فرحنا نشرب معا ، ونسمر .. حتى اذا شعرت ان الانسجام قد ربط بينه وبين بريت ،

نهضت، فوقف . . وقلت: «آن أن أذهب لابحث عن بقية الثلة!» .
فلما هم بأن يغادر المائدة بدوره ، صاحت به بريت : «اجلس
. . يجب أن تعلمنى الاسبانية ! » . . وراح رفاقه يرمقوننى
وانا انصرف . . ولم تكن نظراتهم مستحبة !. . وعندما عدت
بعد عشرين دقيقة ، وجدت أن بريت و روميرو قد غادرا
المكان ! . . . .

***

ووجدت بيل و مايكل أمام حانة طردا منها ، اذ تشاجرا
مع بعض الانجليز فيها ، وتدخل البوليس . . وما زلت بهما
حتى صحبانى الى حانة أخرى . وفيما كنا جالسين ، أقبل
كوهن وبادرنى متسائلا : « أين بريت ؟ . . لقد كانت معك» .
فقلت له : «لست أدرى . . لعلها أوت الى فراشها » . وكان
وجهه مربدا ، وصاح : «لا . . قل لى أين بريت ؟ » . وهنا
صرخ مايكل : « اذهب الى الجحيم ! . . لقد ذهبت بريت مع
مصارع الثيران . . انهما فى شهر العسل ! » . واستبد
الهياج بكوهن ، فانقض على ، وانهال باللكمات . . ووقعت
تحت احدى الموائد ، وتجمع السقاة والناس ، وسكب احدهم
ماء على رأسى . وعند ما نهضت ، كنت اترنح وأشعر بدوار
فظيع ، فسرت الى الفندق وحيدا . . وكنت أحس كأن
قدمى بعيدتان عنى ، بل كأن كل شىء كان بعيدا عنى .
وتحاملت بعناء حتى بلغت الفندق . . ولست ادرى كم مضى
من الوقت ، ولكنى صادفت بيل فى البهو ، فبادرنى قائلا :

« اصعد الى كوهن ، فهو فى أزمة نفسية ! .. وهو يريد أن يراك ! »

وبعد لأى ، صعدت الى غرفة كوهن .. وكان يرقد فى الظلام . وتبينت انه كان يبكى .. وراح يضرع الى ان أصفح عنه . واستطرد قائلا ، والبكاء فى صوته : « **لم استطع ان احتمل ما كان من بريت .. لقد كنت فى جحيم يا جيك ، وقد عاملتنى ــ حين قابلتها ــ كما لو كنت غريبا ! .. انك صديقى الاوحد ، فاغفر لى .. اننى راحل فى الصباح ، فصافحنى !** »

وفى الصباح التالى ، عرفت ما فعله كوهن بعد شجارنا .. لقد انطلق الى الفندق ، وفاجأ بريت فى غرفة مصارع الثيران ، فأوسعه ضربا .. واستطرد بيل يروى لى القصة : « لقد صارحته بريت بأنها لم تعد تطيقه .. وكان مصارع الثيران يجلس على السرير ، فانقض عليه كوهن ، وضربه فألقاه أرضا خمس عشرة مرة ، حتى عجزت بريت عن أن تنهضه ، وحتى لم يعد كوهن يقوى على ضربه ، فتراجع واستند الى الجدار .. واذ ذاك نهض المصارع فسار اليه مترنحا ، ولم يشأ كوهن أن يمسه ، أما هو فقد صفع كوهن بقوة ، ثم سقط على الارض . وهم كوهن بأن يعاونه ، فأبى قائلا انه سيقتله فى الصباح اذا لم يغادر البلدة .. وكان كوهن يبكى ، اذ طردته بريت ! .. ولقد انحنى محاولا أن يصافح المصارع ، فصفعه الفتى ! »

وقال بيل أن بريت كانت فى غرفة روميرو تعنى به ..

وكان مايكل - فى هذه الاثناء - لا يكف عن الشراب . وقال : « اعتقد أن من الافضل أن أظل ثملا .. لقد كنت أقول لنفسى أن بريت لن تلبث ان تقع فى المتاعب ، اذا هى ظلت تحوم حول اليهود ومصارعى الثيران . **ولقد انهلت عليها تأنيبا ، فقالت : « لقد شبعت من الحياة السعيدة مع الارستقراطيين البريطانيين ! » .. لعلك تعرف أن آشلى كان بارونا ، وكان من رجال البحر ، يأبى ان ينام فى سرير اذا ما عاد ، فكان يحملها على النوم معه على الارض ! ..** وفى النهاية ، راح يهددها بأنه لن يلبث أن يقتلها .. وكان ينام ومسدسه تحت رأسه ، فكانت بريت تنزع الرصاصات من المسدس اذا ما نام .. الحق انها لم تكن سعيدة ! »

***

واجتمعنا عند الظهر فى المقهى، الذى كان غاصا بالناس . وما لبثت بريت أن أقبلت، فما ان جلست حتى طلبت شرابا . ثم سألت عن كوهن ، فلما علمت انه رحل ، قالت : « لقد أوقع بروميرو ضررا بالغا ! » . وتطلع اليها مايكل وقال : « لقدظفرت بريت بمصارع للثيران .. كان لديها يهودى ، ولكنه لم يرق لها ! » . فنهضت قائلة : « لن اتقبل منك هذا اللغو ! .. تعال معى يا جيك ! » . فدق مايكل المنضدة حتى قلب ما كان عليها من زجاجات وكؤوس ، وصاح : « الى الجحيم أنت ومصارعك ! »

وخرجت بها الى الميدان ، فسألتها : « كيف حاله ؟ » .

وأجابت : « ان اصدقاءه غاضبون لاتصاله بى ! » . على انها كانت سعيدة ، مشرقة الثغر . وقالت : « ليس بوسعك أن تتصور الى أى مدى أشعر بأننى قد تغيرت ! » . ثم لم تتمالك – حين مررنا بملعب المصارعة – فأبدت قلقها على روميرو ، اذ كانت الثيران المعدة لحفلة اليوم قوية . ولم يسر عنها القلق أن دخلنا الكنيسة ، وأن راحت تصلى وتدعو بحرارة . وقالت اذ خرجنا : « ان الصلاة لا تسرى عنى اطلاقا ! »

وعدنا الى الفندق ، فاتجهت بريت الى غرفة روميرو مباشرة ، ودخلت أنا غرفة مايكل فاذا الفوضى تسودها ، والحقائب مفتوحة ، والامتعة مبعثرة ، ومايكل على السرير ، وكأن وجهه قناع الموت ذاته . وفتح عينيه ، وتمتم : «أريد أن أنام قليلا .. لقد ظفرت بريت بمصارع للثيران ، ولكن فتاها اليهودى رحل ! » . وما زلت به حتى أغمض عينيه .

وعندما ذهبنا الى الملعب بعد الظهر ، جلست بريت بينى وبين بيل . وكان الملعب مليئا بالرواد . ووقف بيدرو روميرو فى الحلبة ، فأجال بصره فى المتفرجين ، ووجهه متورم بالكدمات . ثم دفع بعباءته الى أحد أعوانه ، ونظر نحو بريت .. وتقدم الرجل فناولها العباءة .. وكانت ثقيلة ، ناعمة ، موشاة بالذهب .

وتمتمت بريت : « انه فى أشد حالات المرض . كان من الواجب ان يلزم الفراش ! »

ولكن روميرو ابدى براعة فى محاورة الثيران التى نازلها

ومداورتها ، بحركات بطيئة ، متزنة ، مرسومة ، وكأنه يهزها ويهدهدها حتى تنام .. أو لعلـه كان يسـلط عليها قوة مغناطيسية تشل حراكها.. وكانت لكمات كوهن قد شوهت وجهه ، ولكنها لم تنل من روحه .. وعند ما هم بأن يقتـل ثوره الاخير ، تركه يهجم عليه وهو ثابت القدمين ، مشـهر السيف .. ثم أصبح والثور جسما واحد ، وأغمد السيف بين كتفى الحيوان ، فترنح وهوى ..

وتقدم شقيق روميرو فقطع اذن الثور ، وقدمها الى أخيه .. ولوح الشاب بالاذن أمام مقصورة الرئيس ، **ثم سار الى حيث كنا ، وارتكن الى الحاجز ، وقدم الاذن الى بريت .. ولم يتكلما ، بل نظر كل منهما الى الآخر ، وابتسم !**

وانتهى آخر أيام الاعياد ..

وفى تلك الليلة ، رحنـا نعب الخمر ـ انا و بيل ـ دون وعى ، وقـد ران علينا ضيق شديد . وعنـد ما عدنا الى الفندق ، كنت ثملا كما لم أثمل قط فى حياتى . فلما مررت بحجرة بريت ، اطللت داخلها ، فاذا مايكل جالس .. وبدا لى أن بالغرفة فراغا .. وبادرنى قائلا : « لقد كانت بريت تبحث عنك لتودعك .. لقد رحلت مع مصارع الثيران ، فى قطار الساعة السابعة ! »

الجزء الثالث

● **راحت** البلدة تنفض عنها آثار الاعيـاد ، وفضـلات الحفلات ، فى الصباح التالى .. وما لبثنا أن بارحناها بعد

ظهر ذلك اليوم، فى سيارة استأجرناها لتقلنا الى (بياريتز)، حيث قضينا سويعات، ثم آن لنا أن نفترق.. وتركنا مايكل فى (سان جان) . ثم عبرنا الحدود الى فرنسا ، فودعت بيل فى (بايون) ، حيث استقل القطار الذاهب الى باريس .. وفى (بايون) ،بدأت أشعر بالراحة والهدوء ، بعد صخب الاعياد ، وضجيج الاحتفالات .

وفى الصباح التالى ، عدت فاجتزت الحدود الى اسبانيا، ونزلت فى (سان سباستيان) ، حيث رحت أقضى وقتى فى السباحة والاستلقاء على رمال الشاطىء .. ودهشت - فى اليوم الثالث - اذ تلقيت برقية ، فاذا بها محولة من مكتبى فى باريس.. المكان الوحيد الذى كنت قد أخطرته بمستقرى، وقد جاء فيها : ((**هل تستطيع الحضور لفندق مونتانا بمدريد ، فأنا فى مأزق ؟ - بريت**)) . وبعد دقائق ، تلقيت برقية أخرى ، محولة من (بامبلونا) ، وفيها عين الكلمات .. وأسرعت أجيب : «ليدى آشلى، بفندق مونتانا، بمدريد : سأصل بالقطار السريع غدا . مع حبى - جيك » . **هكذا كان الامر .. أسلم فتاة الى رجل لتهرب معه ، ثم يصبح على أن أذهب لاعود بها ، واختم برقيتى اليها بالحب !**

وفى ضحى اليوم التالى ، كنت ألج غرفة بريت بفندق مونتانا .. وكانت مستلقية فى سريرها ، ترجل شعرها بفرشاة ، وقد سادت الغرفة تلك الفوضى المعهودة لدى اولئك الذين اعتادوا أن يكونوا محوطين بالخدم .. وما أن أغلق الباب حتى أسرعت اليها ، فأحطت جيدها بذراعى .

وقبلتنى وأنا أشعر بأنها كانت ترتجف بين ذراعى ، منكمشة .. وهتفت : « اواه يا حبيبى ، لقد مرت بى فترة من أفظع الفترات !.. لقد رحل بالامس ! حملته على الرحيل ، فما ينبغى له أن يعيش مع أحد .. ولم أكن أملك درهما واحدا حين رحل . وقد حاول أن يعطينى مبلغا كبيرا ، ولكنى قلت له أن لدى أكداسا من النقود .. ما كان لى أن أقبل منه نقودا ، كما تعرف ! .. ولكن ، دعنا من هذا الحديث ! »

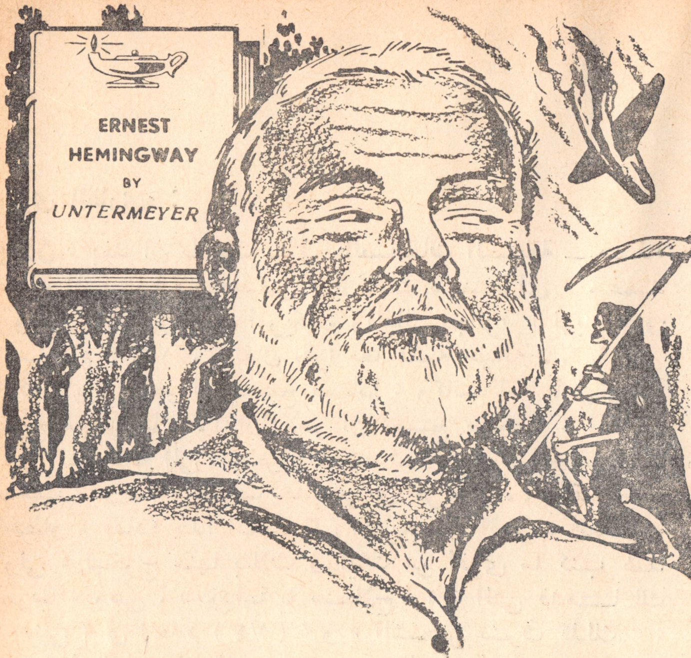
ورحنا ندخن.. وفجأة عادت تقول: «لقد تعلم الانجليزية فى جبل طارق ،حيث كان ساقيا فى مشرب . ولقد كان يريد الزواج منى فى النهاية . ولكنى لا استطيع الزواج .. ولو من مايكل! » . فقلت : «لعله ظن أن الزواج يجعله لورد آشلى» . فصاحت : «لا ، لقد كان راغبا فى الزواج حقا ، حتى لاأتركه يوما . ولكنى فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، ولن ارتضى أن أكون من أولئك المومسات اللائى يقضين على صغار الشبان ، ممن يترقبهم مستقبل باسم !»

وأحسست بها تبكى فى صمت ، فضممتها الى . ولم تشأ أن تتطلع الى ، فرحت أمسح على شعرها . ولم نلبث أن غادرنا الفندق ، فحجزنا مكانين فى عربة النوم بقطار الليل ، ثم جلسنا فى مشرب فندق المحطة ، نحتسى أقداح «المارتينى» .. وعادت بريت تقول : « أتعرف انه لم يتجاوز التاسعة عشرة حقا ؟.. لم أصدق هذا فى البداية ! .. انه لم يضاجع غير امرأتين فى حياته كلها ، فهو لا يحفل بغير مصارعة الثيران . وكان يظن اننى المرأة الوحيدة التى سيربط بها

عمره ! » . فقلت : « الم تقولى انك لن تتحدثى عنه ثانية؟» . فأجابت : « وكيف املك ذلك ؟ .. **اتعرف أن المرأة تشعر بارتياح وانتعاش ، اذ تعقد العزم على انها لن تكون مومسا ؟ ..ان هذا هو الشعور الذىنستعيض بهعن الشعور بالله!»** . فقلت : «كثير من الناس يشعرون بالله ! » . وأجابت :«ولكنى لم أشعر قط أنه قد انصفنى ! »

واذ تناولنا الغداء ، رحت أسرف فى الشراب ، فقالت : « لا تثمل يا جيك ! » ..واستقللنا سيارة . واضطجعت فى مكانى ، فاقتربت بريت والتصقت بى ، فأحطت خصرها بذراعى . وارتكنت على ، ووسدت كتفى رأسها . وكان الجو حارا ، والشمس مشرقة، شديدة الوهج .. وتمتمت بريت: « اواه يا جاك !..كان بوسعنا ان ننعم معا بأوقات هنيئة!» . ووقفت السيارة فجأة ، اثر اشارة من جندى المرور ، عند مفترق الطرق، فازدادت بريت ارتماء على صدرى..وقلت : « أجل .. أليس من الجميل ان نفكر فى هذا ؟ »

كان من الجميل أن نفكر فى هذا حقا .. أن أفكر فى أن بوسعى أن أحظى بصداقة من أحببت، وان كنت فاقد الفحولة .. وأن تفكر هى فى أن بوسعها ان تكبح شهواتها ، وان تقنع من الحياة ، بصداقة رجل .. صداقة خالصة ، بلا جنس !



ارنست همنجواى

الكاتب الذى بحث عن الموت ، ففر الموت منه أكثر من مرة !

للباحث المحلل المعروف : لويس أونترمير

عزيزى القارىء :

والآن ، بعد ان طالعت ـ فى الصفحات السابقة ـ هذه القصة المشهورة من قصص « ارنست هيمنجواى » ، عميد الروائيين المعاصرين فى أمريكا ، والفائز بجائزة « نوبل » فى الادب عام ١٩٥٤ .. تعال نقرأ معا قصة حياته ..

كان أبوه يرجو أن يصبح صيادا ، وكانت أمه تأمل فى أن يصبح موسيقيا .. وأراد هو أن يصبح صحفيا ، فاذا به يهجر الصحافة الى الشعر والأدب، ثم اذا به يصبح قصصيا صاحب مدرسة وأسلوب جديدين فى أمريكا ! .. ولقد أحب الاخطار ، فقاده هذا الحب الى أن يخوض الحرب العالمية الاولى ، ليخرج منها بثلاث روايات من أقوى ما كتب ضد الحرب ، وهى : « وداعا يا سلاح ! » ، التى قدمها لك « كتابى » فى العدد (٧٤) ، و « الشمس تشرق كذلك » ، التى قرأتها فى هذا العدد .. ثم « لمن تدق الاجراس » ، التى تصور الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦) .. وفيما يلى قصة حياته بشىء من التفصيل :

يهرب من المدرسة الثانوية !

• **لعل** حياة الكاتب الامريكى « ارنست هيمنجواى » خير مصداق لما يقال من أن القصصى يستمد عادة الكثير من مواد قصصه من حياته الخاصة .. فان فى قصتى « وداعا يا سلاح » ، و « الشمس تشرق .. كذلك ! » ..

كثيرا من الاحداث التى استمدها « هيمنجواى » من تجاربه فى صدر شبابه ..

ولكن ، لنرو قصته هو منذ بدايتها :

ولد « ارنست » فى ٢١ يوليو سـنة ١٨٩٩ ، فى (اوك بارك) ،التى تعتبر من ضواحى مدينة (شيكاغو) ، بولاية (الينوى) الامريكية . وكان أبوه طبيبا ورياضيا مشغوفا بالصيد ، الى درجة انه أعطى ابنه ـ عند ما بلغ العاشرة من عمره ـ بندقية كبيرة ! .. أما أمه فكانت من هواة الموسيقى، وكانت تتمنى أن يغدو ابنها موسيقيا .

ولم يبد « أرنست » ميلا الى الدراسة فى صغره ، فلمـا بلغ الخامسة عشرة من عمره ، هرب من المدرسة الثانوية ، ومن دار أهله !.. ولكنه لم يلبث أن عاد بعد ثلاث سنوات، فأتم دراسته الثانوية . ثم رحل الى مدينة (كنساس) ، حيث اشتغل مخبرا صحفيا ..

مائتا شظية فى ساقيه !

• **وعند** هذه المرحلة ، تبدأ الاحداث التى انعكست على بعض قصصه ..

فقبل أن يبلغ « ارنست » الثامنة عشرة من عمره ـ أى فى سنة ١٩١٧ ، والحرب العـالمية الاولى دائرة الرحى ـ رحل الى فرنسا ليلتحق بوحدة للاسعاف (كمتطوع ، لأن الولايات المتحدة لم تكن قد دخلت الحرب بعد) .. ثم نقل « ارنست » الى فرق المشاة الايطالية ، وبلاده موشكة على

أن تعلن الحرب .. ولم يلبث أن أصيب بجرح بالغ ، ظلت أكثر من مائتى شظية من آثاره غائصة فى ساقيه حتى اليوم !

وهذه التجربة هى التى سجلها فى ((وداعا ياسلاح)) ، فجاءت من أقوى الروايات التى كشفت عن فظائع الحرب .. لأنهـا كانت صـادرة عن خبرة شخصـية ، وعن آلام حقيقية !

.. على أن « ارنست هيمنجواى » لم يهرب ـ كما فعل بطل قصته ـ استنكارا لفظائع الحرب ، ورغبة فى اللحـاق بحبيبة ما .. بل ظفر بصليب الحرب ، و « الميـدالية » الفضية لوسام البسـالة الحربى ، ثم عاد الى وطنـه .. وهناك تزوج ـ فى سنة ١٩٢١ ـ من «هادلى ريتشاردسن» .

وعاد يحاول العمل فى الصحافة . حتى اجتذبته الاحداث التى كانت تجرى فى آسيا الصـغرى ، حيث كان الصراع محتدما بين تركيا واليونان ، فسرعان ما شعر بأن السلام ثقيل الوطأة على نفسه، فرحل الى ميدان القتال ـ كمراسل حربى متجول ـ وراح يوافى الصحف بصور لأهوال الحرب وفظائعها ، كفيلة بأن تثير الاشمئزاز ضد كل حرب .. وكم أبدع فى تصـوير انسـحاب اليونانيين ، وكيف أنهم كانوا يكسرون السيقان الامامية للبغال ، أو يغرقونها فى المخاضات المائية ، حتى لا يتركوها وراءهم غنائم لأعدائهم الاتراك !

بين اللهو والعمل .. فى باريس

• **وكان** فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره ، حين وفـد على باريس ، واعتزم أن يقيم فيها .. **وهناك ، بدأ**

مرحلة جديدة من حياته ، انعكست على أحداث قصته « الشمس تشرق كذلك ! » ، حتى لكأن القصة كانت سجلا مصورا ـ أو شريطا سينمائيا ـ لتلك الفترة !

ففى باريس ، انضم « هيمنجواى » الى فئة من مواطنيه المغتربين ، الذين ضاقوا بالحياة فى الولايات المتحدة ، وبمدى غلاء المعيشة هناك اذا قيست بالحياة فى أوربا ، حيث كان للدولار قيمة كبرى ..

ولم تكن حياة تلك « الشلة » لهوا ومرحا خالصين ، بل كان يتخللها عمل و جد ، فقد كان بين أعضائها عدد من الكتاب التجريبيين ، الذين كانوا يسعون الى التخلص من الأساليب القديمة ، والذين كانوا يرتادون ميادين التجديد الأدبى ، وفى طليعتهم « جرترود ستاين » ، و « ايزرا باوند » ، و « شيروود أندرسن » ، وقد أصبحوا من الكتاب المبرزين فى أمريكا ، بعد ذلك .

وكان هيمنجواى الشاب أكثر تأثرا بالاولى والاخير ، منه بغيرهما . فقد نصحته « جرترود » بأن يتخلص ما استطاع من الوشى والاسهاب الوصفى ـ فى كتابة القصة ـ وأن يركز همه على الاسلوب واللغة ، بحيث تكون كل كلمة عملا أو تصرفا أو حركة .. أما « اندرسن » فقد أطلعه على امكانيات كتابة قصة دون « عقدة » ، واتباع أسلوب واضح، عاطفى ، دون ايغال فى البلاغة ، ودون اخلال بها فى الوقت ذاته .. وقد كانت العقدة والبلاغة من أهم أركان القصة لدى المدارس القديمة .

صحفى وأديب .. ومدرس ملاكمة !

• **وكان** « هيمنجواى » ـ اذ ذاك ـ ظاهرة طريفة بين أهل الفن والأدب .. فقد كان الشائع أن يتصف هؤلاء بالرقة ، والنحول ، والضعف . ولكن صاحبنا كان طويلا ـ يصل طوله الى حوالى ١٨٠ سنتيمترا ـ ذا رأس ضخم أشبه برأس الأسد، وصدر قوى بارز كصدر حصان أصيل . وكان اذا دخل غرفة ، بدا كالمصارع حين ينزل الى الحلبة . **والواقع انه كان ـ فى تلك الفترة ـ يمارس الملاكمة ، بل ويلقى دروسا فيها .. وكانت حركته المفضلة لكمة تهبط على صدغ غريمه كأنها مطرقة !**

وكان منذ بلغ الرابعة والعشرين من عمره قد قرر أن يتحول عن الصحافة ليتفرغ للأدب ، ووضع بالفعل كتابه الاول ، الذى نشر فى طبعة متواضعة أصدرها ناشر مغمور . وكانت محتويات الكتاب واضحة فى عنوانه : **« ثلاث قصص وعشر قصائد »** . وان هو الا عام ، حتى أصدر كتابا ثانيا ، كتب عنوانه بحروف صغيرة : **« فى عصرنا »** .. ولا يدرى أحد أكانت الحروف الصغيرة دليل التواضع ، أو دليل الرغبة فى الخروج على المألوف .. والمألوف أن عناوين الكتب تطبع بحروف كبيرة !

بوادر أديب مبتكر

• **وكان** هذا الكتاب عبارة عن طائفة من النوادر والملح والانطباعات التى خلفتها لديه الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الاولى .

ولقد ظهر هذا الكتاب مرة ثانية ، فى سنة ١٩٢٤ .. وفى هذه المرة ، طبع العنوان بحروف كبيرة .. **واستقبله النقاد باهتمام ، اذ رأوا خلاله بوادر كاتب مبتكر ، قوى، ولكنه لم يكن قد استكمل نضجه بعد ، أو اطمأن تماما الى فنه ، وان بدا معتدا بنفسه بعض الشىء !**

على أن هذه الطبعة كانت ـ فى الواقع ـ كتابا آخر غير الاول ، اذ لم يأخذ من هذا سوى عنوانه ، وسوى النوادر والملح التى كتبت بحروف مائلة ـ تقابل « الرقعة » فى الحروف العربية ـ كتعليقات وتذييلات للفصول التى تألفت من قصص قصيرة ، وحدت شخصياتها ، ونسقت فى تسلسل ، وجعلت لها عناوين منفصلة ، استكمالا للمظهر الروائى .

وكانت النظرة الاولى توحى بوجود تغاير واضح بين القصص والتعقيبات . فقد كانت هذه تحمل طابع العنف ، اذ استمدت من دنيا الحرب ، وتخللتها الاحداث المفجعة .. بينما كانت القصص تنتمى الى عهد السلام ، وتكاد تقتصر على ذكريات أيام الدعة وراحة البال ، التى نعم بها البطل ـ الذى لم يكن سوى « ارنست » نفسه ـ وهو يحبو فى مرحلة المراهقة ، عندما كان ينطلق للصيد مع أبيه الطبيب .

نحو السمو الأدبى ..

• **وكان** الكتاب ـ فى مجموعه ـ يوحى بأن ليس ثمة سلام حقيقى فى الزمن القلق المضطرب ، الملىء بالهواجس ، الذى يعيشه العالم قبل الحروب .

ولقد كان « هيمنجـواى » فى تلك السن ـ الخـامسة والعشرين ـ **مبهـورا بالعنف والضراوة ، وبالاحـداث التى تثير الذعر ، والمآسى الرهيبة ، والقسوة التى تنطوى عليها الطبيعة وأحداث الحياة اليومية .** وقد استأنف تصـوير ذلك فى روايته : « سيول الربيع » ، التى حاول فيهـا أن يعبر عن الانطبـاعات التى أخذها عن شخصـية صـديقه « شيروود اندرسن » .

على أن فشل هذه القصة حمل « هيمنجواى » على أن ينبذ شخصية « أندرسن » وعلاقاته الجنسية والاجتماعية، وهو ما نلمسه فى دور البطل فى « الشمس تشرق كذلك » . اذ مثل حيرة « الجيل التائه » الذى كان ينتمى اليه ، والذى ازداد حيرة بعد الحرب ، فى أحضان سلام لم يكن له دور فيه .

ولقـد كان سبب هـذا الاتجـاه المفـاجىء الذى دفع «هيمنجواى» الى التسامى بأسلوبه ومسلكه ، هو الاستنكار الذى غشيه من تخبط ذلك الجيل ، الامر الذى جعله يسمو بمسلكه وبأسلوبه ، فسما هذان بفنه القصصى .

جيل حائر فى سلام مضطرب !

• **ولقد** أجاد هيمنجواى ـ فى «الشمس تشرق كذلك» ـ فى التعبير عن خيبة آمال وأحـلام الآلاف من الشـباب ، وفقدانهم ايمانهم ، وانكارهم المقاييس والقيم والمثل العليا ، والمرارة التى ملأت نفوسهم ، والتى أفضت بهم الى نوع من

« الرواقية » .. أي اكبار الفضائل والزهد فى الملذات . **ولكنها كانت « رواقية » ظاهرية ، سلبية ، أى انها وقفت - فى بعض الحالات - عند حد العزوف عن الملذات ، دون السعى الى اقرار قيم ومثل عليا خاصة ..** كما تمثل ذلك فى مسلك البطل الذى روى « هيمنجواى » الاحداث على لسانه .

لا ، بل ان ذلك الجيل الحائر مضى فى السلبية الى حد أنه لم يلبث أن تحول الى المثيرات الحسية يجربها تباعا .. كما فعل أولئك الرفاق البوهيميون ، الذين عجزوا عن التكيف مع ظروف مابعد الحرب، والذين أبدع «هيمنجواى» فى وصفهم وتحليل نفسياتهم ، فى «الشمس تشرق كذلك». فان أعصابهم المهتزة من جراء العناء النفسى وخيبة الاحلام، جعلتهم تواقين ابدا الى العنف ، فهم يصرخون فى طلب أقوى أنواع الخمور ، وأشد ألحان الموسيقى صخبا ، ويغرقون فى حمأة الجنس بلا حب ، أو ماهو أنكى وأكثر ايلاما : **يقعون فى حب ميئوس منه . . حب بلا جنس، كما كان نصيب البطل !..**
ومن ظواهر ميلهم الى العنف ، اعجابهم بمصارعة الثيران وبأبطالها ، وبالرياضيين ، وبخشونة أهل البداوة وغير المتحضرين .

أسلوب جديد للكتابة ..

• **وقصارى** القول : كان ذلك الجيل الحائر - فى أعقاب الحرب العالمية الاولى - ينشد العنف ، والقوة غير المهذبة

ولا المصقولة ، كترياق للضعف الذى اتسمت به حضارة القرن العشرين فى أمريكا بالذات .

وكان «هيمنجواى» خير من عبر عن مشاعر ذلك الجيل . فقد قاسم مواطنيه جراح نفوسهم ، واستهتارهم بالقيم والمبادىء ، وشعورهم بالخيبة ، وهياجهم وفوراتهم على ما كان يضنيهم من حيرة وتخبط . ولكن « هيمنجواى » اختلف عن رفاقه فى أنه كان مناضلا بالفطرة ، وكان من عشاق القوة ، وخشونة البداوة ، والحركة . **وقد انعكس هذا على كتابته ، فاذا به يتخذ لغة جديدة، تتسم بالبساطة والايجاز ، والاتجاه الى الهدف مباشرة .. لغة تبدو جافة، غير ذات رواء ، ولكن مضمونها يثير المشاعر والانفعالات .** فاذا الحوار يخلو من البلاغة والزخرف والمحسنات اللفظية، ولكنه يتسم بالدقة ، ومطابقة الواقع ، والتركز على الهدف فى غير لف ولا دوران .

.. ولون جديد فى القصة

• **ولقد** أدرك هيمنجواى افلاس المجتمع الذى كان يعيش فيه ، فاستنكره ونبذ لغته التى ألفها فى الأدب ، وأنشأ أسلوبا جديدا ، ومدرسة جديدة .. وبالتالى ، أحدث انقلابا أدبيا ، لا تزال أصداؤه الاجتماعية محسوسة فى أمريكا . اذ أن الكل أقبلوا على تقليده .. لا الكتاب وحدهم ، بل الناس الذين كانوا يفخرون بأنهم لا يحفلون

بقراءة الكتب والقصص ! .. **فظهرت فى أمريكا - ثم فى سواها من دول العالم - النزعة الى القصص القائم على الواقع المادى الجامد ، وعلى الجسد وعنف نزواته، وقسوة نزعاته ..** فاذا الرضى بالالم الطارىء وباللذة المتحررة من كل مسئولية ، يتردد فيما لا حصر له من المؤلفات التى بنيت على هذا المزيج العجيب من الجنوح الى القسوة ، ومن الأحاسيس العاطفية الملتوية .

وهكذا قدر لهيمنجواى أن يشق السبيل - وهو بعد فى السابعة والعشرين من عمره - الى لون جديد من الأدب ، لقى من الاعجاب والرواج درجة تفوق التصور .. حتى ليقال أن نصف الكتاب المحدثين - فى أمريكا - حاولوا أن يقلدوه ، فى حين أن نصفهم الآخر كانوا .. يحاولون ان لا يقلدوه !

صيد السمك .. وكتابة القصص !

• **وأقام** « هيمنجواى » فى باريس ، لا يبرحها الا الى (التيرول) فى موسم رياضة التزحلق على الجليد ، والى (اسبانيا) فى موسم مصارعات الثيران .. وفى تلك الفترة، أنتج عددا من أحسن القصص القصيرة التى كتبت فى تلك الفترة من تاريخ الأدب الغربى .

وكان زواجه الاول قد أسفر عن فشل ، وانتهى - فى سنة ١٩٢٧ - الى الطلاق . فما لبث أن تزوج من « بولين

فايفر » ، التى أنجبت له طفلين .. ثم نزح الى الولايات المتحدة ، فاستقر فى (كى ويست) ، **حيث راح يمارس صيد السمك ، وتاليف القصص .. وحذق الرياضة الاولى ، كما نبغ فى المهنة الثانية .**

وفى تلك الاثناء ، أصدر مجموعة قصص قصيرة سماها : « **رجال بلا نساء** » ، كما فرغ من تأليف روايته المعروفة : « **وداعا يا سلاح** » ، التى تجمع الآراء على انها أبدع رواياته بلا استثناء ..

والواقع أن « وداعا ياسلاح » لا تكاد تعدو ان تكون ـ فى جوهرها ـ قصة قصيرة ، بسطت ومدت أطرافها حتى ملأت كتابا .. **وقد تمثل هذا البسط والمد فى صور رائعة للحرب ـ بما فيها من وحشية وخسة وذلة ـ وللحب القوى العارم ، الذى هزأ بكل شىء فى سبيل الوصول بالمحبين الى الغاية ..** على أن هذا البسط والمد لم يكن مجرد حشو أو لغو ، بل انه هو الذى أسبغ عليها مسحة الشجن المثير للقلوب ، وجعلها ـ فى النهاية ـ مأساة نبيلة سامية !

« تولستوى » الحرب الاولى ..

• **والواقع** أن « هيمنجواى » بلغ فى هذه القصة أقصى ابداع فى التصوير والتحليل ، حتى ان كثيرا من النقاد يقيسون تصويره لفرار البطل من الجيش عقب التقهقر

الشنيع - وما صاحبه من ويلات وأهوال - بالصورة التى رسمها « تولستوى » المجيد للانسحاب من (موسكو) ، فى روايته الخالدة « الحرب والسلام » ..

وما كان أروع « هيمنجواى » وهو يتغلغل فى أعماق الحقيقة ، كاشفا عن اشمئزازه من الخسة ، والاكاذيب ، والخداع ، والتضليل ، وغيرها من الوسائل التى لم يكن ثمة بد منها لكى تستمر الحرب .. « **فأصبحت الكلمات المبهمة - كالمجد ، والشرف ، والشجاعة - كلمات سفيهة وقحة اذا قيست الى أسماء القرى .. الاسماء الثابتة الجامدة ، والى عدد الطرق** » .. والى كافة الدقائق التى رسمها بقلمه مبينا القسوة التى خرجت بالمنسحبين من الجنود ، وبمن رافقهم من الاهالى ، عن نطاق الانسانية !

كل هذا ، جرى به قلم « هيمنجواى » فى براعة الرسام الماهر ، وهو يرسم مواكب الهزيمة المؤكدة ، ويرسم الى جوارها ما كان ينازعه من حنين الى هوى كان مقضيا عليه بأن ينتهى بمأساة !

القصصى مصارع الثيران !

• **وفى** هذه الرواية ، تبلور ما اطلق عليه النقاد : « **نزعة الموت** » ، فقد أصبح الموت فكرة راسخة فى كل مؤلفات « هيمنجواى » التى تلت هذه الرواية .. ففى قصة

« موت فى الاصيل » ، نجد أن الموت هو الموضوع الرئيسى .. وهى قصة راح يتغنى هيمنجواى فيها بمصارعة الثيران ، فجعلها فنا ، ولونا من القتل الرفيع ، السامى ! .. وتدور القصة حول هيمنجواى نفسه .. ففى شغفه بكل نوع من المخاطر ، رأى الكاتب القصصى أن يصبح مصارعا للثيران ، ولكن الرشاقة وخفة الحركة ومرونة القوام كانت تنقصه ، كما انه لم يؤت الحيلة الغريزية التى تلهم المصارع فنه ، ومن ثم عجز عن أن يصل الى درجة « الماتادور » ، وهو ارفع مصارعى الثيران مقاما .. البطل الذى يتولى قتل الثور فى نهاية المباراة .. **على انه ظل قصصيا ، وخرج من تجربته ببضع جراح أضافها الى الجراح التى خلفتها فيه الحرب** . وقد انتهز «هيمنجواى» هذه القصة ليبث خلالها لمحات عن الكتابة كفن ، وحملة من التسفيه لاولئك الذين يستبيحون لانفسهم لقب « منقذى العالم » .. أى الديكتاتوريين الفاشيين !

كذلك نجد أن الفناء والدمار يترددان خلال صفحات روايتيه التاليتين : **« الرابح لا يأخذ شيئا »** ، و **« تلال أفريقيا الخضراء »** ، التى استعاض فيها عن مصارعة الثيران بصيد الوحوش الكاسرة .. ثم نجد الموت ــ مرة أخرى ــ فى قصة **« له وليس له ! »** ، التى كتبها متأثرا بأحداث اسبانيا أيام الحرب الاهلية .

عبير الموت .. والحب الخائب !

• **وفى** حوالى الاربعين من عمره ، عالج « هيمنجواى » المسرحية .. وقد مزج فيها الرغبة فى الموت بالامل فى تجدد الحياة ، كما تكرر فيها موضوع الحب غير الموفق ، الذى تكتنفه حماقات الحرب .. وان اقتنع البطل تقريبا – فى غمرة الصراع – بأن للقتل معنى وقيمة .

ولقد امتازت هذه المسرحية – التى سماها **« الطابور الخامس »** – بأنها سلسة لا تقل فى التشويق الى القراءة عن قصص همنجواى القصيرة . ولعل هذا هو السبب الذى دعا الى اعادة نشرها – فى سنة ١٩٣٨ – فى كتاب واحد مع عدد من قصصه القصيرة ، سماه : **« الطابور الخامس ، والتسع والاربعون قصة الاولى »** . وقد اتسمت هذه القصص بالقوة حتى أن المرء لا يمل العودة الى قراءتها المرة تلو الاخرى .. كما اتسمت بمتانة لا ينال منها تصرف كتاب « السيناريو » فى (هوليوود) ، أو عبثهم .

ومرة أخرى ، نشم عبير الموت فى **« ثلوج كليمنجارو »** ، و **« القتلة »** ، و **« الذى لا يغلب »** وغيرها من القصص التى توالت بعد ذلك .. حتى اذا بلغ هيمنجواى الثانية والاربعين ، نشر أكبر رواياته – وهى فى رأى فريق آخر من المعجبين به أعظمها وأهمها – وهى : **« لمن تدق الاجراس »** .

يبشر بوحدة الجنس البشرى

• **والحق** أن هذه الرواية جديرة بأن تعتبر أهم انتاج هيمنجواى . فمن الواضح أن الكاتب كان يبحث عن موضوع يوفق فيه بين اهتمامه القديم بالموت ، والاعتداد الذى داخله حديثا بالحياة .. **وقد وجد هذا الموضوع فى اسبانيا ، وفى الصراع الذى دار بين حزبيها المتقاتلين ، خلال تلك الحرب الاهلية الطاحنة .**

ولكى يبرز المغزى الذى كان يهدف اليه ، شرح ايمانه بأن الفاشية ضربة تضعضع الحرية الانسانية ، واقتناعه بأن العالم كل لا يتجزأ ، وكتلة متضامنة ، وان ما يصيب جزءا من هذه الكتلة خليق بأن يؤثر على بقيتها .. شرح كل هذا ببراعة وابداع فائقين ، فيما أورده على لسان احدى شخصيات القصة ـ القس جون دون ـ وهو يقول :« ما من انسان يمكن أن يكون (جزيرة) منعزلة ومستقلة عما عداها، بل ان كل انسان جزء من (قارة) .. فاذا عدا (البحر) على بقعة من (الارض) ، نقصت (أوربا) .. وكذلك الحال اذا ما مات واحد من أصدقائك أو أصدقائى، **فان (موت) أى انسان ،ينقص منى (أنا) ، لاننى و (الجنس البشرى) كل متماسك ، فأنا بعض منه** .. لذلك لا توافق قط من يسأل عمن تدق له الاجراس ، فانما تدق الاجراس (لك) .. » !

وقد استطرد هيمنجواى مبينا فى روايته أن فقدان الحرية فى أى بلد ، فقدان للحرية فى كل مكان .

تحت وطأة الشيخوخة والمرض .

• **ولقد** كان « هيمنجواى » مغرما دائما بكل ما يجعل الحياة محفوفة بالخطر ، وكان يرى ان الموت عملية سهلة لا معنى لها .. ولكن هذه الرواية بينت أنه أصبح يعرف للحياة غرضا ، وللموت معنى وغاية .. **وللمرة الاولى ، بدأ « هيمنجواى » يعالج الايجابيات ، لا السلبيات .. أصبح يساهم فى قضية تنطوى على ايمان هو أكثر من مجرد الامل ، ومن مجرد الشعور الانسانى . فقد اكتشف أن ثمة أخوة تضم الجنس البشرى بأسره .**

على أن هذا الشعور بالاخوة ، والاغتباط بالتضحية ، لم يلبثا أن ذبلا أثر هزيمة الجمهوريين وانتصار الفاشيين فى اسبانيا .. ثم تلاشيا تماما فى الرواية التالية ، التى أصدرها بعد ثمانى سنوات من السابقة : **« عبر النهر ، وفى جوف الاشجار »** . ولكن هذا الكتاب الذى طال انتظاره ، خيب الآمال الجسام التى داخلت نفوس المعجبين بهيمنجواى ، اذ انه لم يرق الى مستوى « وداعا يا سلاح » ، ولا « لمن تدق الاجراس » ..

ذلك لان هيمنجواى كان قدشاخ واعتل ، وان لم يكن قد أجدب تماما . فاذا بالاسلوب اللامع الذى امتاز به ينحط الى سلسلة من التكرار ، واذا الموهبة القصصية تغرق فى حمأة من الغرور وحب الذات .. فان سياق القصة أوحى

الى القارىء بأن هيمنجواى انما كان يطرى نفسه..فى جد ، خال من السخرية !

ولكنه سرعان ما تمالك نفسه ، وراح يجاهد الشيخوخة والعلة ..

أخوة بين البقاء والفناء !

• **ومرة** أخرى ، عاد ارتقاب الموت يشغل تفكيره وتحليلاته ، فى قصة **« الشيخ والبحر »** ، التى نشرت وهو فى الرابعة والخمسين من عمره .. وهى رواية قصيرة ، تضمنت محاولةجديدة لبيان أن الانسان يعيش تحت رحمة القضاء والقدر ، فهو أحرى بالعطف والرثاء .. كما انطوت – فى الوقت ذاته – على احساس برابطة رهيبة بين قوى البقاء وقوى الفناء .. وكم يتمثل هذا فى صراع الصياد الشيخ مع سمكة ضخمة ! .. وهو صراع طويل ، يخوضه كل من الصياد والسمكة وحيدا .. صراع متكافىء من حيث القوة ، ومن حيث الذكاء ، مما يضفى عليه لونا من الجلال والهيبة ، لم يوفق اليه أحد من الكتاب المعاصرين ، اللهم الا فى مناسبات نادرة ..

وعلى لسان الصياد الشيخ ، يجرى « هيمنجواى » هذه الفلسفة الرائعة : « ها قد اشتبكنا معا ، وما من أحد يساعد أيا منا...أيتها السمكة اننى أحبك واحترمك كل الحب والاحترام . **انك أختى ... انك تقتليننى ياسمكة !**

.. ولكن لك حقا فى ذلك . أبدا ما رأيت ما هو أعظم ، ولا أجمل ، ولا أكثر رصانة وهدوءا ، ولا أنبل منك .. فتعالى واقتلينى ، فلست أحفل من منا الذى يقتل الآخر » !

ولكن الترقب والتوجس لا ينتهيان بموت السمكة ، اذ أن عودة الصياد الى الميناء ، تكون مكتنفة بجو مفجع يثير سلسلة جديدة من المخاوف فى النفوس .

جائزتا « بوليتزر » و « نوبل » لقصة واحدة !

• **ولقد** تبدو قصة تافهة تلك التى تدور حول صراع بين صياد وسمكة . ولكن هيمنجواى يبث فى نفس القارىء انفعالا جياشا ، ويضمن القصة رسالة رمزية تفوق كل المحاولات الرمزية التى ضمنها قصصه الاخرى . لذلك فان أحدا لم يدهش عند ما ظفرت هذه القصة لكاتبها بجائزة « بوليتزر » — وهى أرقى الجوائز الادبية فى أمريكا — فى سنة ١٩٥٣ .. ثم فازت له فى العام التالى بجائزة نوبل .. فقد منح هذه الجائزة — التى يتطلع اليها كل كاتب فى العالم — جزاء « تمكنه من الاسلوب ، لا سيما فى « الشيخ والبحر » ..

وشعر كل امرىء بأن كلا التقديرين وصل الى هيمنجواى متأخرا عن موعده عشرين عاما .. وقيل ان السلطات الادبية أرادت أن تكرمه قبل أن يقتل نفسه !

ومما زاد فى اضفاء جو من المأساة القصصية على

« هيمنجواى » ، أن اهتزت أجهزة اللاسلكى فى يناير سنة ١٩٥٤ ، معلنة نبأ موته . وكان قد رحل الى أفريقيا مع زوجته فى رحلة للصيد ، وهوت بهما الطائرة التى كانت تحملهما ، فى أعالى نهر (النيل) . وطلعت الصحف على القراء مصدرة بعناوين ضخمة : « كان الخطر هواية همنجواى ! »

ينجو من الموت مرتين ..

• **وقبل** ان تترك الصحف الصباحية مكانها للصحف المسائية — لدى بائعى الصحف — وردت الانباء بأن هيمنجواى وجد على قيد الحياة .. ليس هذا فحسب ، بل انه نجا من الموت مرتين . فان الطائرة هوت به وبزوجته فى عرض النيل ، فاستطاعا أن يزحفا الى خارج الطائرة المهشمة ، ليلتقطهما زورق بخارى .. ثم انتقلا الى احدى طائرات الانقاذ التى كانت تبحث عنهما ، فسرعان ما هوت الطائرة واشتعلت فيها النار . **ولكن هيمنجواى استطاع أن يحطم بابها الخلفى ، وأن ينجو بحياته وحياة زوجته ! .. ثم استأنفا رحلتهما والكاتب المكتهل يبتسم قائلا : «حظى .. ان حظى لا يزال سائرا على خير ما يرام ! »**

وكان على حق فى ذلك ، فقد قدر له أن يعيش ليؤمن بالحظ ، والامل ، وليكون أكثر خبرة بمواجهة الموت . فقد قابله — وجها لوجه — مرتين فى رحلة واحدة .. وهو فى الخامسة والخمسين من عمره !

وبهذه المناسبة ، كانت الزوجة التى واجهت الموت معه فى المرتين ، هى الزوجة الرابعة .. فقد طلق زوجته الثانية فى سنة ١٩٤٠ ، ثم تزوج من زميلة له فى المهنة ، هى الكاتبة « مارثا جيلهورن » .. وما لبث أن طلقها ، ليتزوج — فى سنة ١٩٤٦ — من زميلة له فى المهنة التى مارسها فى صدر شبابه ، هى المراسلة الحربية « مارى ويلش » .

من أين تنبع قوته ؟

• **ولا** يكف نقاد الادب عن تشريح أعمال « هيمنجواى » الادبية ، وهم فى حيرة من أمره . فهم لا يكادون يعرفون : هل تنبع قوة هذا الكاتب من سيطرة بالغة على مشاعره وانفعالاته العاطفية ، أو من أسلوبه الموجز ، المحكم ، السديد العبارات ؟ .. واذ أعياهم وصف السحر الذى حذقه فى تحميل المصطلحات والعبارات المألوفة معانى جديدة مبتكرة ، انبرى الكاتب الروائى الانجليزى فورد مادوكس فورد ، فقال : « **ان كلمات هيمنجواى تطرق رأسك وكأنها حصوات استخرجت لفورها من قاع جدول نمير ، فتحتل كل منها المكان الملائم لها ، وتظل فيه لامعة ، حية** » !

والواقع أن « فورد » لم يبالغ فى شىء ، فقد أوتى هيمنجواى ادراكا فذا ، غير عادى ، يمكنه من تركيب الاسلوب الذى يبقى حيا على الدوام .. وهو يحذق اختيار الكلمات ، ووضعها بعضها الى جوار بعض .. وقد تكون

بينها كلمات عابرة ، أو نابية ، أو خشنة ، أو باهتة بلا لون، أو شائعة ممجوجة ، فاذا به يبث فيها انفعالا واثارة يضفيان عليها رواء لم يكن لها من قبل !

وهكذا يثبت هيمنجواى أن الاسلوب ينم عن صاحبه .. فأسلوبه مثله ، على شاكلته : صلب ، نظيف ، مهذب الحواشى ، مفعم برجولة ملحاحة .. وان الصفات التى يستخدمها فى كتابته لتمتاز بدقة الوضع ، ودقة المعنى ، ومرونة الحركة !

يحارب الموت .. بالموت !

• **ولكن** النقاد ظلوا يعيبون عليه تكرار فكرة الموت فى قصصه . وهو ـ من ناحيته ـ لا يكف عن الدفاع عن هذه الفكرة قائلا انه لا يهتم بالموت لمجرد أنه موت ، وانما لان القتل **((هو الشعور بالتمرد على الموت ، مستمدا من اتيانه وممارسته بالذات)) !**

ويبقى بعد ذلك انه ما من كاتب أمريكى ـ وربما غربى ـ وفق الى ما وفق اليه هيمنجواى فى تصوير الحيرة المتخبطة اليائسة ، والقلق المضنى المفرى للاعصاب ، اللذين عاش فيهما جيله ، خلال وبعد الحرب العالمية الاولى .. وانه ما من كاتب أمريكى ـ وربما غربى ـ صور الحرب وأهوالها ، وما يكتنفها من خسة ، وخداع ، وضراوة وحشية ، كما صورها هيمنجواى .. وانه ما من كاتب أمريكى ـ وربما غربى ـ صور مثله فى كتاباته الصراع الاليم الذى يدور

بين المرارة واشراقة الرجاء ، وبين الفشل الذى لا يتصوره العقل والنجاح الذى لا نزاع فيه ، وبين فتنة الجسد وحدة الذكاء ، وبين العنف المذهل والحيوية الباقية !

وفى هذا كله ، ظل « هيمنجواى » دائما الكاتب الصادق .. فهو لا يكتب الا عن شعور صادق ، ليصف ـ صادقا ـ تجربة لمسها، وعاش فيها .. ولعل هذا يفسر لنا انعكاسات حياته على معظم قصصه !

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمي

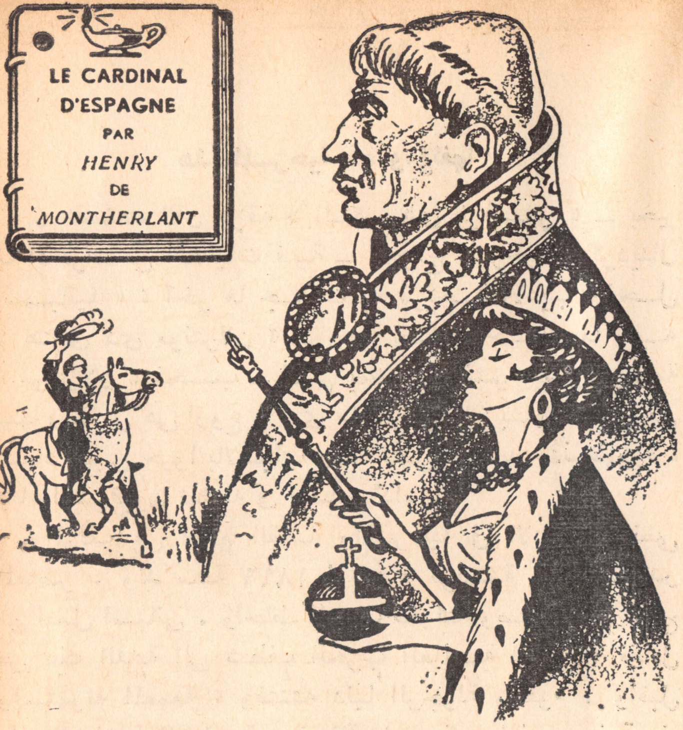
(التمثيلي والغنائي)

عزيزي القارىء ..

قدمت لك في هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب • نزاهة الحكم • سلاح المرأة • فولبون • جيوكندا • كلام الناس • مدرسة الفضائح • سيرانو دي برجراك • لعبة الحب والموت • مروحة الليدي وندرمير • فاوست • في سبيل الحب • الام • الملك يلهو • الجنس الآلي • هرناني • ترويض النمرة • الحياة نفاق • أغلال الحب • المنافق • بيت الليل • علموهم الحب • زوج مثالي • سالومي • مدرسة الارامل • برهان الحب • لوسيد • كيف نقع في حبائلهن • حلاق أشبيلية • الهاربة من الفضيحة • رجل الاقدار • جوديث • نيكراسوف • انباء مثيرة • الدروماك • جندي محترف • الشقيقات الثلاث • مهنة مسز وارين • الجحيم هو الناس • أقوى من المال •

وفيما يلي ((كردينال اسبانيا))



كردينال إسبانيا

المسرحية التي تترقبها باريس هذا الشهر
للأديب الفرنسي المعاصر «هنري دي مونترلان»

عرض وتلخيص : الدكتور أنور لوقا
مدرس الأدب الفرنسي بكلية آداب جامعة عين شمس

هذه المسرحية .. ومؤلفها

• **تستعد** الآن فرقة « الكوميدى فرانسيز » – بخير ما ادخرت من امكانيات فنية – لاخراج مسرحية « كردينال اسبانيا » ، آخر ما جادت به قريحة الاديب الفحل « هنرى دى مونترلان » . وهى ليست أحدث ما ألفه « مونترلان » فحسب – اذ لم يمض على نشرها سوى بضعة شهور – بل هى أروع وأقوى ماكتب أيضا ، بشهادة كثير من النقاد الذين حيوا بالاعجاب هذا النص الجديد عند ظهوره ، وباتوا يترقبون تمثيله فى أحسن أداء .

والمؤلف من أعلام القصة والمسرحية فى الادب الفرنسى المعاصر . ولد سنة ١٨٩٦ فى أسرة فرنسية راقية تنحدر من أصل اسبانى . وأحاط الترف طفولته وصباه . ثم خرج من تلك الدعة الى شظف الحرب العالمية الاولى ، فقاتل واستهوته المعمعة ، وفتنته دنيا الرجولة والقوة . وأقبل على الرياضة البدنية ، فحذق لعب كرة القدم وتفوق فى العدو ، بل وتعلم مصارعة الثيران وزاولها حتى جرحه فى صدره ثور جامح . ولقد كتب بأسلوبه الانيق صفحات رائعة فى تعظيم رياضة البدن ، وتمجيد مصارعة الثيران . كما استأثرت باعجاب القراء قصصه الاولى التى تصور .. الحرب .

وعلى أثر اصابته ورواج كتبه فى الوقت نفسه ، هجر ألوان النشاط التى تقتضى جهدا عضليا ، وانصرف الى

الرحلات واستعراض الناس فى مختلف بلادهم. زار ايطاليا، ووقف بروما، وأقام بوجه خاص فى شمال أفريقيا. لقد راح يتذوق متعة الارض، ويعب من موارد اللذة، ويلبى شهوات الجسد، وظل طورا تلهيه تلك التجارب عن العمل الجاد والتأليف. على انه كان يعى أن الفن هو الشطر الجوهرى من كيانه، ولم يفارقه الشغف بالادب منذ التاسعة عشرة من عمره.

وكشفت تلك الخبرة للاديب عن نفسه. و « مونترلان » يحدثنا عن الازمة التى اجتازها اذذاك، وما استخلصه منها، فيقول: « حتى سنة ١٩٢٥ لم أكن قد عرفت شيئاً عدا المدرسة والحرب والملعب.. وليس هذا كله هو الحياة. ثم استوفيت حياة الحواس الكبرى، واذ طردتها وأنا أستوفيها، وجدت نفسى حرا لاستقبال حياة روحية. قبل سنة ١٩٢٥ كنت أعيش فى عنف. وفى الحرب، وفى حلبات الرياضة، ما كنت أرى العنف الا بين ند و ند، وذلك عنف سليم. **وأما فى شمال أفريقيا، فقد رأيت العنف يزاوله القوى ضد الضعيف، ضد ابن البلد، وأعتقد أن ذلك أصبح ينفرنى من العنف ما حييت. وبدأت أحب المغلوبين على أمرهم.. »**
.. ويسترسل مونترلان فى اعترافاته فيطلعنا على نضج شخصيته، على زهده فيما كان يخلبه من الاطماع الصغيرة، وعلى نعيمه بالتوازن، ونشوته باجتلاء أعماق الحياة.

وأشهر صفات « مونترلان » الكبرياء، فهو مترفع عيوف، يزدرى عامة الناس ـ بل وخاصتهم ـ لتكالبهم على

التوافه . ولقد فاز أخيرا بعضوية الاكاديمية الفرنسية ـ دون أن يسعى اليها ـ بعد أن ظفرت مسرحياته القوية الرصينة ، ولا سيما مأساة « سيد سانتياجو » ، بأعظم التقدير .

الموضوع

• وفى هذه المسرحية الجديدة يعالج «مونترلان» موضوعا من أهم ما دار حوله تفكير الوجوديين ، ولا سيما «سارتر» و « كامى » .. يعالج مشكلة خليقة بأن يواجهها كل انسان، عند ما يقبل على الحياة فى شبابه ، وعندما تتقدم به الايام ويتأهب لمفارقة هذه الحياة . لقد اختلطت الاغراض وتعارضت المبادىء واهتزت القيم فى عصرنا المائج بالاحداث والمفاهيم والتأويلات ، **فأصبح على العاقل ان يتساءل عما اذا كان لافعاله معنى بين هذا كله . واذا كان لافعاله معنى ، فما هو ؟ ولماذا يبذل الجهد ويشتد فى السعى اذا كان مآل كل شىء الى الفناء ؟ هل نحن نضطرب فى دنيانا واهمين ، أم نعمل عن قصد وفى يقظة ؟ وأين يبدأ الوجود ، وأين ينتهى العدم ؟**

تلك هى المشكلة التى توخى المؤلف ابرازها ، فصبها فى قوالب شخصيات فريدة ، تنتمى الى التاريخ والواقع المأثور ، وسلط على أوضاعها أضواء الفلسفة الحديثة . وللمشكلة طرفان ، طرف موجب يتمثل فى « الكردينال سيسنروس » ، الذى يكدح ويطمح ، وطرف سالب يتمثل فى شخصية « الملكة جان المجنونة » التى تضرب عن العمل

وتزهد فى زينة الحياة الدنيا . ويا طالما راود هذا الصراع بين الوجود والعدم فكر « مونترلان » ، فهو يعرض له خلال كثير من مؤلفاته السابقة ، ويعبر عنه بوضوح فيما دونه ضمن مذكراته سنة ١٩٣١ ، حيث يقول :

« انما تاريخ العالم بأكمله تاريخ سحب تنبنى ، ثم تتهدم وتنقشع ، ثم تنبنى من جديد فى أشكال مختلفة .. دون أن يكون لها من معنى أو أهمية فى السماء فوق ما لها من ذلك فى العالم . »

- ١ -

• **تجرى** وقائع المسرحية فى اسبانيا ، ابان القرن السادس عشر . فها نحن فى (مدريد) ، سنة ١٥١٧ . ويطلع علينا بطل الاحداث ، الكردينال « خيمنيس دى سيسنروس » ، الراهب الذى تقلب فى المناصب حتى غدا رئيس أساقفة (طليطلة) ، ورئيس محاكم التفتيش فى (قشتالة) . انه شيخ يبلغ الثانية والثمانين من العمر . ولقد بات منذ عامين الوصى على عرش المملكة ، رغم وجود ملكة و ملك ! ذلك أن الملكة هى « جان المجنونة » التى آثرت العزلة فى جناحها من القصر منذ خمس عشرة سنة ، أو لعلها اضطرت الى تلك العزلة اضطرارا تحت ضغط أبيها الملك فرديناند أولا ، ثم ضغط الكردينال « سيسنروس » وابنها « شارل » بعد ذلك ، فالجميع يظنون انها من ضعف العقل بحيث لا يحسن أن تشترك فى تصريف شئون الدولة . واما

ابنها الملك « شارل » فهو فتى فى مقتبل الشباب ، وهو الذى سيصبح فى التاريخ شارل الخامس أو « شارلكان » العظيم . غير أنه الآن فى طريق عودته الى عاصمة ملكه ، قادما من بلجيكا ، حيث تولى تنشئته مربون بلجيكيون و فرنسيون .. ولقد لقيت مطالبته بالعرش معارضة شديدة فى مجلس الوصاية ، ولكن الكردينال «سيسنروس» أيده وتغلب بمنطقه ودهائه على المعارضين . **وما أشد عجبهم من هذا الوصى المشهور بأطماعه يسعى الى ايثار سواه بالسلطة ! لم يبق اذن على وصايته الا بضعة أيام ، ينزل فى ختامها عن كل نفوذه الى الملك الجديد . أو ينزل حقا عن مكانه ؟** ان الجميع يتوقعون أنه سوف يفرض نفسه على الملك الشاب فرضا فى صورة مستشار خاص ـ لا سيما و « شارل » مدين له بالصعود الى العرش ـ وبذلك يتصل له الامر ، ويظل مسيطرا على كل كبيرة وصغيرة !

ويجلو لنا النقاش الدائر صورة هذا الشيخ الداهية ، الذى نبغ من أسرة فقيرة ، وامتاز بنشاطه وجده وصرامته ، حتى دخل عالم السياسة فى سن الستين ، فأخلص الولاء للملك ، وأصلح اقتصاد الدولة وجيشها ، بل وقاد هذا الجيش لاسترداد مدينة « وهران » ، كما أثمرت جهوده فى ميادين العلم ، فازدهرت بفضل تشجيعه المعاهد والدراسات . غير أن طبقة الاشراف تبغضه وتحقد عليه ، بعد أن أخضعها للملك ، وكثير من النبلاء يتهمونه بالمطامع الشخصية ، وشهوة الحكم المستبد المطلق !

ونرى بجوار الشيخ الداهية شابا من احفاد أخته ، يدعى « لويس كردونا » ، فى الثالثة والثلاثين من عمره . وهو ضابط فى الجيش على رأس احدى فصائل الفرسان ، استقدمه « سيسنروس » الى قصر الوصاية واتخذه قائدا لحرسه الخاص . ولهذا الضابط شخصية غامضة ، يطغى عليها شعور متغلغل بالضعف والنقص ازاء ذلك الشيخ الذى يكاد يكون جده . انه يحبه ويعجب به ، الا أنه لا يستطيع مقاومة ما يثير فيه من حسد قد يدفعه أحيانا الى ذمه وانكار فضله عليه . واذا صدقنا ما يقوله عن « كردونا » كبيران من رجال البلاط يكرهان « سيسنروس » — هما الدوق « استيفل » والكونت « أرالو » — بدا لنا هذا الفتى ضيق الأفق والحيلة ، قليل الذكاء والثقة فى نفسه .

ولكنه يمتاز بصفة كريمة ، هى نفوره من حياة البلاط المليئة بالدسائس والمواقف الحرجة . لقد كان الى الآن يشعر بالطمأنينة فى ظل قريبه الوصى ، صاحب الأمر والنهى ، وكان سعيدا لأن الملكة فى عزلتها تجهل وجوده . وها هو ذا يتهيب تبدل الحال ، ووفود بطانة مع الملك من الأجانب الخليقين بالتنكر لاسبانيا وتدبير المؤامرات . ويحس بعجزه عن مواجهة هذا الجو الذى يتطلب أشد الحنكة واللباقة ، فيرجو الكردينال أن يصرفه عن الخدمة فى القصر ، وأن ينقله الى أبعد ثكنات الجيش .

ويرفض « سيسنروس » ، ويلقى على الشاب درسا عسيرا . **لماذا يلوذ بالفرار من خطر الدسائس ومضض**

الاهانات ؟ فليتخذ منه مثلا ، وهو الشيخ الوقور تطرقه الاهانات وتحف به الاحقاد دون أن يشعر بوقع لها عليه !

.. وتصطدم الشخصيتان : شخصية المتخاذل الذى يؤثر العافية ، وشخصية الكردينال الذى يعرف قدر نفسه ، ويعتد برباطة جأشه ، ويتباهى فى نشوة غامرة بعزيمته القوية التى استقرت فى جسمه العجوز المتداعى . لقد حاول اذلاله أخيرا بعض رجال الملك الجديد ، ولكن شيئا من ذلك لم يبلغ مسامع الملك ، الذى يضمر له الاحترام والخير . ويرد الفتى ردودا مرة ، ولا يلبث حتى ينفعل ، ونلمس فى حديثه ضغينة الضعيف العاجز على القوى القادر. **ان الفتى ليتمنى لنفسه شخصية الشيخ وان كان يزدرى مشيبه ، بينما يزدرى الشيخ شخصية الفتى وان كان يتمنى شبابه !**

ويقطع حوارهما مشهد بليغ الدلالة : فهذا رجل ساذج بذىء اللسان ، أرسله « دوق » تشعب الخلاف بينه وبين الوصى، فأقبل يكيل له باسم ذلك الخصم الشتائم واللعنات . وفى استطاعة « سيسنروس » أن يأمر بالقاء القبض عليه فى الحال ، الا أنه لا يفعل ، ويكتفى بالضحك ..

ولا يكاد « كردونا » يخرج حتى يستدعى «سيسنروس» أحد أمنائه ، ويكلفه بابلاغ « كردونا » أن عليه أن يصحب الوصى غدا لدى الملكة . أيرتعد « كردونا » أمام العظماء ؟ اذن فلسوف يستبقيه فى القصر ، بل ولسوف يقدمه الى الملكة التى قد يلقى به جنونها فى أعجب المواقف . وذلك

هو أسلوب الشيخ العنيد ـ الذى بات لا يرهب شيئا ـ فى حمل صفار الضباط على الشجاعة والجرأة .

ويثور « كردونا » عندما يأتيه هذا الأمر ، ويحتدم غيظه، ويفضى بسخطه الى عدوى الكردينال ـ « استيفل » و « أرالو » ـ فينتهزان الفرصة لاغرائه بالانقلاب على الوصى ، وبالانضمام الى حزبهما . ويميل الفتى فى أول الأمر اليهما ، ويوشك أن يعاهدهما ، الا انه يرجع فجأة عما يتورط فيه من الجحود . كلا ، انه لن يتخلى عن رئيس عائلته ، وولى نعمته : بل سيقيم على احترامه وطاعته . **وتزداد حيرة الرجلين ، ويذهبان كل مذهب فى تأويل ما بدا لهما من سيرة الفتى ، وما غاب عنهما من نواياه .**

- ٢ -

• وفى اليوم التالى ، نرى الملكة « جان » فى غرفتها .. غرفة بالية الجدران ، يغلب عليها طابع الاهمال والفوضى والعدم ! والملكة ترتدى الأسمال ، وقد تقضى النهار بأكمله دون أن تتناول طعاما ، ودون أن تنطق بكلمة ، ودون أن تؤدى صلاة . وقد يعن لها أن تصارع قططها ، وأن تجرح بالسكين وصيفاتها . ومع ذلك فهى سيدة ممتازة اذا ثاب اليها رشدها ، مرهفة الذوق ، غزيرة الثقافة . **انها تبلغ الثامنة والثلاثين من عمرها ، وقد أنجبت ستة أولاد . غير أنها منذ خمسة عشر عاما قد نبذت الحياة الدنيا ، ولم تعد تشتغل بشأن من شئون السياسة ، ووقفت نفسها على**

تأمل الموت، متعلقة بذكرى زوجها الملك « فيليب » الذى هامت بحبه، وفقدته شابا مليحا فى ربيعه السادس والعشرين ..

وهى تنتظر اليوم قدوم « سيسنروس »، الذى يريد اقناعها بالخروج من عزلتها فينة، لاستقبال ابنها الملك. وتثقل عليها فكرة لقاء الكاردينال، والجدل معه، وتهم من الضيق بأن ترسل اليه من ينبئه بأنها مريضة وأنهالاتستطيع لقاءه. ولكن ها هو ذا قد وصل .. واذا هى تستعيد سمتها منذ يدخل عليها، وتبدهه بالرأى السديد والقول الصائب، بل وتتفوق عليه فى مراعاة التقاليد. ثم تطرد «كردونا» من حضرتها، لانه - بكل بساطة - لايروقها. ويدلف « كردونا » مع بعض الندماء الى غرفة مجاورة، ويسمع من مكانه هذا الحوار الغريب الذى يحمى وطيسه، ويزخر ببراعة الكر والفر :

كلاهما نفس مترفعة أبية، وكل ما يعرض لهما أثناء الحديث مدعاة للخلاف والتنافر : يسألها الكردينال أن تنتهز مناسبة قدوم الملك فتظهر على الملأ فى زينتها، تحية لابنها وترحيبا بعهده من ناحية، واثباتا لوجودها من ناحية أخرى، فقد سرت فى الشعب شائعات تزعم انها قد ماتت ! .. ولكنها لا تتأثر، بل تحلو لها صورة الموت، وترفض سؤال الكردينال. ويضطر الكردينال الى أن يذكر لها ما ذاع بين الناس من أنباء جنونها، ويحثها على أن تنفى تلك الانباء بمجرد اشتراكها فى استقبال ولدها، وابداء شوقها الى

لقياه بعد طول غيابه . **غير أنها تعلن انها مجنونة . ولعل جهرها بالجنون خير دليل لدينا على سلامة عقلها . أليس جنونها نتيجة منطقية لحالها ؟ انه وعى امرأة فقدت ما كان يربطها بالحياة** . وهى تقول :

ــ كل شىء جرح ، اذا كان الانسان جريحا .

وتعبر عن حقيقة عميقة ــ قد تكون أعمق من أن تدركها أفهام العقلاء ــ حين تقول :

ــ هناك عالمان قد انسدت سبل كل منهما دون الآخر : عالم الذين يحبون ، وعالم الذين لا يحبون .

أما هى فتستهويها العزلة ، وتلذ لها الغياهب :

ــ ان الظلام اذ يطوى عنى كل مرئى ، يتيح لى ألا أفكر الا فى ألمى .. ولو كان الألم يبعث دخانا كاللهب ، لباتت الارض فى ليل أبدى .

ولا تلبث حتى تنهار أعصابها ، فتصمت ، ثم تتجرع قليلا من الماء ، وتنتعش . وعبثا يحاول الكردينال أن يذكرها بواجبها ، فليس لكلمة « الواجب » صدى فى نفسها . انها تبتهل الى الله قائلة :

ــ رباه ! أنعم على بأن أفعل طيلة حياتى ارادتى لا ارادتك . كلا ، ياربى ، لن أفعل ارادتك بتاتا .

وهذا قول ينكره أهل الدين . يا للمارقة ! وما أسهل ما يهددها الكردينال بافشاء كفرها لمحاكم التفتيش . ولكنها تثبت للهجوم ، ثم تهجم بدورها :

ــ لقد كنت أعتقد دائما أن انتظام امرىء فى سلك الرهبان

يعنى موته عن الحياة الدنيا . ولكنك ترى غير ذلك . كيف توفق فى جمعك بين الدين والدنيا ، بين الله وقيصر ؟ .. فى مثل سنك ، لم يعد الكدح فضيلة ، وانما هو جنون .

وهنا يستعرض الكردينال الشيخ فصولا من جهاده الطويل ، وأعماله الشاقة . فتصيح به الملكة :

ــ جهاد المرء ضد الناس ، يخلع عليهم صفة الوجود التى ليست لهم .

ــ فماذا كان ينبغى أن أفعل ؟

ــ أن تمكث فى صومعتك، على مخدعك، مكتوف الذراعين، كما أفعل .

فيتحرك فى نفس الكردينال حنينه للدير ، ويهتف فى خاطره دعاء طالما راوده الى الزهد فى الدنيا وأوزارها ، والعكوف على ذكر الله والتهجد . ويعترف :

ــ انك تحدثيننى عن غورى .

فترد عليه ردا صريحا ملؤه التأنيب والادانة :

ــ ان الشىء الذى أراك أحببته فوق كل شىء ، هو أن تستأثر بالحكم ، ولولا ذلك لظللت ساكنا .. وأما أنا ، فلست أحب شيئا ، ولست أريد شيئا ، ولست أقاوم شيئا . وبالنسبة لى ، لن يحدث شىء على الارض . وهذا العدم هو الذى يجعلنى من الصالحين ــ مهما يقل المتقولون ــ وهو الذى سيتيح لى أن أموت راضية أمام روحى ، مرضية أمام الله ، ولو ثقلت خطاياى وآلامى . ان كل عمل أضرب عن فعله ، يحسبه لى الملائكة حسنة فى كتابى .

— مولاتى ، ان الراهب القديم الذى لا زلت اياه ، ليفهم هذا الحديث أعمق الفهم وأعجبه .

ولكنه يدافع عن نزوله الى معترك الدنيا قائلا :

— لقد عملت على أن تخدم الارض الله ، وعملت على أن يرحم الله الارض .

وتنصرف الملكة الى النافذة ، وتتأمل السحب التى تتغير أشكالها ، ثم تتبدد ، ثم تؤلف أشكالا أخرى . وتلك فى نظرها صورة العبث :

— ما هذا الكون الذى يريدوننى على أن أشترك فى شئونه ؟ .. ما هذا الصوت الذى ينشىء فى فمى كلمات لا تعنينى ؟ .. وما هذا الرجل الذى يواجهنى ويريد أن يقنعنى بأنه موجود ؟

وتكاد تسفر زيارة الكردينال للملكة عن اضطرابه وهزيمته، ولكن الملكة فجأة تأخذ فى الرقص ، وتلقى ألفاظا غريبة لا رابطة بينها . لقد انتابها الجنون ، وعاودها الهذيان . وتسرع وصيفاتها لاخراجها والعناية بها .

ويدخل الندماء ، فيعلن لهم « سيسنروس » قراره الأخير ، الا وهو اطلاع الملك — وقد أصبح على بعد بضعة كيلومترات من مدريد — على حقيقة حال امه الصحية والعقلية ، ما دام يريد أن تكون أمه هى أول من يستقبله من مواطنيه . ويختلق الجميع الاعذار التى تعفيهم من القيام بهذه المهمة المحرجة البغيضة . واذ ذاك يأمر الكردينال قائد حرسه « كردونا » بأن يمضى الى لقاء الملك بعد ظهر اليوم

نفسه ، ليحدثه عن جنون أعز الناس لديه . ويرتاع الفتى عندما يتمثل كيف ينفرد بالملك ، وكيف يسوق اليه النبأ المشئوم . ويتضح لنا أن « سيسنروس » ينتقم بقسوته على « كردونا » من سيطرة الملكة عليه !

- ٣ -

• **ومنذ** بدء الفصل الثالث ـ الذى ينقلنا الى اليوم التالى ـ نرى الشيخ العنيد وقد دب الى نفسه القلق : انه نهب لما بثت فيه حكمة الملكة المجنونة من حقيقة ساحقة . نراه فى مكتبه ، بين أمين له وقائد حرسه ، يصرف العاجل من شئون الدولة . ولكنه فى الواقع لم يتخذ قرارا واحدا فى أية مشكلة من المشاكل المعروضة عليه ، وان يكن قد فرغ من بحثها جميعا . ذلك انه يرتاب ، ويحذر ، ويتردد . **لقد أصبح يشك فى ولاء أنصاره ، وفى وفاء أمينه ، وفى قيمة جهاده وأعماله . لم يعد يثق الا فى نفسه ، بل ويلمس أن شيخوخته تغرى الناس من حوله بالثورة عليه، أو باستغلاله وخديعته** . وبات يشله احساسه هذا بسخف السعى فى الدنيا ، مادامت حركة الانسان عبثا كعبث السحب العابرة التى تتراكم لتتفرق ، وتلتئم لتتلاشى .

على أن الشيخ الصارم لا يسرف فى ابداء عنائه وضعفه أمام « كردونا » ، ويستدرك قائلا :

ـ انما تعترينى الحمى كل مساء عندما يهبط الليل ، فى عين الساعة التى يعاود الملكة فيها السكون والاطمئنان .

وكيف لا يصاب المرء بالحمى طيلة حياته ؟ ولكننى لو كنت ميتا لانبعثت حيا لكى أستقبل الملك ، وأطلعه على كل شيء ، ثم .. ثم ..

ــ ان الملك فى أشد الحاجة لمن يطلعه على مجرى الامور فى أقرب فرصة .

ويصف « كردونا » الملك ، كما لقيه بعد ظهر الأمس :

انه فتى قصير القامة ، مرهف الشعور ، حيى ، لم تنبت على وجهه الشاحب لحية ، ويبدو عليه أنه غلام دون السبعة عشر عاما التى بلغها من العمر . فيصرح « سيسنروس » بأنه سيظل الى جانب الملك الجديد حتى يعرفه شئون الحكم ، ويبصره بالعقبات القائمة امام العرش ، ثم يرجع مسرعا الى الدير ، ويتوارى من ميدان السياسة .

ونلمس شدة الصراع الذى نشب فى قلب الشيخ بين الدنيا والدين . أما « كردونا » فينتقم بدوره ، ساخرا من هذا الجبار الرهيب الذى بلبل ارادته حديث الملكة المجنونة . ويشرح « سيسنروس » فى وقار عبرة ذلك الجنون ، **وكيف ينبغى ــ بدلا من أن نضحك من المجانين ــ ألا نفصل فى ذهننا بين الشخص وجنونه ، وألا نحكم على كل منهما بمفرده ، فلكل جنون علة جديرة باحترامنا ، ومنطق جدير بأن نتفهمه** . انما جنون الملكة ناشىء من أنها ترى البديهيات . ويندفع الكردينال فى اعجابه بالملكة الى التنديد بعامة الناس ، قائلا :

ــ كثير من الناس حولى يتصنعون انهم يفهمون ما أعمل .

وهم فى الواقع لا يفهمونه . **انى أعيش وسط قوم تافهين ، حتى ولو عالجوا موضوعات خطيرة جدا . عبثا أحاول أن أقتادهم الى ما هو عميق ، فانهم يظلون تافهين : والنفعة فى مثل صلابة الحديد !** ومهما يكن الراى فى الذى قالته لى الملكة ، فهذا ليس بتافه . ان الملكة لتسمو فوق الضآلة والصغار بمراحل . لقد نفذت بعنف الى الجانب الآخر .

ويتحدث عن رسالتها ، مقارنا بينها وبين الرهبان ، فيقول :

— انها نقيض الراهب الذى يزهد فى العالم ليتمكن من السيادة عليه ، فهى تسود العالم ولكنها تزهد فيه .. لقد نكأت جرحى القديم .

— ما أكثر الشخصيات التى اجتمعت فى نفسك ! فيك الراهب ، والأديب ، والسياسى ، وقائد الجيش . حينما فتحت (وهران) ، ألم تأسف فى ذلك اليوم على أنك لم تنخرط منذ شبابك فى سلك الجيش ؟

— ما افتقدت يوما الا الانغمار اللانهائى فى الروحيات . لقد وضعتنى الملكة أمام الشطر العميق من نفسى ، الشطر الذى لا أجرؤ على النظر اليه ، لأنه يغرينى فوق ما أطيق الاغراء . انى أريد أن أسجد ، وأن أحط جبهتى على الارض ، وأن أعبد الله ، والا افعل غير ذلك .

وينعى على مطالب الحكم انها تستغرق وقته ، وتتسرب الى صلواته ، وتخنق روحه . ويلح عليه العطش الى الماء الذى ينبع من الله ، فليس يرويه ولا ينشيه سواه .. فيهاجمه « كردونا » قائلا :

ـ والوحل أيضا يبعث فيك النشوة . انك تقول الآن ان روحك غريبة عن عملك . ولكنك موجود بقدر ما تعمل . ولو انقطعت عن العمل ، لانتهى وجودك .

ـ بل لظفرت بالوجود الحقيقى . لقد كنت لنفسى ـ أى لله ـ ابان كم من السنين ؟ مدة السنوات الثلاث التى قضيتها فى خلوة الدير ، ومدة السنوات الست التى قضيتها فى خلوة السجن . لقد عشت اثنتين وثمانين سنة ، لم أوجد خلالها الا تسع سنين . وهذا ما ذكرتنى به الملكة .

ـ بفضل هذه الشقية ، ها أنت ذا تعرف أخيرا انك لاتحب الحكم ! وأنت بالفعل قد هددت الملك شارل مرارا بانسحابك الى الدير ، ولكن فى حالة رفضه أن يمنحك سلطات أوسع !

ـ لست أريد ما أحب ، انى أريد ما لست أحب . لقد انقضت على الرغبة فى العزلة انقضاض الحمى . ليتنى أرجع الى الدير ، وأنسى كابوس البشر ، وأستعد للأبدية . لكنى لن أهرب من المسئولية يوم يتقدم هذا الطفل الملك ، حاملا فى يمينه ممالك الارض ، وليس له من يعلمه سواى . اننى أنا الذى خلقته ، أنا أبوه . لن أتخلى عنه ، وأنا مدين له بالذى عشت من أجله وامتد ورائى من الاعمال .. لقد حققت فى خمس وعشرين سنة ما يعجز غيرى عن تحقيقه فى أربعين سنة .

ـ كنت تفكر تفكير قديس لا يوجد بالنسبة اليه الا الله ، فما بالك تفكر تفكير تاجر على شفا الموت ؟

ـ لقد ألقت بى الملكة فى اضطراب تحاول أنت أن تستغله ..

ويواصل الفتى الناقم هجومه ، فيدعو الشيخ ـ اذا كان صادقا فى زهده ـ الى أن يقوض بيديه ما شيده ، وبذلك يعلن للورى أنه راغب عن الدنيا ، راغب فى الله . ويصمت الشيخ ، فيتحداه الفتى :

ـ ألا تجيب ؟ .. اذن فأنت شديد الحرص على أعمالك الماضية . انى لست أفهمك .

ـ لأنك من عالم الأحياء ، ولأنى من عالم الأموات ، وليس بيننا لغة مشتركة .

ويأخذه الاعياء ، فيسند رأسه الى كفيه ، ثم يثوب الى الواقع ، وينكر غيبوبته ، ويأبى على « كردونا » أن يستدعى له الطبيب « كامبوس » . ورغم ترنحه ، يتكلف تنظيم أوراقه ، حتى ينهار ، فيقبل أن يعوده الطبيب ، وهو يتمتم :

ـ كامبوس ! انه هو الذى حاول قتلى بالسم ..

ويخبو صوته وهو يقول :

ـ السحب تنقشع . ها هى ذى نهاية السحب .

وسرعان ما يجذب نبأ احتضاره عددا من الرجال يقتحمون مكتبه ، ليس بينهم الطبيب ، وانما هم أعداؤه المتربصون الشامتون ، ثم كاتبه الذى يرجو أن يوقع الكردينال المرسوم بترقيته ، أو أن يومىء أمام أولئك الشهود باقراره هذه الترقية قبل أن تفيض روحه !.. وهكذا يسمع الشيخ شر السباب ، ويلمس أنه بين أنياب الساخطين الذين يتلهفون الى تشييعه باللعنات ، بل وهذا ربيب نعمته لا يدافع عنه ! **ولعل الشيخ الداهية قد تعمد اطالة هذه اللحظات**

حتى يتحقق من نوايا المحيطين به ، فهو يفيق فجأة ، قائلا فى حزم :

ـ لن أموت قبل أن ألقى الملك .

وينتهز الاعداء ـ وبينهم « استيفل » و « أرالو » ـ فرصة دخول الطبيب للانسحاب . ولكن الكردينال لا يضيع الوقت ، بل يملى على كاتبه سلسلة من المراسيم يبطش فيها بكل من أولئك الاعداء الذين طال صبره عليهم . ويقول لكردونا ، عندما ينفرد به :

ـ فى مكانى ، ينبغى أن أعنف فى انجاز ما أقدم عليه من العمل .

ـ انك تريد ان تؤكد لنفسك انك مازلت حيا .

ويتطلع الفتى من النافذة ليشهد فى الفناء جمعا من الفرسان نسمع وقع سنابك جيادهم . ذلك رسول الملك قد أقبل فى موكب عظيم ، يحمل الى الوصى كتابا من جلالته . ويختلط بالضجيج نباح كلاب فى الخارج . ويدخل الداخلون ، فيعلو نباح الكلب ، ويصيح الكردينال :

ـ أسكتوا هذا الكلب ! فنحن هنا فى حضرة الله والملك ، لا مع الكلاب !

وبعد تبادل التحيات ، يفض « سيسنروس » رسالة الملك ، ويقرأ العبارة الأولى ، **وفيها امر صادر اليه بمغادرة مدريد والعودة الى مقره الدينى بمجرد اطلاع الملك على شئون الدولة .** ويعجز عن قراءة بقية الرسالة ، فيدفع بها الى من يتلوها عليه :

– « .. حتى تنال الراحة اللازمة لشيخوختك . والله وحده يستطيع أن يجزيك حق الجزاء عن الخدمات التى اديتها لاسبانيا . »

ويصرخ الكردينال مفجوعا :

– يا الهى ! ماذا صنعت ! لماذا أسام هذا العقاب ؟

وتمتلىء عيناه الكليلتان بالدمع ، وهو يردد :

– يا للملك المسكين ، يا للملك المسكين ! هو أيضا سيجد من يبيتون له الخيانة ..

ويهوى منكمشا كأنه ذبابة ميتة . ويجثو الى جانبه «كردونا» ، فيجس قلبه ، ويومىء الى أنه قد فارق الحياة . ويقول :

– لقد كان اذن كغيره من الناس !

ثم يرفع احدى يدى الجثة ويلثمها قائلا :

– أبتاه ! اغفر لى يا أبتاه !

وفى الخارج يتصل نباح الكلب ، كأنه ينعى الشيخ الراحل ، أو كأنه يشهد بأن الوصى على العرش قد عجز عن اسكات كلب ينبح !

وهكذا تنتهى مأساة العدم .



نساء ومآسٍ في ساحة العدالة

عجز الملك عن انقاذها !

للكاتب والمؤرخ الفرنسي : « روجيه ريجي

عزيزى القارىء :

ما من نقمة يسلطها الله على امرىء قـدر الطمع ! .. وبطلا هذه الحلقة ـ من سلسلة « نساء ومآس فى ساحة العدالة » ـ ارتبطا بزواج قام فى أساسه على أطماع ..

كانت الزوجة تطمع فى أن تجد زوجا يـكون لها بمثابة سلم ترقاه الى سماء المجتمع الباريسى ، ثم الى حاشـية لويس الرابع عشر .. وكان الزوج يطمـع فى ثروة هـذه الحسناء ، قبل أن يطمع فى جمالها الباهر الطاغى .. ومن طمعه وطمعها ، تولدت سلسلة من الجرائم ، انتهت بقضية اهتزت لها دوائر القضاء ، والبلاط الملكى ، والرأى العـام كله فى باريس ، فى أواخر القرن السابع عشر .

وفى الصفحات التالية ، يعرض علينا « روجيه ريجى » ـ الـكاتب الفرنسى والمؤرخ المحقق ـ هـذه القضـية الطريفة ..

ليتها اطلعت على الغيب !

• **استأثرت** (باريس) ـ فى عهـد الملك لويس الرابع عشر ـ بكل شىء ، فكانت موطن الجمال ، ومجمع النبوغ ، وقبلة كل طامع وطامعة .. من كافة أرجاء فرنسـا . فما من أنثى أوتيت حسنا ، وما من رأس أوتى عقلا موهوبا ، ومامن انسان ابتغى جاها أو ثراء ـ رجلا كان أو انثى ـ الا

نزح الى العاصمة ، حيث تركزت كل الفرص والامكانيات التى تساعده على بلوغ غايته ..

ولقد جمعت ((مدام تيكيه)) بين هذه الحوافز الثلاثة .. اذ حبتها الطبيعة بالجمال الفتان ، وبالذكاء الثاقب .. وولد الجمال والذكاء فى نفسها طموحا متوثبا ، فلم يعد لها من أمل فى الحياة سوى أن تذهب الى .. باريس !

ولو انها اطلعت على ما كان فى ضمير الغيب ، لداست هذا الامل بقدميها الصغيرتين البديعتين ، وآثرت البقاء فى (ميتز) .. ولكن حكمة القدر تتمثل دائما فى انه يبقى نواياه اسرارا لا يطلع عليها أحد !

فى رعاية عمتها ..

• **ولدت** « انجليك نيكول كارلييه » ــ وهو اسمها الاصلى ــ فى (ميتز) ، فى سنة ١٦٥٧ ، لأب بدأ حياته مستخدما فى احدى دور النشر وبيع الكتب ، ثم استطاع بذكائه وحيلته ومهارته ان يغدو ناشرا وصاحب مكتبة .. حتى اذا وافاه الأجل ، ترك لكل من الابنين اللذين رزقهما ــ « نيكول » وأخ يكبرها ــ خمسمائة الف ليرة .. وهى عملة فرنسية قديمة ، تكاد تعادل الجنيه فى المكانة ، وان لم تساوه فى القيمة .

ولم تلبث زوجة « كارلييه » أن لحقت به ، فأصبحت « نيكول » يتيمة قبل أن تبلغ السابعة .. **ولكنها كانت يتيمة غنية ، فتنافس الاقارب على كفالتها ، واستطاعت**

احدى عماتها أن تفوز دون الجميع بها .. والحق انها عنيت بتربيتها وتعليمها كل العناية . وساعد على ذلك أن الفتاة أخذت تكشف ـ كلما تقدمت بها الاعوام ـ عن مواهب فذة .. كان جمالها الفكرى لا يقل عن حسنها البدنى ، فبرزت على لداتها ، وألمت بقسط كبير من المعرفة ، وأجادت العزف الموسيقى ، وبرعت فى الرقص ، وحذقت فنون الكلام ، فأصبحت كوكبا لامعا فى الحفلات والمجتمعات التى كانت تعقد فى دار عمتها .

جمال وجلال .. ولطف !

• **وهكذا** ، لم تكد « نيكول » تبلغ السابعة عشرة ، حتى صارت قبلة الانظار .. فالى جانب ثروتها ـ التى لم تكن بالشىء القليل فى ذلك الحين ـ أوتيت الفتاة جمالا فذا ، وصفه أحد معاصريها بقوله : « كان حسنها مصحوبا بجلال وشمم ، مما كان يبديها كاحدى ربات الاساطير .. وكان قوامها ممشوقا ، ملفوفا ، سامقا ، يضفى عليها مهابة .. كان كل مافيها يخلب الالباب ، ويفرض لها سلطانا على النفوس » ! .. وكانت تلطف من الجلال والمهابة نظرات رقيقة مفعمة بالود والحنان ، ولين فى الحركات والتصرفات ، وفم يفتر عن ابتسامة عذبة .. ويتوج كل هذا شعر فى لون الكستناء الصافية ، اذا انعكست عليه الاضواء ، تألق فى تموجات بديعة .

وما كانت « نيكول » ـ وقد أوتيت كل هذا الحسن ،

وكل تلك المواهب ـ لتخفق فى خلب ألباب الرجال ، شبابهم وكهولهم على السواء .. فكانت فتنتها تسحر كل من اتصل بها . ولم تكن عمتها بالجامدة ، ولا بالجاحدة ، فأخذت تقدم الفتاة الى كافة الاوساط والمجتمعات التى كانت ترى فيها فرصا سانحة لبناء مستقبل شامخ .

ترفض الزواج استمراء للهو

• **وكان** من الطبيعى أن تغرى ثروة الفتاة ـ من المال والجمال والخصال ـ كثيرا من زينة شباب (ميتز) ، ومن ذوى المكانة من شيوخها ، بالتنافس على طلب يدها . ولكن « نيكول » كانت تحرص على الرفض فى لطف لم يكن يجرح الكرامة ، ولا يثير السخط .

فهل تراها كانت قد عرفت الطموح اذ ذاك ، فتطلعت الى زوج فوق مستوى من تقدموا لخطبتها ؟ .. أم تراها كانت قد استمرأت أن ترى الرجال يجرون وراءها ، ويسيرون فى ذيلها كالأتباع ، أو كالحاشية ! .. ليس من حقنا ان نرجح احدى الحالين ، أو أن نقترح حالا ثالثة ، ولكنا نترك للاحداث ـ التى توالت فيما بعد ـ ايضاح حقيقة الامر .

انما يهمنا الآن أن نذكر أن الفتاة ظلت على رفضها الزواج ، والعمر يجرى بها دون أن تشعر ، حتى بلغت الثالثة والعشرين..وهى سن كانت الفتيات يجزعن اذا بلغنها دون زواج ، فى تلك الايام . على ان « نيكول » ـ فى حد ذاتها ـ

لم تجزع ، ولم تكترث ، اذ استمرأت الحياة المتحررة ، اللاهية ، التى كانت تحياها .. لكن عمتها كانت هى التى جزعت ، وحملت الهم خشية أن تمنى « نيكول » بأن تظل عانسا ، فراحت تعمل - من ناحيتها - على البحث عن زوج يروق للفتاة .

خطيب من باريس

• **وتصادف** أن كان للعمة أصدقاء يقيمون فى (باريس) ، وقد ربط بينها وبينهم ود وثيق، فكانت تكاتبهم ويراسلونها .. وكان من الطبيعى أن تفضفض اليهم - فى رسائلها - ببعض هواجسها وقلقها ، فاذا بهم يكتبون اليها ذات يوم ، مرشحين زوجا لنيكول من معارفهم .. وكان يدعى «كلود تيكيه» ، ويشغل منصبا رفيعا فى القضاء كمستشار، وقد أوتى ثروة طائلة .. **فكان جاهه وثراؤه يطغيان على نقطة الضعف الوحيدة فى صفاته .. وكانت هذه النقطة تتمثل فى انه بلغ الاربعين من عمره !**

وتحايلت العمة حتى استطاعت أن تحمل « نيكول » على أن ترضى بالرحيل الى (باريس) ، ولو لمجرد رؤية «تيكيه» هذا .. فاذا لم يرق لها ، فلن تقسرها عمتها على أن ترتضيه زوجا .

وما ان التقت الفتاة بهذا الخطيب حتى بهرها مركزه ، وثراؤه .. ولم تجد أن سنه كانت تعيبه ، اذ كان له من صفر الجسم ، ومن خفة الروح والحركة ، ووسامة الوجه،

ولطف الشمائل ، ما كان يخفى حقيقة سنه ، ويرده فى سلم العمر درجات الى الوراء .

علية القوم يترددون على دارها

• **وأقبل** « تيكيه » يتقرب الى « نيكول » ـ وقد فتن بها ـ وأسرف فى اغراقها بالهدايا ، فلم تلبث الفتاة أن قبلت الزواج منه .. ومن المؤكد أن هذا القبول لم يأت عن حب ، وانما كان وليد رغبة فى عدم العودة الى (ميتز) ، بعد أن شهدت « نيكول » مجتمعات باريس ، وأدركت مدى انفساح الفرص لكى يتألق نجمها هناك .. **ولعلها طمعت فى أن تستطيع أن تنفذ بجمالها وذكائها الى أرقى الاوساط، وأن تستطيع الفوز بما فازت به نساء كن أقل منها فى كل شىء ، فى بلاط لويس الرابع عشر !**

وان هى الا أشهر قلائل ، حتى تم الزفاف فى أواخر سنة ١٦٨٠ .. وانتقلت « نيكول » العروس الى دار زوجها ، بشارع (ديه سان بير) ، عند التقائه بشارع (دى لونيفرستيه) . وقدر لها أن تحقق كثيرا من آمالها ، فى السنوات القلائل الاولى من الزواج ، فتألق نجمها ، وأصبحت قبلة الانظار ، بفضل جمالها ، وذكائها ، واجادتها فن الحديث . وصار « صالونها » ملتقى كثير من علية القوم ، بينهم بعض أفراد الحاشية الملكية ، مثل الاميرة « دى كونتى » ، و الكونتة « دى مورا » ، والمركيز « دى

روسيون » ، والسيد «دفيتا» ، الذى كان من ضباط الامن ومن ناظمى الاشعار .

بين الاعجاب الصامت والغزل الجرىء

• **وسرعان** ما أحاطت بنيكول هالة من المعجبين ، الذين كانوا يتسابقون الى خطب ودها والتقرب اليها ، والذين كانوا يشيدون بذكر مفاتنها فى كل مكان ، ويلقبونها بـ «مدام تيكيه الحسناء» . وكان منهم من يكتفى بالمواظبة على حضور مجالسها ، ليملى عينيه بمنظرها ، ويشبع أذنيه من أحاديثها .. ومنهم من كان يلح فى مغازلتها ، ويبذل المحاولات الجريئة. . **ولكن أحدا منهم لم يظفر منها بمأرب، ولم يحرك فى قلبها وترا ، ولا أثار فى نفسها عاطفة ..** وكانت تصد أشدهم جرأة ، بأسلوب يثبط من اندفاعه ، دون أن يفقدها وده وصداقته .

والواقع أن « نيكول » لم تلبث أن راحت تخفى وراء ما كانت تظهر به من سعادة وهناء ، اسى بالغا وخيبة أمل . فقد تبينت أنها أخطأت ايما خطأ فى قبولها « تيكيه » زوجا . اذ انه ـ وقد أنجبها طفلين ـ لم يلبث أن فتر فى شغفه بها ، وأخذ يكشف عن حقيقة طباعه ونفسيته .. فاذا به شحيح ، جشع ، ميال الى القسوة والاستبداد .. وتجلت الغايات التى أفلح فى اخفائها ـ فى بادىء الامر ـ فتبينت « نيكول » انه كان قد بدد ثروته ، ورزح تحت ديون طمع فى أن يسددها من ثروتها . وقد استهلك ـ بعد

الزواج ـ حوالى نصفها فى هذا الفرض ، ثم راح يحاول أن يبدد النصف الآخر على رغباته !

اخيرا التقت بفارس الاحلام

• **واذ** وضح هذا لنيكول ، راحت تعارض زوجها ، وتأبى عليه أموالها ، مما أثار حنقه عليها ، وغضبه .. وسرعان ما دب بينهما الشقاق والنزاع ، وأخذت خلافاتهما تشتد وتعنف شيئا فشيئا .

واذا كانت « نيكول » قد تزوجت من « تيكيه » عن غير حب ، فانها لم تلبث ـ بعد أن أسفر لها عن حقيقته ـ أن بدأت تكرهه !.. والمرأة فى مثل هذه الظروف ، تصبح أكثر استعدادا لان تنشد الحب ، وأشد تعرضا للوقوع فيه . وهذا عين ما حدث لمدام تيكيه الحسناء . فقد تصادف أن التقت ـ فى تلك الاثناء ـ بفارس رشيق ، أنيق ، كان من ضباط الحرس الملكى ، هو الكونت «جيلبير دى مونجورج»، الذى لم يكن يبدو فى العاصمة الا لماما ، اذ كان منتدبا للاشتراك فى حملة أرسلها لويس الرابع عشر الى أقليم (الفلاندر) ، حيث أبلى بلاء أكسبه شهرة كبيرة فى مجتمعات ذلك العهد .

على أن اللقاءات القلائل التى جمعت بين الكونت و مدام تيكيه ، كانت كافية لان تحرك مشاعر هذه ، فاذا بها ترى فى هذا الرجل ـ الذى جمع بين الجاه والمال واللقب النبيل

والمنصب الرفيع ـ فارس أحلامهـا الذى طـالما تمنت أن تلقاه ! .. ولم يكن هو ـ من ناحيته ـ أقل تأثرا بها ، فقد فتن بسحر جمالها ..

.. واكتشف زوجها السر !

• **وهكذا** وقع كل منهما فى هوى الآخر ، وسرعان ما أخذا يمهدان السبيل الى لقاءات تروى شجرة هذا الهوى ، وراحا يدبران معا الوسائل للتغلب على العقبات التى كانت تعترضهما .

وكانت أولى العقبات وأصعبها ، هى تلك الغيرة التى بدأت تدب فى قلب ((تيكيه)) مذ ساءت العلاقات بينه وبين ((نيكول)) . فقد شرع يحصى عليها حركاتها وسكناتها ، وكأنه قرأ فى عينيها ذلك السر الجديد . ومضى يزداد غيرة ، حتى لقد استأجر حارسا لباب داره ، يدعى «جاك مورا» . وقد حرص على أن ينتقيه جلفا ، خشن الطباع ، شرس الاخـلاق .. وأقامه رقيبـا على زوجتـه ، يحصى مرات خروجها ، ويرصد من كانوا يزورونها !

وسرعان ما اكتشـف الزوج علاقة زوجتـه بالـكونت مونجورج ، ووضـح لديه أنهما كانا يلتقيـان كلما قـدر للفارس أن يفد على (باريس) !.. ولم يفت ذلك «نيكول» ، ولا هى عميت عما كان زوجها يعده لها . فقد كان يرسـم **خطته ليستغل هذا الامر فى سبيل الاسـتيلاء على ما بقى من ثروتها .**

تستقل بثروتها ، فتثير نقمة زوجها

• **وبادرت** « نيكول » الى استشارة بعض أصدقائها من رجال القانون ، ثم طلبت الفصل بين أموالها وأموال زوجها .. ولم يحرك « تيكيه » ساكنا ، استنادا منه الى ان مركزه فى دوائر القضاء ، كان كفيلا بأن يحمل زملاءه على محاباته ومجاملته . ولكن زوجته لم تلبث ان حصلت على حكم يبيح لها ان تستقل بثروتها ، فاعتبر هذا الحكم أسوأ صفعة توجه اليه ، لاسيما وانه قد هزم فى ميدان نفوذه ، **فجاش حب الانتقام فى صدره . واشتد به الحقد على « نيكول » ، فعقد العزم على أن ينكل بها .**

وتجلت خطته الجديدة فى أنه ضيق الخناق عليها ، وضاعف من الرقابة التى كان يفرضها عليها .. وكانا ـ منذ اشتد بينهما الشنقاق ـ قد تباعدا الى درجة انهما اصبحا يقيمان فى جناحين منفصلين من الدار. ولم يعودا يجتمعان، حتى حول المائدة . بل أن « تيكيه » صار يتناول غداءه خارج الدار ، واعتاد أن يتناول عشاءه فى دار صديق له يقيم على مقربة من داره ، ويدعى السيد «دى فيلمور» .. وكان يحرص ـ قبل أن يبرح الدار ـ على أن يغلق مدخل جناح زوجته ، وان يعهد بالمفتاح الى « مورا » ، الحارس الشرس . كما أصدر اليه تعليماته بأن لا يفتح باب الدار لاحد الا بعد استئذانه هو شخصيا !

السلاح الذى لا يخيب

• **وأدركت** « نيكول » انها أصبحت سجينة فعلا ، وان سجنها منيع ، حصين . وكان من الطبيعى أن يذكى هذا من حقدها على زوجها .. وكدت تجن لحرمانها من رؤية حبيبها ، فدب التمرد بين جوانحها ، وعز عليها أن ينتصر الزوج البغيض ، **فأصبحت تتمنى موته .. بل انها راحت تفكر فى خطة للتعجيل بهذا الموت !**

وشعرت بأنه لابد لها من أن تلتقى بحبيبها لتسأله العون، ولتتدبر معه الوسيلة . واشتدت بها الرغبة فى هذا اللقاء ، حتى انها بدأت تسعى اليه مهما كلفها ذلك من ثمن ! وحاولت أن ترشو « مورا » ، ولكن الحارس الشرس أبدى تمنعا . **وتحولت الرغبة الى هوس وخبال ، حتى أنها لم تتورع عن أن تلجأ الى السلاح الذى لا يخيب .. سلاح الغواية والاغراء !** .. وكيف لخادم وضيع ، جلف ، أن يقاوم أغراء سيدة رفيعة المكانة ، بارعة الجمال ؟ .. ان الوحش الكامن فى أعماق كل انسان ، يكون أسرع استجابة للاستغزاز لدى سفلة القوم ، منه لدى عليتهم .. وان لهيب الشهوة لدى أدنى الناس يكون أسرع استعارا منه لدى أعلاهم ، لا سيما اذا كان مصدر النسمات التى تذكيه ، امرأة مثل « نيكول » !

تعمل وحدها فى ثلاث جبهات

• **وصار** الباب يفتح ، فى بعض الليالى ، لتتسلل

منه نيكول كلما أرادت أن توافى حبيبها . وما أن أتيحت لها هذه الفرصة ، حتى عدلت عن أن تنشد عونه فى خطتها ـ كما كانت تبغى فى بادىء الامر ـ اذ خشيت أن يستنكر منها رغبتها ، وأن تفقد بذلك احترامه وحبه . ومن ثم آثرت أن تعمل وحيدة فى سبيل غايتها .. بل فى سبيل غاياتها ، فقد بات أمامها ثلاثة أهداف : **أن تتخلص من زوجها ، وأن تطامن خوفها من أن يشى حارسها بسرها ، وان تعمل على اغراء مونجورج بالزواج منها اذا مازال زوجها عن طريقهما .**

ولكن ، كيف السبيل الى غايتها الاولى وحدها ؟ .. كان لا بد لها من شريك تستعين به .. وانتهى بها التهور اليائس، الى أن يكون « مورا » هو شريكها ، فزادت امعانا فى اغوائه، ثم صارحته ـ فى شتاء سنة ١٦٩٦ ـ برغبتها فى التخلص من زوجها . وتحت سلطان الغواية ، راقت الفكرة للحارس ، ولعلها أثارت فى نفسه آمالا جساما . واستطاع أن يختار للمهمة شقيا من معارفه يدعى « كاتيلان » ، فعهد اليه بتدبير خطة للانقضاض على السيد « تيكيه » ـ وهو عائد الى داره فى احدى الامسيات ـ والاجهاز عليه .

القدر يأبى أن يموت الزوج

وتأهب « كاتيلان » لاداء المهمة فعلا . ولكنه تردد ـ فى اللحظة الاخيرة ـ وفوت الفرصة . ثم خشى عاقبة الامر، ففر من وجه « مورا » ، ونكث بعهده .

واستاءت « مدام تيكيه » لهذا الاخفاق ، ولكن حقدها

كان أقوى وأشد من أن يتأثر به ، فلم تيأس ، ولم تعدل عن غايتها .. بل ان الرغبة الجامحة فى القضاء على زوجها أعمت عينيها عن كل حكمة ، فانتهزت فرصة مرض ألم به – فى احدى ليالى خريف سنة ١٦٩٧ – وأرسلت له كوبا من شراب ساخن ، مع أحد الخدم . وكانت قد حرصت على أن تدس السم فى الشراب ! .. **ولكن الخادم تعثر وهو يلج مخدع سيده ، وعجز عن أن يتمالك توازنه فوقع ، وتحطمت الكوب ، واريق السائل على الارض !**

وكان خليقا بنيكول – بعد فشل هذه المؤامرة الثانية – أن تخال أن القدر يأبى أن يموت زوجها ، وأن ثمة قوة عليا تمد أصبعها فى اللحظة الاخيرة ، لتفسد عليها خطتها ، وتنقذ الزوج البغيض !

ولكن الفشل الجديد لم يثبط عزيمة الزوجة الناقمة ، فعادت تفكر فى خطة جديدة .

« لا ، انك لم تمت بعد ! »

• **ومرة** أخرى ، لجأت الى « مورا » كى يدبر كمينا لزوجها .. واختار النذل لهذه المهمة رجلين ، كان أحدهما محاربا قديما يدعى « جرانميزون » ، والآخر قريبا له من الشبان . وحدد يوم ٨ أبريل لتنفيذ المؤامرة .

وتربص الرجلان لتيكيه فى جنح الظلام، فى موعد عودته – بعد تناول العشاء – من دار السيد « دى فيلمور » ، التى كانت تقوم فى شارع (ديه سان بير) ، غير بعيد من بيت

تيكيه .. **ولكن المصادفة شاءت أن تكون الليلة مدلهمة الظلمة ، مما حدا بالسيد دى فيلمور الى أن يصر على ايفاد خادم يحمل مصباحا يضيء به الطريق لصديقه حتى باب داره !**

وتردد الشقيان ازاء هذا العامل الذى لم يكن فى الحسبان . ولكن ترددهما لم يطل ، اذ عاودتهما الجرأة . فما أن بلغ تيكيه باب داره ، حتى برز من اطواء الظلام شبحان . وانبعث صوت يقول : « ها أنتذا أخيرا . لكم طال انتظارى اياك !.. لقد حانت منيتك !» .وفى اللحظة ذاتها، دوى طلق نارى ، فاذا الخادم ـ الذى كان بصحبة تيكيه ـ يجمد فى مكانه، وقد شل الخوف حراكه .. **وألقى «تيكيه» بنفسه على الارض ، متظاهرا بأن الرصاصة قد أصابته ، وهتف ليخدع مهاجميه : « آه ، لقد هلكت ! »** .ولكن واحدا منهما صاح : « لا ، انك لم تمت بعد ! »

وانقض عليه الرجلان بالسيوف ، فصاح بأعلى صوته : « النجدة ! النجدة ! »

يأبى أن يحملوه الى داره

• **وكان** الطلق النارى قد عكر سكون الليل ، **ثم تلته** صرخات الاستغاثة ، فأسرع سكان الدور المجاورة الى فتح نوافذهم .. وهرع بعضهم الى الطريق ، فأطلق الشقيان سيقانهما للريح ، واختفيا قبل أن يفكر أحد فى مطاردتهما

.. كل ما عرف عنهما أن أحدهما كان فى ثوب رمادى ، والآخر فى ثوب بنى قاتم !

وتجمع القوم حول الجريح .. وكان الخادم قد أسرع — فى تلك الاثناء — الى السيد دى فيلمور ، فخف هذا الى صديقه الحميم .. واقترح المبادرة بنقله الى داره ، ولكن « تيكيه » **هتف بصوت واهن : « لا .. لا تنقلونى الى دارى ، بل انقلونى الى دار السيد دى فيلمور ! »**

ولم يعارضه أحد ، فسرعان ما كان طريح الفراش فى حجرة بدار صديقه. وأرسل دى فيلمور فى استدعاء طبيب، فلما أقبل هذا على عجل ، وجد أن « تيكيه » كان مصابا بخمسة جراح، ولكن أيا منها لم يكن ينذر بخطر يتهدد حياته، وان كان بينها جرح نفذ فى صدره، فكان فى حاجة الى جهد من الطبيب .

« لا أحد سوى .. زوجتى ! »

• وبين عناية الطبيب ، ورعاية الصديق الحميم ، استطاع « تيكيه » أن يجتاز بسلام ليلته الاولى ، وهو فى بحران الحمى .. وعندما أقبل المحقق فى الصباح التالى ، وجده فى حال مكنته من أن يجيب عن الاسئلة التقليدية .. وما لبث المحقق أن سأله ، آخر الامر : « هل لك أعداء ترتاب فى أن واحدا منهم هو مدبر الحادث ؟ » .. **ولم يبد على « تيكيه » أى تردد أو تفكير ، بل بادر قائلا والحقد يقطر من لهجته : « لست أرتاب فى أحد سوى .. زوجتى ! »**

وأثار الحادث – بما أحاط به من ظروف غامضة – ضجة بين أهل باريس ، لا سيما حين لم تبد له أسباب واضحة . وبادر زملاء الجريح فأكدوا أن العدالة لا بد أن تأخذ مجراها، وأن القضاة لن تأخذهم شفقة بأى جان أثيم يسفر عنه التحقيق . وتوقع القوم أن تكون القضية طريفة، لا سيما بعد أن تطايرت الاقاويل عما كان بين المستشار وزوجته من شقاق ونزاع .. وبدأ خدم دار الزوجين يتحدثون عن الحارس «مورا» ، ويتهمونه بأنه مدبر الحادث ، فقد كانوا موغرى الصدور ، لما ظفر به « مورا » من سلطان عليهم بفضل تنافس الزوجين فى ارضائه .. كل من أجل أغراضه !

شاعر .. يقبض على الحسناء !

• وفى ١٢ أبريل ، أصدر المحقق أمرا بالقبض على «مورا»، اذ أسفر التحقيق الاولى عن عدة شواهد وظروف تحيطه بالشبهات .. ولكنه لم يعترف بشىء .

وتجمعت الادلة على تأييد اتهام « تيكيه » لزوجته ، فلم تلبث أن اعتقلت هى الاخرى . **ومن سخريات القدر أن الضابط الذى رأس القوة – التى ألقت القبض عليها – كان هو عين الشاعر الشاب الذى اعتاد أن يتردد على «صالونها» .. السيد « دفيتا »** ! ومع ما بدا به من مظهر صارم – حين ذهب الى دارها لهذه المهمة المحرجة – فانها استقبلته بغير ارتباك ، وفى مهابة وتلطف ، وكأنه قدم فى زيارة ودية . **فلما تقدم لاداء مهمته، نظرت اليه فى ترفع وشمم، وقالت له:**

« سيدى ، لقد أعتدت أن أراك ــ فيما مضى ــ تقف منى موقفا غير هذا . ولقد كنت أصدك اذ ذاك ، أما اليوم .. فانى رهن اشارتك ! »

وفى تجلد ورباطة جأش ، سارت بين الجند ، واستقلت العربة التى اقتيدت اليها !

شاهد غير مرتقب !

• **وأخذ** التحقيق يسير بسرعة غير مألوفة . وراح « تيكيه » يدبر الخطط ، ويحشد الادلة للايقاع بزوجته ، بالرغم من أن جراحه لم تكن قد اندملت بعد . واستطاع أن يغرى بعض الخدم بأن يشهدوا بأنهم سمعوا «مدام تيكيه» تتوعد زوجها ، وتتمنى موته .. وورد فى بعض الاقوال ذكر كوب الشراب الذى أريق على الارض ، وكان السم قد أذيب فى محتوياته .

على أن السلطات عجزت ــ رغم كل ما بذلت من جهود ــ عن العثور على الرجل ذى الثوب البنى ، وزميله ذى الثوب الرمادى ، اللذين هاجما « تيكيه » فى مساء اليوم الثامن من أبريل . أما من الناحية المضادة ، فان «كاتيلان» ــ الذى حاول أن يقوم باعتداء مشابه، قبل سنوات ثلاث، وأخفق ــ تقدم من تلقاء ذاته ، فذكر للمحقق كيف أن « مورا » تآمر معه على ارتكاب الحادث القديم ، وزعم انه تظاهر بالقبول لفرط حاجته الى النقود ، ثم تخلى عن المهمة ونكث

بوعده .. وكان هذا الاعتراف دليلا أيد الاتهام الذى وجه الى « مورا » .

نيكول تدافع عن حبيبها

• **ومونجورج** ؟ ! ماذا كان موقفه ؟ .. الواقع أن اسمه تردد فى الاحاديث التى دارت فى «الصالونات» والمجتمعات ، فعلم ـ من لم يكن قد علم ـ بالعلاقات التى كانت تربطه بمدام تيكيه الحسناء .. ولكن أحدا لم يذهب الى اتهام الفارس الرشيق المليح .

على أن هذه الاحاديث تناهت الى أذنى المحقق ، فلما اشار اليها ـ وهو يواصل مهمته مع مدام تيكيه محاولا استدراجها ـ صاحت فى استنكار وشمم : **« ليس للسيد دى مونجورج أى شأن بهذه القضية ، فهو لا يعلم شيئا عن الامر ، وليس من الانصاف فى شىء أن تقضوا راحته لمجرد أقاويل طائشة ! »**

وكانت على حق ، اذ انها كانت قد تكتمت مؤامراتها عن حبيبها حتى لا تفقد احترامه .. وكانت صادقة فى حبها اياه ، فلم تأل جهدا فى ابعاده عن مجرى التحقيق ، حتى لا تمس سمعته شائبة .. وحرصت على تكتم علاقاتها به ، حتى أنها كانت على استعداد لان تضحى بحياتها دون أن تبوح بكلمة عن سر هواهما .

ومضى المحقق يستكمل الادلة والقرائن دائبا ، حتى أتم عناصر القضية .

الفوز لرجال القانون

• **وفى** أول أيام شهر يونيو ، بدأت المحاكمة .. ولاح للقضاة أن القضية مبهمة غامضة ، سيما وقد رفض « مورا » أن يقر بشىء . كما أن « نيكول » أصرت على انكار كل شىء ، فى شمم وترفع زاد جمالها من وقعهما على النفوس .

وفى تلك الاثناء، كانت ثمة معركة طريفة ـ ولكنهاخطيرة ـ تجرى فى (باريس) ، وتهدف للتأثير على رأى القضاة .. كان المستشارون ورجال القانون يسعون الى الثأر لزميلهم « تيكيه » ، **بينما كان أصدقاء « نيكول » يعملون على اثارة عواطف أفراد الحاشية والرأى العام ، ليكتسبوا القوتين الى صف الزوجة الحسناء المتهمة** . ولكن الفريق الاول لم يلبث أن كسب المعركة ، فأصدرت محكمة الجنايات حكمها ـ فى ٣ يونيو ـ بادانة مدام تيكيه واعدامها بقطع رأسها على مشهد من الملأ ، وبشنق « مورا » ، وبتعويض السيد « تيكيه » ـ الذى كان قد تماثل للشفاء وانتقل الى داره ـ بمائة ألف ليرة من ثروة زوجته .. ولكن هذه النتيجة لم تكن كافية لاسعادالزوج الناقم ، فاذا بهيستأنف القضية ، مطالبا بالاستيلاء على ثروة الزوجة بأكملها !

« .. لن أشفى غليلكم » !

• **وأثيرت** القضية من جديد ، فتقرر أن ينظرها القضاة فى ١٧ يونيو .. والى أن يحين هذا التاريخ ، رؤى اعادة

التحقيق مع المتهمين ، واستخدم المختصون كل الوسائل فى سبيل انتزاع اعترافات تكفل اقناع القضاة بتأييد الحكم السابق ، واجابة ملتمس « تيكيه » ، حتى يكون رجال القانون قد ارضوا شهوتهم الى الانتقام لزميلهم .

وتحت أساليب التعذيب ، اعترف « مورا » فى النهاية .. **أما « نيكول » ، فقد تحملت كل ما أنزل بها ، دون أن تكف عن القول : « اننى أدرك ما تبتغون ، ولكننى لن أشفى غليلكم ! »** . وعنفوا بها أشد العنف ، ابتغاء أن تقر بأن « مونجورج » كان عشيقها وزميلها فى الجريمة ، ولكنها لم تحفل بالآلام ، بل صرخت فى ثورة : « امضوا فى تعذيبى .. اقتلونى ! » . ولم يستطع أحد انتزاع الاعتراف المنشود منها .

وفى ١٧ يونيو عرضت القضية على محكمة الجنايات ، وصح ما كان أنصار « نيكول » يخشونه ، فقد أيد القضاة الحكم السابق ، ورفعوا قيمة التعويض الى مائة وعشرين ألف ليرة .

مونجورج يسعى لدى الملك

• **أترى العدالة قد اتخذت مجراها الطبيعى ؟**

من المؤكد أن رجال القانون لم يستندوا الى القانون فحسب ، فى سبيل الانتقام لزميلهم « تيكيه » .. ومن المؤكد كذلك أن « تيكيه » عمد الى أساليب غير خالية من الشوائب ، فى سبيل جمع الادلة ضد زوجته .

ولكن .. لم تكن ثمة قرائن ثابتة ، وطيدة ، ضد «نيكول»

بالذات ، وان كان اعتراف « كاتيلان » قد دعم الاتهام الذى كان موجها الى « مورا » .. **وحتى لو أن القرائن توفرت ، فما كانت الجراح الخمس التى أصابت « تيكيه » لتستحق اعدام نفسين !** .. ومن ثم فمن الخطل أن يقال أن العدالة قد اتخذت مجراها .. ومعنى ذلك أن الامل فى التحايل على العدالة كان متوفرا ؟ !

وقد تعلق انصار « نيكول » بهذا الامل .. وفى هذه المرحلة ، لمع نجم « مونجورج » الذى كان موقنا من أن « مدام تيكيه الحسناء » هى البراءة ذاتها ، والذى كان جد مشغوف بها . وشعر الفارس المحارب بأنه يخوض معركة اسمى مغانمها هو الفوز بحياة الشابة الفاتنة ، فراح يستغل صلاته ومكانته فى البلاط ، ويوسط ذوى النفوذ والقربى لدى لويس الرابع عشر ، ممن لم يكن الملك ــ الذى اعتاد أن يقول : « أنا الدولة ، والدولة أنا ! » ــ يرفض لهم رجاء .

.. ورفض الملك أن يعفو

• **وتحت** الحملة التى دبرها « مونجورج » ، استدعاه الملك يوما ليروى له القصة . وراح الفارس الشاب يقصها فى حرارة ولوعة تأثر لهما قلب الملك ، الذى كان يصغى بانتباه ، والذى لم يلبث أن رأى ان الحكم قد انطوى فعلا على قسوة بالغة . فقال فى آخر الامر : « أمهلنى ليلة أفكر فى الامر ! »

وانصرف « مونجورج » وقلبه يرقص فى صدره ، وقد

أيقن من انه كسب المعركة . ولكن .. فى مساء اليوم ذاته ، زار أسقف باريس الملك ، فتحدث اليه فى شأن القضية ، وكان من رأيه « **أن حياة الازواج خليقة بأن تصبح مهددة بنزوات الزوجات ، ما لم يقع على المدانين فى هذه القضية أقسى ألوان العقاب** » ، و .. « أن الرب لا يغضب على أحد قدر ما يغضب على الزوجة التى تخون العهد الذى قطعته على نفسها أمام الله ، نحو زوجها » !

واقتنع لويس الرابع عشر بمنطق الاسقف . فلما كان الغد ، وطرح الامر على بعض مستشاريه من رجال القانون — وكانوا جميعا موغرى الصدور ، من أجل زميلهم «تيكيه» — كان الملك على استعداد لان ينساق لرأيهم .. ورفض أن يعفو عن « مدام تيكيه » !

أمطار فوق ساحة الاعدام

• **وفى** الساعة الخامسة من بعد ظهر ١٩ يونيو سنة ١٦٩٩ ، سيقت « مدام تيكيه الحسناء » الى حيث تقرر أن يقطع رأسها . وخرج أهل باريس عن بكرة أبيهم ليشهدوا تنفيذ الاعدام .. فما كان اعدام زوجة مستشار ، ذاع صيت جمالها فى كل مكان ، بالحدث العادى الذى يقع كل يوم .

وكانت الغيوم تدلهم ، منذرة بأمطار شديدة ، ولكن أحدا لم يحفل بذلك ، اذ استبد الفضول بالقوم .. وعندما ظهرت العربة التى أقلت مدام تيكيه و مورا — وقد أوثقت

أيديهما خلف ظهريهما ـ انبعثت بين القوم غمغمات كأنها هدير الامواج المقبلة من بعيد .. وكانت مدام تيكيه فى ثوب أبيض ناصع ، تهدلت فوقه خصلات شعرها الكستنائى الناعم ، وقد رفعت رأسها فى شمم ، وبرز صدرها فى استعلاء ، وان بدت مستسلمة لقدرها ، لاتقاوم ولا تتمرد .

ووقفت العربة ، فأمسك القوم أنفاسهم ، وقد فعل جمال المرأة فعله فى نفوسهم ، فاذا السخط يتلاشى ليحل محله اشفاق بالغ . وفجأة ، تفتحت ميازيب السماء ، تصب وابلا من مطر غزير .

تمثال أسود يقف وحيدا

• **وحاول** القوم أن يصمدوا للمطر ، ولكن ما ان أغرقت قطراته الثقيلة ثيابهم ، حتى أسرعوا يلوذون بمداخل الدور ، ويحتمون بالجدران ، فخلا الميدان الذى كان يضيق بهم .

شخص واحد لم يحرك ساكنا .. ذلك هو « نيكول » ، التى وقفت فى العربة جامدة ، كأنها تمثال من صوان .. **تمثال أبيض ، بارع الجمال . فلم تجفل من المطر ، ولا هى أحنت رأسها تحت وابله ، بل ظلت واقفة منتصبة العود ، رافعة الرأس.** وما لبث حوذى عربة الاعدام أن أشفق عليها، فألقى على رأسها عباءة سوداء ، انسدلت على بقية جسمها .. ولم تتحرك ! وتحول التمثال الابيض الى نصب أسود ، أشبه ما يكون برمز للحداد والاسى !

ولم يلبث المطر أن انقطع فجأة، كما بدأ .. وتقدم الجلاد

فنضا العباءة السوداء عن «نيكول» .. وعاد جمالها يومض من تحت السواد ، فخفقت قلوب القوم لوعة واشفاقا !

ارتجفت يد الجلاد

• **واقتيدت** نحو منصة الاعدام ، فتقدمت منصاعة ، مستسلمة ، تسير فى خطى وئيدة ، حزينة ، ولكنها لم تفقد شممها وجلالها .. وكأنما أراد الجلاد أن يستحثها ، فدفعها بيده ، **واذا بها تنحنى فجأة، فتقبل اليد الخشنة . وكانت هذه الحركة غير المرتقبة كفيلة بأن تذيب ما تبقى من قلوب جامدة ..** فارتفعت من وسط الجمع شهقات ونهنهات . واتجهت الافئدة الى السماء بدعاء صامت مكتوم ، وقد راود الجميع أمل عجيب .. أمل فى أن يقبل ــ فى اللحظة الاخيرة ــ فارس يحمل أمرا ملكيا بالعفو عن الحسناء . ولعل الجلاد ــ هو الآخر ــ قد راوده هذا الأمل، اذ راح يتلكأ !

ولكن للتلكؤ نهاية ، فلم تلبث نيكول أن ركعت الى جوار النطع ، وأسندت رأسها اليه . **وتقدم أحد مساعدى الجلاد ليزيح شعرها عن عنقها، فنحت يده بلطف ، ورفعت شعرها بيديها وعقصته عاليا ، فبدا عنقها البض الجميل ..**

ولم يصل الفارس المرتجى . ولم يعد أمام الجلاد سوى أن يؤدى مهمته . ولعل التأثر الذى غشيه قد أرسل رجفة فى يده ، حتى أنه اضطر الى أن يهوى ببلطته ثلاث مرات ، قبل أن يوفق الى فصل الرأس عن الجسد !

الحبيب المحزون ..

• **وفى** (فرساى) ، كان الكونت دى مونجورج مشتت

البال ، كسير الفؤاد ، أشبه بجسد متداع فارقته روحه . وعافت نفسه رؤية الناس ، فلاذ بركن بعيد ، منعزل ، من الحدائق الشاسعة المحيطة بالقصر ، حيث جلس على مقعد حجرى .. وأسلم رأسه الى راحتيه ، وراح يبكى فى لوعة وأسى، **وهو يتمثل الجمال الفتان الذى استولى على فؤاده، ويستعرض مرات اللقاء التى جمعت بينه وبين « نيكول » الحسناء ، ويتحسس المواضع التى مستها شفتاها من وجهه !**

ولم يفطن مونجورج الى الامطار حين انهمرت .. ولا الى الغيوم حين تبددت .. ولا الى الشمس حين عادت الى اشراقها . كان غائبا بكل حواسه عن الدنيا . ولكنه أفاق أخيرا على جلبة تقترب منه ، فرفع رأسه ، واذا الملك يقترب منه ، يحف به نفر من علية القوم . وعندما وصل اليه الملك ، خيل الى العاشق المكلوم انه فى حلم ، فلم يحرك ساكنا .. ووواتاه صوت الملك وكأنه ينبعث من بعد سحيق، وهو يقول فى تلطف وعطف : « **اننى أقدر حزنك وألمك أيها السيد ، ولست أملك لك شيئا سوى أن أؤكد لك حبى وعطفى !** » .. وأشاح مونجورج فى صمت ، وهو يأبى أن يصدق الواقع .. وما كان ليجديه أن يصدقه ، فان محبة الملك وعطفه لم يكونا ليردا اليه الحبيبة التى فقدها !

.. وأسدلت الستار !

• **وعاش** « مونجورج » فترة فى عزلة عن الناس ، ثم عاد يغرق أساه فى ميدان الجهاد ، فخاض بعض المعارك وبرز فيها ، حتى ظفر فى سنة ١٧١٠ بصليب القديس لويس .

وعندما بلغ الخمسين ، خشى أن يموت بلا وريث ، فتزوج من أرملة حسناء . **ولا يدرى أحد هل سعد بهذا الزواج أم شقى ؟ .. وهل أنسته زوجته تلك الحبيبة الفاتنة التى زينت لها الرغبة فى أن تكون له ، أن تجنح الى الجريمة والشر ؟**

وفى سنة ١٧٣٥ ، مات الكونت دى مونجورج .

أما « تيكيه » ، فقد عاش حتى سن الثمانين .. لم تزده الاعوام الا جشعا ، وخسة ، وتكالبا على جمع المال !

قصة حياة ، ووفاة .. فندق !

بقية المنشور على صفحة ٣٤

كما اشتهر بأدبه ، فما عرف يوما أنه أزعج نوم سيدة ، بل كان اذا رأى احدى ضحاياه من السيدات توشك أن تستيقظ ، انسحب فى صمت وسكينة ! .. ومن ثم راجت عنه القصص الموشاة بالخيال ، كما تعرض البوليس - بسببه - لحملة من النقد والسخرية !

وفى ذات يوم ؛ زار هذا اللص « فندق آدلون » .. فقد استيقظ أحد النزلاء - وكان من كبار رجال الصناعة ، ومن ذوى النفوذ العظيم فى ألمانيا ، ويدعى « هوجو ستينز » - فلم يجد ساعته الذهبية ، ولا أزرار قميصه ، ولا حافظة نقوده .. ودعا زوجته - وكانت تشغل الحجرة المجاورة - فما ان تبينت ذلك ، حتى أسرعت الى حجرتها ، واذا بكل حليها ومجوهراتها قد اختفت ! .. ومما أثار العجب حقا ، انها اهتمت بغياب علبة - من العلب التى توضع فيها الزبد - كانت قد وضعتها الى جوار سرير زوجها .. وكان الزبد من الندرة فى تلك الايام ، بحيث كان القادرون يحملون معهم نصيبا منه فى أسفارهم !

وسرعان ماكان « لويس آدلون » فى الجناح الذى شغله الزوجان ، ينصت الى القصة ، ويتسلم قائمة بالاشياء المفقودة . فلما وقع بصره على آخر ما فى القائمة - « علبة الزبد » - قال : « الحق انها تعتبر من الاشياء الثمينة ! » . فقال ستينز : « لم يكن مابها زبد ، وانما هو دهن الاوز ! »

الكونتة الحمراء ..

• **وجاء** ضابطان من البوليس للتحقيق فى الحادث ، فتأملا طويلا قائمة النزلاء بالفندق ، ثم قال احدهما : « من تكون الكونتة كلينمايكل ؟ » . فأجاب مدير الفندق : « لقد كانت وصيفة لقيصر روسيا، ونزلت هنا عدة مرات قبل الحرب . وقد استطاعت ان تنجو من روسيا بكثير من مجوهراتها » .. ومرة أخرى ، توقف أكبر الضابطين مرتبة — وكان يدعى « موللر » — عند اسم آخر ، هو « **الكونتة هيتا تروبيرج** » **فابتسم المدير قائلا : « الكونتة الحمراء ؟ ! .. انها لم تعد تقيم هنا ، ولا ندرى الى أين انتقلت ! »**

وبمعاينة الجناح الذى كان « ستينز » وزوجته يشغلانه، ظهر أن الرجل اعتاد أن يترك نافذة مخدعه مفتوحة أثناء نومه .. وكانت تحيط بالطابق الاول من الفندق شرفة ، تفضى اليها أبواب متصلة بجميع الحجرات . كما كانت للطابق الارضى نوافذ لا ترتفع كثيرا عن الارض ، وتكاد قممها تصل الى الشرفة . وكان يحف بالمدخل الرئيسى للفندق — بشارع (أونتر دن ليندن) — عمودان طويلان من الحجر، كما كان يحف بالنافذة الوسطى بالواجهة المطلة على (باريزر بلاتز) عمودان آخران .. وكانت شرفة الطابق الاول تعتمد على هذه الاعمدة ، فكان سهلا على أى امرىء أن يتسلق أحدها ، فيصل الى الشرفة .

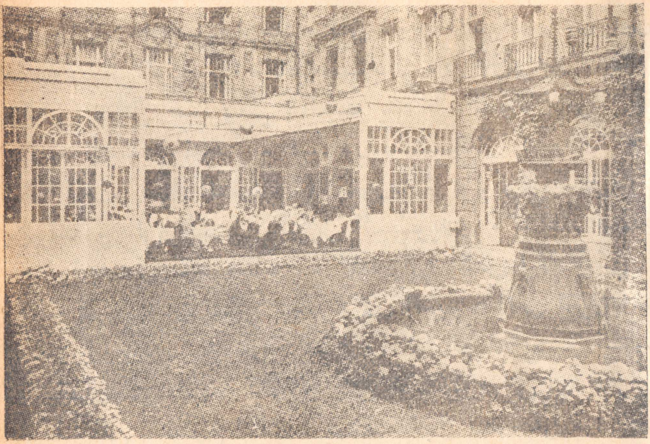
وكان الأمر الذى أثار موللر، هو : كيف ان اللص لم يسط

على نزلاء آخرين ! .. ولكن مدير الفندق أكد له أن أحدا غير « ستينز » لم يتقدم بشكوى !

وعاد « موللر » الى بهو الفندق ، وراح يفحص قائمة النزلاء فى الطابق الاول .. ثم تساءل : « من الذى يقيم فى الغرفة التى تعلو النافذة الوسطى فى واجهة شارع بلاتز ؟ » .. وأجاب الموظف : « رجل من أرباب الصناعة السويديين ، ومعه زوجته » . فأعرب موللر عن رغبته فى أن يراهما . وفيما كان الموظف محرجا بين البوليس وتقاليد الفندق التى تحرم ازعاج النزلاء ، أقبل جنديان يجران رجلا ، ما ان رآه الموظف الموكل بالاستعلامات ، حتى هتف : « الكونت أوبرسدورف ؟ ! » . واذ ذاك قال الرجل للجنديين : « أرأيتما ؟ .. اننى كونت ؟ ! » . وأقبل فى أثرهم ضابط ذكر ان الثوار الحمر قد تعرضوا لموكب قوات الحكومة الجمهورية ، ودارت معركة قبض خلالها على عدد ممن وجدوا فى مكان الالتحام ، وكان « أوبرسدورف » منهم .. وقال الرجل : « أؤكد لك اننى كنت فى طريقى الى هذا الفندق ، فانى مدعو للغداء هنا ! »

اضطر اللص الى القفز من النافذة !

• **وتطوع** موظف الاستعلامات بتعزيز هذا القول ، فسأله الضابط : « ومن الذى دعاه ؟ » . ونظر الموظف الى الكونت ، فهز رأسه ، وكأنه يجيز له الكلام . **ومن ثم قال : « كان على موعد للغداء مع البارونة دوش والكونتة هيتا ترويبرج »**. وهنا أومضت عينا الضابط ، وكان برتبة ملازم .. وعادتا



« النافورة الهامسة » .. فى حديقة فندق « أدلون »

تومضان حين عرف أن الكونتة لم تعد تقيم بالفندق ، ولا يدرى أحد مقرها !

وفى تلك الاثناء أقبل طبيب الفندق ، ومعه صديق صحفى معروف يدعى « الدكتور فون ناجل » . فما ان رأى موظف الاستعلامات الطبيب ، حتى التفت الى « موللر » وقد وجد مخرجا من الحيرة التى كان فيها قبل وصول «أوبرسدورف»، فاقترح أن يصعد الطبيب الى جناح رجل الصناعة السويدى، كما لو كان فى جولة عادية للاطمئنان على صحة النزلاء .. وبينما كان الطبيب فى مهمته ، تقدم الضابط الذى كان يعتقل « أوبرسدورف » ، وتعرف الى « ناجل » ذاكرا انه يدعى « بيرفيتز » . وأخذا يتجاذبان الحديث .

وما لبث الطبيب ان عاد متهلل الوجه، اذ كان السويدى قد نفحه ببعض السجاير، وكانت السجاير نادرة فى برلين اذ ذاك .. وقال : « كل هذا لأننى عالجت يده » .. وكان موللر يقف ككلب الصيد المتحفز ، فبادر متسائلا : « وماذا جرى ليده ؟ » . فقال الطبيب : « متورمة ! » . ولم ينتظر موللر، بل أسرع الى جناح النزيل السويدى ، ثم عاد متهللا ، وقال : « **عين ماحدست .. لقد زاره اللص ليلة أمس .. ولكنه لم يشأ أن يذكر شيئا ، لأن السيدة التى تنزل معه ليست زوجته كما كان يزعم !** .. ثم انه لم يخسر شيئا ، لأنه انهال على اللص لكما ، حتى اضطره الى أن يقفز من النافذة الى الشارع ! » .. فهتف ناجل الصحفى : « انها مسافة طويلة ، ولا بد أن اللص قد أصيب بضر منها ! »

اعترافات لص .. !

• **وقرر** موللر أن يبدأ تحرياته فى أقرب المستشفيات الى الفندق ، فصحب « ناجل » والضابط « بيرفيتز » . وبعد سويعات قلائل ، اتصل « موللر » بالفندق ، وطلب من المدير أن يتحرى عن سيدة من النزيلات ، عادت الى غرفتها فى حوالى الساعة الثانية صباحا . **وسرعان ما ظهر ان « البارونة دوش » هى تلك السيدة .**

وعاد موللر والصحفى والملازم « بيرفيتز » فى الساعة السابعة مساء .. لقد عثروا على اللص فى مستشفى خيرى تديره الراهبات ، وظهر من اسمه ــ « هوجو كاسنر » ــ انه كان محوطا بالشبهات ، ولكن البوليس لم يكن يملك

قرينة ضده . أما فى هذه المرة ، فقد وجدت معه حلى ومجوهرات ستينز وزوجته . واعترف .. بأنه كان قد تسلق أحد العمودين المحيطين بالمدخل الرئيسى ، وساعدته على ذلك الظلمة التى كانت تكتنف الشارع — وكل شوارع برلين ، فى تلك الايام — **ودخل أول حجرة وجد نافذتها مفتوحة .. وكانت حجرة « ستينز » . ثم دلف الى المخدع المتصل بها ، حيث كانت زوجته** . ثم حمل الاسلاب وهبط الى ميدان (باريزر) فخبأها فى أحد الأركان ، وعاد يتسلق أحد العمودين اللذين يحفان بالنافذة التى تتوسط واجهة الفندق المطلة على الميدان ، وتسلل الى مخدع السويدى . واذا بالرجل يشعر به ، وينهال عليه لكما ، حتى اضطر الى أن يقفز الى الطريق ، فكسرت ساقه .. وظل جاثما حيث سقط ، فلما لم يتبعه السويدى أو يستنجد ، أدرك أن لديه أسبابا تدعوه الى الصمت !

علبة الزبد تكشف عن الثوار !

• **وعندما** عرضت الحلى والمجوهرات على « ستينز » وزوجته ، وجداها كاملة . ولكن الزوجة افتقدت علبة الزبد . واضطر موللر الى العودة الى « كاسنر » — الذى ظل فى المستشفى تحت الحراسة — فما ان سأله عنها ، حتى قال بعد تردد : **« لابد ان السيدتين أخذتاها ! »**

وهكذا اعترف بجزء كان قد أمسكه من قصته . فلقد ظل جاثما فى ميدان (باريزر) ، الى أن مرت به سيارة ، فاستوقفها ، واذا فيها سيدتان سألتاه عما به ، فزعم لهما

انه تشاجر مع بعض الخصوم السياسيين ، وسقط من النافذة أثناء الشجار .. وهى القصة التى أدلى بها للراهبات عند وصوله الى المستشفى . وفى الحال سألته احدى السيدتين : « أكان خصومك من جنود الحكومة ؟ » . **وأيقن من لهجتها انها كانت من الحمر ، وقد ظنته كذلك ، فرد بالايجاب** . ومن ثم أصرت على ان تنقله فى السيارة .. ولكن زميلتها لم تصحبهما ، بل غادرت السيارة .. ودخلت الفندق .. وقد ظهر من التحرى ـ كما ذكرت ـ انها البارونة دوش .

واستدعاها المفتش موللر ، فروى لها « لويس آدلون » حادث السرقة ، وما أعترف به كاسنر ، فقالت : « ماكنا نحسب انه لص ! » . فقال المفتش : « لا لوم عليكما فى هذا . ولكنا نرجو مساعدتك فى العثور على علبة للزبد كانت بين المسروقات ! » . وتجلت الدهشة على أساريرها ، مما أوحى بأنها لم ترها . فسألها المفتش عن زميلتها ، فقالت انها **الكونتة هيتا تروبيرج** ! .. وكان بيرفيتز حاضرا ، فأومضت عيناه مرة أخرى لسماعه هذا الاسم !

فى وكر الشيوعيين

• **ولم** تكن البارونة تعرف مسكن الكونتة ، فقد اعتادت هذه ان تتفق معها تليفونيا على اللقاء فى الاماكن العامة . على انها ذكرت انهما ذهبتا ـ فى الليلة السالفة ـ الى حفلة راقصة خاصة فى مكان يقع فى حى من أزرى أحياء المدينة

.. وبررت البارونة ذهابها بأن نزواتها أوحت اليها أن تشهد أوساطا جديدة لم تألفها من قبل !

وما ان انصرفت البارونة ، حتى تنهد موللر قائلا : « لابد من العثور على الكونتة ! » . فقفز بيرفيتز على قدميه ، وهتف : « أنا آتيك بها ! » . واندفع الى الخارج .. وذكر « ناجل » ـ عقب انصرافه ـ **أن قوات الحكومة كانت تبحث عن الكونتة ، وان هذا هو مادعا الملازم الى أن يتطوع للعثور عليها ، ليكتشف المكان الذى كان الشيوعيون يتخذونه مسرحا لاجتماعاتهم !**

وهكذا اتصل حادث السرقة ، بحادث القبض على الكونت اوبرسدورف ، وبالجهود المبذولة للاحاطة بالشيوعيين ! .. وقد بادر الملازم الى الاتصال برؤسائه ، ثم قاد فصيلة من الجنود الى المكان الذى أقيمت فيه الحفلة الراقصة فى الليلة السالفة .. وكان زاخرا بالنساء والرجال حين وصلوا اليه، فطوقه الجنود، بينما اصطحب الملازم بعض رجاله، واجتازوا قاعة الرقص الى الحجرات الخلفية .. واذا بهم يعثرون على قادة الشيوعيين ، وكانوا يتخذون من الرقص ستارا لاخفاء اجتماعاتهم .. **وما ان رأتهم الكونتة ، حتى حاولت أن تدس وريقة صغيرة فى يد أحد الخدم ، ولكن الضابط قطع عليها المحاولة . ووجد فى القصاصة عنوانا ، فبادر الى اقتحامه مع عدد من رجاله .** واذا به نزل متواضع .. وفى حجرة كانت الكونتة تستأجرها ، وجدوا رجلا نحيلا ، منحنيا على آلة كاتبة ، وحوله فيض من الاوراق .

وأدرك الملازم ان هذا الرجل هو المندوب الذى ارسله الحزب الشيوعى فى موسكو ، ولكن الرجل أبرز مستندات تثبت أنه صحفى روسى سمحت له حكومة ألمانيا الجمهورية بالاقامة ! .. واسقط فى يد الضابط ، ولكن عينه وقعت فجأة على علبة للزبد - تطابق أوصاف العلبة المفقودة - **فقال : « لن أعتقلك لأسباب سياسية ، ولكنى سأقبض عليك لحيازتك شيئا مسروقا ! »**

وهكذا **ساعدت علبة الزبد على وقوع زعماء الحركة** الشيوعية - فى برلين - فى أيدى الحكومة !

فندق آدلون يرشح مارلين ديتريتش للمجد !

• **وكانت** السنوات الثلاث التى أعقبت ذلك من أحلك السنوات ، اذ استفحل التضخم المالى فى ألمانيا ، وكسدت الحركة فى الفندق بسبب القيود التى كانت السلطات تفرضها، لاسيما على المؤن . ولم يكن ثمة تعويض يرتجى الا من قبو الخمور الذى كان يضم مليون زجاجة !

على ان التضخم المالى زال قبيل سنة ١٩٢٣ . وفى تلك الاثناء ، قدر لى أن اتزوج من « لويس آدلون » ، وأن أقوم بدور رئيسى فى ادارة الفندق . وقد استلفتت نظرى بين رواد المشرب ، ممثلة صغيرة كانت قد بدأت تشتهر بأنها « مثيرة جدا » .. وكانت تدعى « ماريا ماجدالينا ديتريتش فون لوش » . وقد غيرت اسمها - فيما بعد - **فجمعت** المقطع الاول والمقطع الاخير من « ماريا ماجدالينا » الى اسم أبيها ، وأصبحت تعرف بـ **« مارلين ديتريتش » !**



« رودلف فالنتينو » ـ عاشق السينما الصامتة الاشهر ـ عند وصوله الى الفندق .

وقد حدث ان نزل بالفندق ـ فى سنة ١٩٢٩ ـ « اميل يانينجز » ، وكان ممثلا ألمانيا أحرز نجاحا كبيرا . وأعتاد التردد على الفندق . ولكننا لاحظنا انه كان فى هذه المرة بادى الضيق . وما لبث أن صارحنا بأنه تعاقد على الظهور فى فيلم اقتبس عن قصة للكاتب « هينريخ مان » اسمها « البروفيسور أونرات » ـ وقد سميت فى السينما : « الملاك الازرق » ـ ولكن العمل كان معطلا لعدم العثور على فتاة

شـــديدة الاغراء والاثارة ، لتمثل الدور النســـوى الاول . وكانت ((مـــارلين)) تشـــترك ـ اذ ذاك ـ فى اســتعراض مسرحى ، فما زلنا بيانينجز حتى ذهب لمشـــاهدتها على المسرح ..

واختيرت ((مارلين)) للفيلم الذى كان فاتحة مجدها !

نفحة من الهند !

● **ومن** أطرف الفترات التى شـــهدتها فى الفندق ، فترة أقام خلالها فيه ((مهراجا باتيالا)) الهندى ، وقد جلب معه أموالا طائلة ، راح ـ وحاشيته الضخمة ـ يبددونهـــا فى اسراف .. حتى انه قدم لادارة الفندق ـ عنـــد رحيله ـ أربعين ألفا من الماركات لتوزعها على الخدم ، فضلا عن المنح الخاصـــة التى أعطاها لمن كانوا على اتصـــال شخصى به من مستخدمى الفندق !

وكان بين حاشيته عدد كبير من النساء ، كن دائما يسدلن الحجاب على وجوههن .. وراعنى انهن كن ذوات جمال فذ، وشباب ناضر . وقد لذ لى أن أتأملهن عن كثب ، فاذا بهن لطيفات الى أقصى مايمكن للعقل أن يتصـــور ، ذوات عيون واسعة ، ناعمة النظرات ، ووجوه رقيقة ، يحف بهن جو من لين الانوثة وضعفها تشتهيه زميلاتهن الاوربيات .. وكانت أصغرهن طرا ، شابة أطلقوا عليها ((العفريتة)) ! .. وكانت صغيرة الحجم ، حتى لتحسبها طفلة !

قطار كهربائى للعفريتة !

● **وقـــد** حـــدث ذات يوم ، وأنا أجالسهن ، أن همست

« العفريتة » فى أذن « المهرانى » ـ وهى أم أكبر اولاد « المهراجا » ، وأكبر زوجاته مقاما ـ فاذا الجميع ينفجرن ضاحكات .. وعلمت أن « العفريتة » كانت تتوق الى أن تحصل على بعض اللعب . وقد عللت المهرانى ذلك بقولها : « كل نسائنا يحببن لعب الاطفال ! » .

واستطعت أن أحمل « المهراجا » على أن يسمح لهن بالخروج معى الى أكبر متجر فى (برلين) ، ليشترين بعض حاجاتهن .. وفى ذلك اليوم ، ابتعن من الاشياء المختلفة ملء عربة . فلما انتهينا الى قسم اللعب ، اذا بالاهتمام المشبوب يتولاهن ، فاشترت بعضهن دمى « عرائس » ، وحيوانات تتحرك بالزنبرك . **أما « العفريتة » ، فقد وقع اختيارها على قطار كهربائى بكل معداته : من عربات وقضبان ، و « كشك » للاشارة ، الخ .**

وبعد أيام ، آن للمهراجا أن يرحل . وكان تدبير رحيل كل هذا العدد من الناس ، وكل ماكان معهم من أمتعة، مهمة أثارت فى الفندق هرجا ، وشغلتنى الى حد كبير ، فى الليلة السابقة على الرحيل . وفى غمرة هذا الاضطراب ، علمت ان « العفريتة » كانت تبكى لان قطارها وضع بين الامتعة . ولم أحتمل أن يمس الأسى هذه الجميلة الصغيرة ، فدعوت غلاما من السعاة يدعى « فريتز » ، وأمرته بأن يبحث عن القطار بين الامتعة ويحمله اليها . **ولو كنت أحدس ماسيترتب على ذلك ، ما اخترت « فريتز » بالذات لهذه المهمة . على اننى سرعان مانسيتها لفرط انشغالى !**

ووسط كل هذا العناء ، أقبل مندوب احدى الصحف الكبرى يسألنى عن « حريم المهراجا » . وكان قد سمع عن القطار الكهربائى ، فأراد ان يستغله كمادة للنشر ، ولكننى صددته فى جفاء .

أحداث غريبة .. فى لحظات حرجة

• **وفجأة** ، انقطع التيار ، فساد الفندق صخب عظيم ، واضطربت الامور ، وتعالى الصياح ، فشعرت بأن أعصابى تكاد تنهار .. ثم اذا بالانوار تعود بغتة ، بنفس الغموض الذى انقطعت به . وكان أول ما عنيت به ، هو تحرى اسباب ما حدث . ولكن المدير وكبير الكهربائيين أكدوا أن كل شىء فى محطة التوليد كان على ما يرام . وفجأة ، أقبل أحد المديرين يستدعينى لمقابلة «المهرانى» ، فأسرعت اليها ، **واذا بها تذكر — والدموع فى عينيها — ان « العفريتة » قد اختفت** .. ووجدتنى فى حيرة ازاء هذا الامر ، فأسرعت الى زوجى ليرى ما ينبغى عمله ، فقد كان « المهراجا » مرتقب العودة من الخارج بعد ساعة ، ولا بد من العثور على « العفريتة » قبل عودته .

ولكنى فوجئت بالتيار الكهربائى ينقطع مرة ثانية ، فكدت أجن ، ورحت أنادى زوجى بصوت مرتفع .. وفجأة ، عاد النور بسحر ساحر ، وأقبلت احدى الوصيفات تهمس فى أذنى بأن « العفريتة » قد عادت ، وانها أبت ان تذكر أين كانت ، وكلما سألتها « المهرانى » انفجرت ضاحكة ! ..

وتذكرت المهمة التى كنت قد عهدت الى «فريتز» بها ، فخشيت

أن تكون له يد فى الامر . وفيما كنت أتكلم الى الوصيفة ، أقبل ذلك المندوب الصحفى — الذى ذكرته من قبل — فأدرك موضوع الحديث ، وقال : ((**أنا أعرف أين كانت . وانى لعلى استعداد لان أخبرك ، اذا أنت كفلت لى لقاء ((المهراجا)) لخمس دقائق فقط !**))

وكان عرضه نوعا من استغلال الظروف ، ولكننى لم أجد بدا من الرضوخ . فلما عاد « المهراجا » رجوته شخصيا أن يسمح للشاب بحديث قصير .. حتى اذا ما انتهيا ، أقبل الشاب على مكتبى وأدلى بالقصة . فقد خطر له — عند ما انقطع التيار الكهربائى لاول مرة — ان لذلك علاقة بقطار « العفريتة » ، فتسلل الى الطابق الاول .. وفيما هو يمر فى الردهات ، سمع جدالا من احدى حجرات الخدم ، فأطل بداخلها ، واذا به يرى القطار موصلا بـ « بريزة » التيار الكهربائى ، وقد جلست «العفريتة» و «فريتز» يتناقشان ، اذ اختلفا فى أمر ادارته ! .. وكانت نتيجة الجدال ، أن انقطع التيار فى المرة الثانية !

حسناء و مجوهرات .. و تاجر من الشرق !

• **وفى** أثناء اقامة « المهراجا » ، كانت احداث قصة أخرى تجرى فى الفندق .. فقد أخذت تتردد على المطعم والمشرب ممثلة حسناء ، ذات شهرة — فى تلك الايام — تدعى « مانى دبليو » . وكان المعروف انها صديقة لرجل نمسوى من كبار رجال الصناعة فى النمسا ، يدعى « ايجرمان » ،



زعيم من الهنود الحمر ، فى ضيافة لويس أدلون وزوجته «هيدا»، مؤلفة الكتاب

تدله فى هواها ، وكان شديد الغيرة عليها ، حتى انه انشأ لها متجرا للازياء فى ميدان (أوليفير) ، ليشغلها عن الاتصال بسواه !

وفى الوقت ذاته، نزل فى الفندق رجل من الشرق الاوسط ــ كان معروفا فى ذلك العهد ــ له اسم طويل ، كنا نتفادى صعوبة النطق به ، بأن ندعوه « مستر محمد » . وقد كان هذا الرجل مثريا ، جمع ثروته من الاتجار فى السجاد ، ثم تحول الى الاتجار فى الماس والمجوهرات . وكان نزوله فى الفندق وسيلة للاتصال بالمهراجا ، ليبيعه بعض أحجاره النفيسة .

وصادف أن ((ايجرمان)) سافر الى (فيينا) ، فخلا الجو أمام ((مستر محمد)) ليتعرف الى ((مانى)) ، ولم تر من ناحيتها أى ضير فى أن تنشد لديه السلوى فى غياب صديقها ! .. وسرعان ما توطدت الصداقة بينهما ، حتى أن ((مستر محمد)) بذل كل وسعه ، ليتيح لمانى أن تشترك فى مسابقة للسيارات والمجوهرات ، كان الفوز فيها يتوقف على أناقة السيارة ، وجمال راكبتها ، وقيمة ما تتحلى به من مجوهرات .

ولقد اصطحبنى زوجى الى الحفلة . وما ان بدأت ، حتى رأيت ((مانى)) بين ((مستر محمد)) و ((ايجرمان)) . بيد أن الغريمين راحا يتظاهران بالود ــ لحسن الحظ ــ وان بدا على ((ايجرمان)) انه كان يضبط أعصابه بجهد جبار ، سيما وان ((مستر محمد)) لم يكن قد ادخر وسعا فى استمالة ((مانى)) ، فابتاع سيارة ((كاديلاك)) أنيقة لهذا الفرض ، واحضر لها من المجوهرات والحلى الماسية ما أزاغ أبصار الحضور . على اننى دهشت حين علمت انه استعار هذه الحلى من متجر كبير ــ مقابل أجر ــ برغم ثروته الطائلة ، وبرغم انه كان تاجر مجوهرات !

وغنى عن القول أن ((مانى)) فازت بالجائزة الاولى فى المسابقة .. فلما انصرفنا ، ذهبت مع زوجى الى الاوبرا ، واذا ((مانى)) مع ((مستر محمد)) هناك . ولاحظت ان فى المقصورة المجاورة لمقصورتنا ، شخصا لم يحول عينيه عن الفتاة . ثم تبينت انه ((الهر اوبنهايمر)) ، مدير المتجر الذى

استعار منه التاجر الشرقى المجوهرات .. ترى هل جاء يرقب مجوهراته ـ من قبيل الاحتياط ـ أو انه كان يطمع فى أن يبتاعها « مستر محمد » ويهديها الى صديقته ؟ ! .. **لم استطع أن اجزم بشىء، ولكنى لاحظت أن ((مانى)) وصاحبها غادرا المسرح قبل أن تنتهى التمثيلية ، واذا ((لهر اوبنهايمر)) يتبعهما !**

وكم كانت دهشتى حين عدنا الى الفندق، فرأيت اوبنهايمر يجلس مع « ايجرمان » ـ عشيق « مانى » المهجور ـ فى « البار » ، يحف بهما جو غريب ، وينظر كل منهما الى الآخر فى تساؤل صامت .. وعلى حين غرة ، هب «ايجرمان» واقفا ، وعيناه عالقتان بالباب ، حيث ظهرت « مانى » ، فى عين الثوب الذى ظهرت به فى « الاوبرا » ، والمجوهرات التى كانت تتزين بها .. ولكن «مستر محمد» لم يكن معها .

وتركت « ايجرمان » يقودها الى مائدته ، وكأنما لم يجر بينهما أى شىء . ونهض « اوبنهايمر » فحياها ، وتبادل معها نظرات حافلة بالمعانى .. وتلاشى قلق « ايجرمان » ووجومه فى الحال ! .. وأدركت كل شى : كان « اوبنهايمر » متواطئا مع الفتاة على أن تغرى «مستر محمد» بأن يبتاع لها المجوهرات . **ولكن الرجل الحريص أدرك أن الصداقة العابرة ، القصيرة الاجل ، لا تستحق أن يدفع مقابلها ثمن المجوهرات ، فاكتفى باستئجارها ، وبأن أتاح للفتاة فرصة الفوز بالجائزة الاولى فى مسابقة السيارات .**

واذ تبين « اوبنهايمر » ـ وهو يراقبهما فى « الاوبرا » ـ

أن الشرقى لن يبرم الصفقة ، وعلم أنه مسافر فى الليلة ذاتها ، دبر الامر مع « مانى » ، فأوحى الى « ايجرمان » بأن بوسعه أن ينتزع فتاته من « مستر محمد » ، اذا هو ابتاع لها المجوهرات التى كانت تتلهف الى اقتنائها ..

ونجحت الخطة .. وكانت « مانى » و «اوبنهايمر » هما الرابحان !

يكسب اقامة دائمة برهان عجيب !

• **وفى** الفنادق – عادة – نزلاء يقيمون ما طابت لهم الاقامة، ثم ترسل اليهم قائمة الحساب دون أن يطالبوا بدفع قيمتها ، اذ تتولى ادارة الفندق دفعها عنهم !.. ومن نزلاء « فندق آدلون » من هذا الصنف ، كاتب نمسوى الاصل ، كان ذائع الصيت فى المانيا ، هو « انتون كوه » . **وكان يكتب لعدد كبير من الصحف والمجلات ، ويؤلف الكتب ، ويلقى المحاضرات ، ولكن دخله لم يكن يكفيه – مهما يبلغ – فكان دائما مفلسا !**

وترجع اقامته فى « فندق آدلون » الى حادث طريف . فقد حدث أثناء عودة الروائى الامريكى « سنكلير لويس » من (ستوكهولم) ، بعد فوزه بجائزة نوبل – فى سنة ١٩٣٠ – أن نزل فى الفندق مع السيدة التى كانت زوجته اذ ذاك – وهى الصحفية الشهيرة « دوروثى طومسن » – ومع الناشر « ارنست رוولت » ، الذى كان يتولى نشر انتاجه فى المانيا .. وقد انهالت على « سنكلير لويس » – عقب وصوله – الخطابات التى كانت الاغلبية الساحقة منها تشتمل على

التماس مساعدات مالية . ولما كان الكاتب الامريكى يجهل الالمانية، فانه استعان بالناشر على استعراض هذه الرسائل، فكان هو يفضها ، و « روولت » يقرأها ثم يلقى بها الى سلة المهملات ، وهما جالسان فى «البار» .. وفيما هما كذلك ، أقبل « كوه » ، فصاح به « روولت » أن يعاونهما .

وظل ثلاثتهم فى هذه المهمة حتى الليل. وما لبث «سنكلير لويس» أن انسحب ، ثم تبعه « روولت » . وظل « كوه » جالسا الى أن نبهه أحد السقاة الى أن الناشر قد أوى الى مضجعه . فغاظه هذا التصرف ، وطلب أن يقابل « لويس آدلون » ، (زوجى) .





الى اليمين : الاديب النمسوى « انتون كوه » ، أمير بوهيميا . والى اليسار : « لويس أدلون » صاحب الفندق (ابن مؤسسه « لورنز أدلون ») ، وزوجته « هيدا » ، مؤلفة هذا الكتاب ..

وكان لويس يعرفه بشهرته فحسب . فلما جاء ، بادره الكاتب قائلا : « أود أن أراهنك يا هر آدلون » . ودهش لويس ، ولكن غرامه بالنزوات الغريبة، حمله على أن يشجع الرجل على أن يدلى بما لديه . فقال كوه : « **أراهنك على اننى سأكلف أعظم صانع أحذية فى برلين بأن يصنع لى زوجا من الاحذية دون مقابل ! »** .

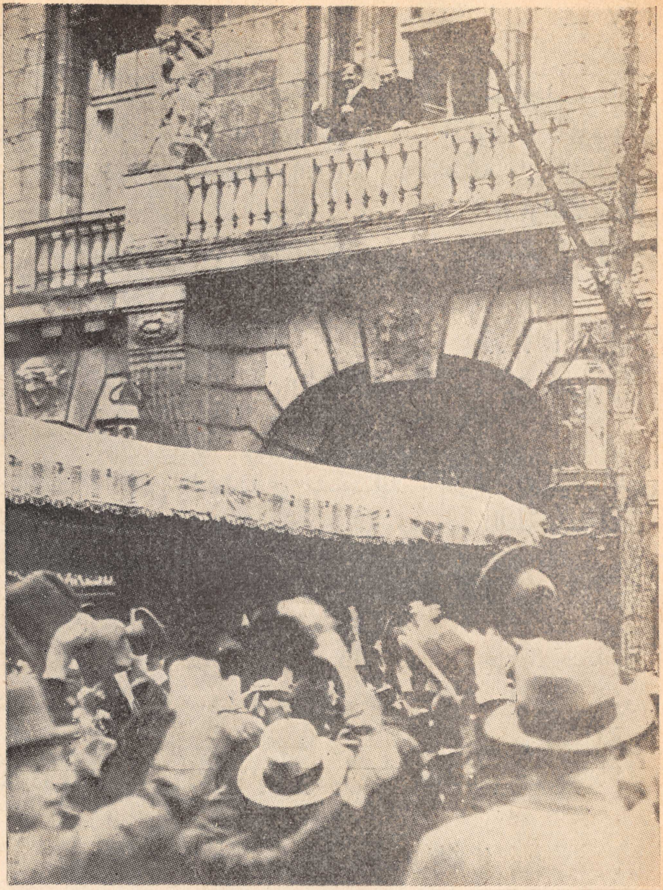
وسأله زوجى : « وكيف تتوسل الى ذلك ؟ » ، فكان جوابه : « هذا شأنى . وفوق ذلك فستحصل على زوج مثله تماما ، وستدفع أنت فيما بعد ثمن الاثنين ! »

وقبل لويس التحدى متسائلا : «وما الغرم الذى تقترحه ؟ » . فأجاب كوه : « قيمة قضائى الليلة هنا !» .

وكان أغرب ما فى الامر ، انه استطاع أن ينفذ ما وعد به ، وان كنت لا أذكر كيف تسنى له ذلك .. كل الذى أذكره هو أن « لويس آدلون » دفع ثمن زوجى الاحذية ، وكانت هذه بداية صداقة بين الرجلين . ولم يلبث « انتون كوه » أن اصبح ضيفا مقيما فى الطابق الاول من الفندق ، المخصص للامراء والدوقات ، دون أن يطالب بدفع شىء !

بين « هندنبرج » و « بريان »

● **وفى** صباح أحد أيام سبتمبر سنة ١٩٣١ ، وصل الى برلين « بيير لافال » ــ رئيس وزراء فرنسا ــ و « اريستيد بريان » ، وزير خارجيتها، وكان محبو السلام فى الدولتين



فى شرفة الفندق وقف ((بيير لافال)) رئيس وزارة فرنسـا ، و ((بريان)) وزير خارجيتها ، يردان تحيات الجماهير ، عند زيارتهما لبرلين (عام ١٩٣١) .

يعلقون آمالا جساما على هذه الزيارة .. وقد أفرد لهما « ركن ذوى المقامات العليا » فى فندق آدلون .

ولست بطبيعتى أهتم بالسياسة ، ولكنى أحسب أن هذه الزيارة كانت لمفاوضات تجارية ومالية. وقد أسهبت الصحف فى وصف الاستقبال الرسمى الذى تلقاهما به المارشال هندنبرج ، رئيس الجمهورية الالمانية . وكان المارشال فى الرابعة والثمانين ، بينما كان «بريان» فى التاسعة والستين. ولكن المارشال كان أكثر الرجلين نشاطا ومرحا ، وقد اقتضب الرسميات الى ادنى حد ممكن.. وبينما كان يشيع الضيفين، مال على أذن « فرانسوا بونسيه » ـ سفير فرنسا ، الذى كان برفقتهما ـ وقال : «لابد أننا أرهقنا الرجل المسن ! » .. ولكن « بريان » ـ المقصود بالقول ـ سمع الهمهمة ، فالتفت اليه قائلا : **« هناك أيام أعمل فيها فى وزارتى من الصباح حتى المساء ، دون هوادة .. وأيام لا أجد فيها ما أعمله . ولكنى أجد الاخيرة أشد ارهاقا من الاولى . ومن هنا تدرك السبب فى اننى الآن اشعر بشىء من الارهاق ! »**

.. ومعنى ذلك انه كان يستخف بالمهمة التى زار من أجلها الرئيس الالمانى . ولكن هندنبرج لم يفهم ـ غالبا ـ الغمزة الفرنسية !

عند ما تولى هتلر الحكم

. **وتعاقبت** الاحداث ، و « فندق آدلون » قائم .. وتولى « هتلر » الحكم بدعوة من هندنبرج ، فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ .. فضاق الفندق على سعته بالضيوف الذين جاءوا

من كافة ارجاء المانيا ، لمشاهدة موكب المشاعل الذى نظم بهذه المناسبة ..

وعندما شب حريق « الرايخشتاج » ــ البرلمان الالمانى ــ وقف علية القوم يشاهدونه من الحديقة القوطية التابعة للفندق . وكان بينهم « الهر ذويشبرج » ــ مؤسس مجموعة مصانع فاربن الكيمياوية ، التى كانت من أعظم المؤسسات الكيمياوية فى المانيا ــ واذا به يقول : **« هذه النار نذير بأن المانيا بأسرها ستغدو شيوعية ذات يوم ! »** . وكان لحسن حظه صديقا حميما لنائب مدير البوليس . ولولا ذلك لدفع الثمن غاليا ، فلقد كان رجال « الجستابو » منبثين فى كل مكان !

ولقد ادت التطورات السياسية ، وقرب الفندق من مقر رئاسة الوزارة ، الى الزج به فى غمرة الاحداث ، ولم يكن فى وسع « لويس آدلون » أن يفعل شيئا .. **فان « ادارة السياسة الخارجية » للحزب النازى استأجرت أجنحة بأكملها منه لعقد الاجتماعات والقاء المحاضرات . وكان أى اعتراض من ادارة الفندق بمثابة انتحار مؤكد !**

وكان من نزلاء الفندق المقيمين ــ فى تلك الفترة ــ « فرانز فون بابن »، الذى كان نائبا لرئيس الوزارة. وقدحدث يوما ان كان أحد السقاة يمر بجوار مائدته فى مشرب الفندق، واذا بساق آخر يصطدم به ، فانسكبت كل الزجاجات التى كان يحملها على ظهر « فون بابن » ! .. فما كان من هذا

إلا أن انحنى على المائدة ، وهو يحمى رأسه بيديه ، ثم تلفت حوله بحذر ، وتساءل مبتسما : « هل من مزيد ؟ ! »

ثم كانت تلك الليلة .. ليلة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٤ ، التى عرفت باسم « ليلة السكاكين الطويلة » ، والتى قام فيها النازيون بالانقلاب الذى رفع هتلر الى رئاسة الدولة .. وكانت الحكومة تقيم مأدبة عشاء لتكريم ملك سيام - الذى كان يزور المانيا اذ ذاك - بينما كان جنود الصاعقة ، التابعين لهتلر ، يجهزون على خصومه ومعارضيه ، ويغرقون برلين فى بحر من الدم .

القدر يدبر زواج الشاه بثريا

• **ولقد** وفدت امبراطورة ايران « تاج الملوك » - زوجة الشاه السابق رضا بهلوى - على برلين للعلاج على يدى الطبيب المشهور « الدكتور ساوربروخ » ، فأقامت بالفندق من اكتوبر سنة١٩٣٥ الى يناير سنة ١٩٣٨ . على انها - الى جانب العلاج - قامت بمهمة دقيقة لصالح زوجها . فقد كان الامير « اصفنديارى » - رئيس عشيرة « بختيارى » - بين أنصار الاسرة المالكة السابقة التى ازاحها «رضا بهلوى» عن العرش ، وقد دفعه الخوف من الشاه الجديد الى أن يهاجر الى اوربا ، وكان يقضى الشطر الاكبر من أيامه فى المانيا يتجر فى السجاد . **وفى برلين اختار زوجته «ايفا كارل» الحسناء ، فأنجبت له فى سنة ١٩٣٢ «ثريا» ، امبراطورة ايران السابقة التى طلقها الشاه الحالى من عهد غير بعيد ،** وقد كانت المهمة التى

اضطلعت بها « تاج الملوك » ، هى اقناع « أصفنديارى » بالعودة الى ايران .. وقد وفقت فى محاولاتها .

وكانت تقيم فى « فندق آدلون » — مع الامبراطورة — ابنتها « اشرف » ، توأم الشاه الحالى . ومع انها لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة من عمرها ، الا انها كانت قد تزوجت ثلاث مرات !.. وكان زواجها الاول وهى فى الخامسة عشرة من عمرها ، تحت ضغط ابيها ، لمصلحة سياسية . **وقد كانت زيارتها لبرلين أول فرصة لها للتحرر ، فاستمتعت بكل دقيقة منها** .. وعند ما آن لها أن تعود الى ايران مع أمها ، تركت أكثر من اثنتى عشرة قبعة للوصيفات اللائى كن يعملن فى الفندق ، لأنها لم تكن تجسر على اخذها معها !

« فندق آدلون » فى خضم الأحداث

• **وفى** سنة ١٩٣٨ ، بدأت الغيوم تلبد سماء المانيا .. واصبحت كلمة « الحرب » تتردد فى المناسبات . وبدأت الاستعدادات للحرب تلوح للعيان شيئا فشيئا .. وكان أول المظاهر الجدية ، وصول موظفى السفارة البريطانية الى الفندق ، بعد أن أغلقوا سفارتهم ، وأسلموا شؤونها الى الوزير المفوض السويسرى .. ولم يلبث أن لحق بهم موظفو السفارة الفرنسية ، ريثما ينقلون الى سويسرا ، عند وصول اعضاء السفارتين الالمانيتين فى انجلترا و فرنسا اليها ، ليتم التبادل .

وكان ثمة مظهر آخر لاقتراب شبح الحرب . فلقد كانت خطب « هتلر » تعد مقدما ، وتترجم الى عدد من اللغات قبل

أن يلقيها . **وكان ثمة جهاز ضخم يتبع قسم اللغات الأجنبية بوزارة الخارجية ـ ويضم ١٥٠ شخصا ـ مخصصا لهذه الترجمة .. وقد أفرد لهم الطابقان الثالث والرابع من « فندق آدلون »** ، وفرضت عليهم رقابة واجراءات شديدة، حتى لقد قطعت الخطوط التليفونية عن الطابقين ، وحيل دون أى اتصال لهم بالخارج ، وانبث رجال البوليس السرى على الارصفة المواجهة لواجهات الفندق ، وأنظارهم عالقة بهذين الطابقين !

.. ثم نشبت الحرب ، وتوالت أحداثها وتطوراتها ، و« فندق آدلون » يدور فى دوامتها .. وعند ما حان موعد « الحملة الغربية » ـ وهو الزحف الذى شنه هتلر على الدول الغربية ـ أقبل رجال « الجستابو » ليبثوا « ميكروفونات » دقيقة ، مستترة ، فى ارجاء الفندق ، لا سيما المطعم الذى كان يغشاه كثير من القادة العسكريين ، الى جانب المدنيين .. ولقد تمت هذه العملية بدون استشارتنا ولا موافقتنا ، وتحت رقابة من ضباط « الجستابو » . **بيد اننا استطعنا أن نكتشف مخابىء « الميكروفونات » تباعا ، فكنا ننبه اليها عملاءنا من المدنيين الذين اعتادوا النزول لدينا** .. كأن يقول لويس آدلون لواحد منهم ، مع غمزة خفيفة من عينه : « ألا ترى أن الحر شديد حيث تجلس ؟ .. اسمح لى بأن أبعد مقعدك قليلا ! »

وكانوا يفهمون ما يعنى ، فقد شاع استعمال التورية فى الاحاديث ، فى تلك الفترة !

الصحفيون يستدرجون مندوب الحكومة النازية

• **ولقد** حدث فى يونيو سنة ١٩٤١ – قبل الهجوم على روسيا بأمد قصير – أن اعتاد الصحفيون الاجانب ، ومعظمهم من الامريكيين ، أن يترددوا على « بار » الفندق ، حيث كانوا يجتمعون بالدكتور « كارل بومر » ، مندوب وزارة الدعاية ، فيروحوا يحاورونه ويداورونه ، لينتزعوا منه الاسرار .. وعند ما هرب «رودلف هيس» الى انجلترا ، أخذت الحكومة الالمانية تشيع انه مجنون . **وفى ذات يوم ، رسم الصحفيون الاجانب خطة لاستدراج « بومر » الى ذكر شىء عن الهجوم على روسيا ، اذ كانت الحكومة تتكتمه أشد تكتم ..**

.. وقد بدأت الخطة بأن سأل أحد الصحفيين « بومر » عن أنباء « هيس » ، فأجاب مندوب الدعاية بأن الرجل كان مجنونا .. واذ ذاك قال صحفى آخر مازحا : **« اذن فهتلر يعترف بأن مقاليد المانيا فى ايدى مجانين ؟»** .. وثارت عاصفة من الضحك ، استاء لها « بومر » ، فقال غاضبا : « أحمد الله على انني لن اسمع بعد الآن نكاتكم ! » . وانهالوا عليه بالاسئلة يستوضحونه ، فقال : «لسوف أصبح – ابتداء من الاسبوع القادم – **سكرتيرا دائما** لروزنبرج » .. وكانت زلة لسان ترتبت عليها عواقب أليمة . **اذ كان « روزنبرج » مستشار هتلر فى الشؤون الروسية ، ومنصب السكرتير الدائم لا يكون الا فى وزارة ، فمعنى ذلك أن هتلر اعتزم انشاء وزارة للشؤون الروسية !**

واذ نمي النبأ الي هتلر ، غضب أشد الغضب ، فقدم

« بومر » الى محكمة عسكرية ــ اذ كان اسمه لا يزال فى قوائم المدفعية كضابط برتبة « كابتن » ــ وقضى عليه بأن ينزل الى رتبة « نفر » ، وأن يرسل الى الجبهة الروسية ، حيث أبلى بلاء حسنا ، ونال عدة ترقيات ، حتى فقد ساقه .. وفيما كان فى المستشفى ، صدر الامر برده الى رتبته العسكرية الاصلية . ولكنه .. مات بعد أيام !

« خراج » فى مخ هتلر !

• **وعندما** اشتدت المحنة ، واقتربت النهاية ، فى شتاء ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ ، أصبح « فندق آدلون » ومخبأه ، ملاذا للكثيرين الذين هجروا بيوتهم لاشتداد وطأة الغارات الجوية. وكان بين هؤلاء ، الدكتور « موريل » الطبيب الخاص لهتلر ، الذى كان يتحدث ــ وهو جالس فى المخبأ ــ عن حالة هتلر الصحية ، بعبارات حذرة .. على أن حذره أخذ يتراخى كلما اقتربت النهاية . **وفى ذات يوم ، سئل عما اذا كان يحقن هتلر بحقن معينة ، فالتفت فى بطء ، وقال انه كان يحقنه بهرمونات الخصية ! .**

وذكر ــ فى مناسبة أخرى ــ أن علة هتلر كانت ناشئة عن برد أصيب به فى « فيينا » ــ سنة ١٩٤٣ ــ فأدى الى « خراج » فى المخ أخذ ينمو رويدا ، فنشأت عنه نوبات الاغماء التى كانت تعترى هتلر ، وارتعاش يديه ، وتعثر قدميه ، والجمود الذى كان يسود قسمات وجهه .

العلم الاحمر فى برلين !

• **وفى** ٢١ أبريل سنة ١٩٤٥ ، انفجرت أول قذيفة فى

طريق (أونتر دن ليندن) ، وأصبح «فندق آدلون» فى نطاق نيران المدفعية الروسية، التى كانت موجهة الى مقر الرئاسة. وفى ذلك اليوم بالذات ، توقف « فندق آدلون » عن تقديم الحساب لنزلائه ، وتوقفت غارات الخلفاء ، حتى لا تصيب حلفاءهم الروس الذين بلغوا مشارف (برلين) . **وأصبح الفندق يقدم الوجبات لنزلائه دون أن يسألهم عن بطاقات التموين ، ودون أن يطالبهم بثمن !**

وظل قصف المدفعية الروسية وغارات الطائرات السوفييتية على (أونتر دن ليندن) ليل نهار .. وفى نهاية شهر أبريل ، انهار مبنى وزارة الدعاية .. ثم شهد من كانوا فى « فندق آدلون » آخر مظهر للرايخ الثالث ، اذ رفع العلم الاحمر على قبة مبنى الرايخشتاج المحترق ..

وفى ٢ مايو ، دخلت الدبابات الروسية ، فلم تحن الساعة الثامنة من الصباح التالى حتى ظهر الجنود الروس فى « فندق آدلون » ، وما لبثت « داورياتهم » ان أخذت تفتش الفندق .. وكانت أعظم فاجعة شخصية حدثت لنا عندئذ هى عثورهم على قبو الخمور الهائل ، فسرعان ما أخذت سياراتهم العديدة تنقل ما كان مختزنا فيه ! .. **وكأنما كان هذا نذير النهاية ، اذ لم تلبث أن دبت النار فى القش والصناديق الفارغة التى تركوها ، فلم تلبث أن أتت على الفندق العظيم ، ولم تخلف منه سوى .. هيكل المبنى !**

وكان عزاؤنا اننا لم نهجر الفندق .. حتى هجرنا هو !


كتب جديدة
من الغرب والشرق
عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية فى العالم

الكتب الافرنجية

فى هذا الباب الجديد نزمع ان نقدم اليك ، ابتداء من هذا العدد ، عرضا لاهم الكتب الجديدة التى تصدر كل شهر فى العواصم الكبرى الثلاث لحركة النشر فى العالم ، وهى : باريس (بالنسبة للكتب التى تصدر باللغة الفرنسية) .. ولندن ونيويورك (بالنسبة للكتب التى تصدر باللغة الانجليزية) .. بالاضافة الى باب الكتب العربية ، الذى بدأناه منذ نحو شهرين . ونكتفى فى هذا العدد برسالة (باريس) وحدها ، بالنسبة للكتب الافرنجية ، على أن نضيف اليها رسالتى لندن ونيويورك ابتداء من العدد القادم باذن الله .

رسالة باريس يقدمها الدكتور أنور لوقا

الكتب الفائزة بالجوائز الأدبية فى باريس

لعل باريس هى العاصمة التى توزع أكبر عدد من الجوائز الأدبيه السنوية . ففى مستهل الشتاء تحكم لجان مختلفة بصدد انتاج العام الذى انقضى وتجيز أفضله . وهناك عشرات من الجوائز ، الا أن ثلاثا أو أربعا منها فقط هى التى تخلع على الفائزين مجدا مرموقا ، وتمنحهم فى الوقت نفسه كسبا ماديا كبيرا يسفر عنه رواج كتبهم . فالقارىء العادى لابد أن يشترى ــ على الأقل ــ الكتاب الذى استحق جائزة «جونكور» . وتتلو « الجونكور » فى الأهمية جوائز «رينودو» و « فيمينا» و«الأنترآلييه» . وثمة جوائز أخرى لاتؤثر فى الجمهور، وانما يتلهف عليها الأدباء لأنها دليل تقدير ممتاز تصدره لجنة تحكيم ممتازة ، كجائزة « النقاد » التى نالتها « فرانسواز ساجان » .

وفيما يلى نستعرض الكتب التى جعلت من أصحابها كواكب الأدب فى هذا الموسم :

DIEU EST NÉ EN EXIL
(Par Vintila Horia)

الله مولود فى المنفى

تأليف : فنتيلا هوريا

عنوان غريب ، لكاتب غريب ، أثار ضجة غريبة ! فالمؤلف لاجىء رومانى ، فى الاربعين من عمره ، قد انتهى به المطاف الى باريس . وهو يتقن اللغة الفرنسية ، منذ تعلمها صبيا فى بوخارست ، ويحمل ليسانس الحقوق ، الى جانب دراسته للآداب والفلسفة . وعندما أعلنت الحرب بين ألمانيا وروسيا جند فى المدفعية ، ثم عين ملحقا صحفيا فى (فيينا) حتى سنة ١٩٤٤ . وهناك اعتقله الألمان ، وقضى فى المعتقل سنة ، أطلق سراحه فى ختامها وصول الجيش الانجليزى . ولم تكن المواصلات بين النمسا و روما ميسرة ، فتوجه الى ايطاليا ، وتنقل فى أرجائها ، وحظى فى فلورنسا باعجاب « جيوفانى بابينى » الذى اهتم به ورعاه . وتغير النظام السياسى فى رومانيا فرفض « هوريا » العودة الى وطنه ، وهاجر الى أمريكا الجنوبية ، حيث عمل فى الأرجنتين مدرسا للغة الفرنسية ، بينما اشتغلت زوجته فى أحد المصانع . وضاعف جهوده ليواجه تكاليف الحياة ، بين الأعمال الحسابية فى بعض البنوك والشركات ، وبين المقالات يكتبها للصحف . واختار صفحات من آثار «بابينى» ترجمها



المؤلف « هوريا »

الى الاسبانية ، ونال منحة للدراسة فى مدريد ... كل ذلك قبل أن يستقر فى باريس ، حيث كتب هذه القصة ..

وهى قصة صور فيها مشاعر الشريد ، وعواطف الأديب المنفى ، وحياة الانسان بعيدا عن وطنه . ولكنه لا يتحدث حديثا شخصيا مباشرا ، بل يتخذ من الشاعر اللاتينى « أوفيد » بطلا لقصته (نشر « كتابى » أشهر آثار « أوفيد » وهو كتاب « فن الحب » فى العدد ٢٨) . والمعروف فى التاريخ أن قيصر روما « أوجوست » ــ أو « أغسطس » ــ قد نفى « أوفيد » . ويتخيل « هوريا » الأعوام الثمانية الأخيرة التى عاشها « أوفيد » فى منفاه ، حيث تملأ الحسرة قلب الشاعر الذى فارق روما ومغانيها ، الا أنه لا يلبث حتى يستكشف ــ وهو يواصل تأملاته الحزينة ــ ان الشعب الذى يعاشره شعب يؤمن باله واحد . ولقد كان الدين الرسمى الذى تعتنقه روما فى عهد «أوجوست» دينا موروثا عن اليونان ، قد غاب على مر الزمن جوهره ولم يبق منه الا مظهر أجوف . وأصبح الرومان الذين درجوا على تقديس « جوبيتر » و «فينوس» ، يضيفون الى مصاف تلك الآلهة من يموت من قياصرهم ، ولكنهم فى الواقع غير مقتنعين بسمو هذه الآلهة التى تملأ قصص الجرائم والآثام أساطيرها . أما هذا الشعب « البربرى » الذى أقصاه عن حضارة روما موقعه عند مصب الدانوب ، فقد بات بعيدا عن أوثان العاصمة ودينها الرسمى ، وبات يعبد الها يتحلى بالتواضع والرحمة ، ويفتقد البؤساء ، ويفتدى الخطاة . وهكذا تلقى الشاعر « أوفيد » نفحة المسيحية الأولى . وأتيح له أن يسمع من فم طبيب يونانى قصة ميلاد السيد المسيح .

والمؤلف يوحى الينا بهذا كله ايحاء خافتا رقيقا ، ولا يجعل من «أوفيد» رسولا أو نبيا ، حتى لا يعارض التاريخ .

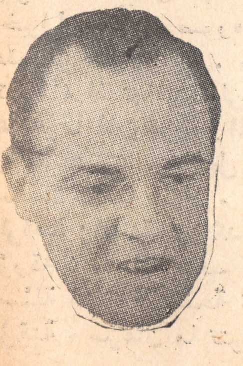
انه يمثله لنا وهو يستكشف ـ شيئا فشيئا ـ تفاهة حياته الماضية ، وزيف اللذائذ التى عكف عليها فى شبابه ، بل وهو يستعيد أبيات من حكمة الزهد وخلود الروح قد تناثرت فى قصائده ، تؤكد له حنينه المتغلغل فى نفسه الى عالم أفضل وسماء أفضل .. وهكـذا يتضح معنى العنوان ، وهو أن الايمان بالله وبالقيم الحقيقية قداتخذ طريقه الى قلب «أوفيد» بفضل اغترابه ونفيه .

ولم يـكد يذاع نبأ فوز « هوريا » بالجـائزة الكبرى ـ جائزة « جونكور » ـ حتى هاجمته الصـحف الشـيوعية واليسارية ، وراحت تنبش فى ماضيه لكى تستخرج مقالات بقلمه مدح فيها هتلر وموسـوليني .. وأسـقط فى أيدى أعضاء هيئة التحكيم ،فمنهم من استنكر ذلك ومنهم من أراد ألا تتدخل السـياسة فى تقدير الآثار الأدبية . ولم تنفرج الازمة الا بتنازل « هوريا » عن جائزته ! وهـكذا سـلطت الأضـواء على هذا الأديب الرومانى مرتين لا مرة واحدة : يوم أحرز « الجونكور » ، ويوم زهد فى « الجونكور » !

السعادة الرهيفة

LE BONHEUR FRAGILE
(Par Alfred Kern)

تأليف : ألفريد كيرن



وفاز بجائزة « رينودو » الأديب « الفريد كيرن » عن قصته الاخيرة « السعادة الرهيفة » . و « كيرن » أيضا فى نحو الاربعين من عمره ، وقد نشأ فى منطقة (الالزاس) الالمانية ، ثم قطعت الحـرب دراسـته

الجامعية ، لكنه واصلها ، واشتغل بالتدريس . وقد نظم الشعر وهو فى السادسة عشرة ، ونشر منذ عام ١٩٥٠ خمسة كتب ، بعضها من أجود القصص . وهو يسكن الحى اللاتينى فى باريس ، ويدرس اللغة الالمانية فى احدى المدارس الثانوية .

وبطل القصة « بول باشير » فتى ألزاسى كالمؤلف . ورغم جنسيته الفرنسية ، سيق – كغيره من شباب الألزاس – جنديا فى الجيش الألمانى . وكان أبوه صاحب مطبعة فى ستراسبورج . فلما عاد من جبهة القتال الروسية الرهيبة ، حاول أن يزاول مهنة أبيه ، وأن يواصل عمله ليبعث الحياة الى المطبعة ، ولكنه فشل . لم يعد يستهويه سوى شىء واحد ، هو فن الرسم . وأصغى الى هاتف الفن فى صدره ، فنزح الى باريس ، مع زوجته «ايزابيل» . وكانت حياة الفنان التى تنتظره حياة شظف قاسية ، فهو لايكاد يكسب قوته من تدريس الرسم فى بعض المعاهد . على أنه يخالط الفنانين ، وتتفاعل الخواطر فى ذهنه فتؤجج عزيمته . وينكب على ألوانه ولوحاته ، يبذل جهد المستبسل حتى ينتصر . لقد استطاع أخيرا أن يعرض صوره ، وأن يغتصب ثناء النقاد ، وأن يصير علما من أعلام الفن . ويجلب له معرضه – مع المجد – ثروة كبيرة ، اذ تهافت على اقتناء لوحاته أصحاب الذوق . **ها هوذا اذن موفور المال والاستقلال ، لا حاجة به الى الكد والتضحيات .. فهل أصبح سعيدا ؟ كلا ، لأن السعادة ليست مغنما سهلا . ان قلقه العميق يتعقبه ، وينغص عليه الراحة والدعة ، ويكدر صفو هذا النعيم المقبل** . ان فنه يؤرقه ، وعالم التعبير والأحاسيس والمعانى يثير فى نفسه اسئلة متلاحقة ملحة ، لا يجد لها الا أجوبة عابرة ، وحلولا مؤقتة ، سرعان ما تتركه لحيرته .. !

وهكذا لا يعالج الكتاب موضوع فن الرسم وحده ، بل موضوع كل عمل انشائى جوهره التأليف والخلق . ولا شك فى أن « ألفريد كيرن » يتحدث ــ خلال قصة الرسام ــ عن تجربته الشخصية فى الأدب : فالفنان الذى يرسم كالأديب الذى يكتب ، كلاهما تلتهمه حيرة الباحث . ولكن القصة لا تصور لنا الفنان كما صوره « الرومانتيكيون » فى القرن الماضى ، انسانا شقيا يفترسه شيطان الشعر ، أو ينزل عليه وحى الفن نزول اللعنة والقضاء المحتوم ، بل تعرض علينا كيف يناضل الفنان فى سبيل الانتاج نضالا يوميا واقعيا . **انه جهاد عنيف طويل ، يدور فى ميدانين لا فى ميدان واحد : جهاد ضد النفس ، وجهاد ضد الآخرين . أما الأول ، فهو هذا الصراع الأبدى الذى لم يتغير ولن يتغير ، وأما الثانى فهو صراع الظروف الخارجية ، والأحداث المضادة ، وأحوال المجتمع التى تعترض طريق الفنان** . لقد انتهت المعركة الثانية ، وانتصر فيها « بول باشير » ، ولكنه مازال نهبا لقلقه العميق ، وما زال يجاهد نفسه !

وهذا القلق هو آفة السعادة ، يطغى عليها ويهددها . أين تلك السعادة الراسخة ، المتينة ، الثابتة ، التى ينشدها الانسان ؟ انما هناك عدو خفى ، متقلب ، متحفز ، يبرز أمام الفنان من حيث لا يدرى ليفسد عليه فرحة النصر ، ويقطع عليه نشوة الرضا . كل لوحة يرسمها المصور ، أو كل صفحة يدبجها الكاتب ، تضع السعادة موضع الشك . غير أن شيئا من اليقين يلوح فى خاتمة الكتاب ، ويبدو على « بول باشير » أنه أطمأن واستقر على حال .. ولكن الى متى ؟ هذا ما لا نعلمه .

وفى الكتاب الى جانب هذا المعنى الدقيق ، معنى آخر كبير ، يتمثل فى حب « ايزابيل » ، فهى مصدر الأمل الوطيد

الذى يفزع اليه « بول باشير » كلما أحس أن عالمه ينهار .
و « ايزابيل » شخصية مؤثرة ، لعلها لا تمتاز بالذكاء – وما حاجتها الى براعة العقل وهى مرهفة الحدس ، خالصة الحب؟ ان الحب فى قلبها كالايمان الذى لا يستعصى عليه شىء .
وبفضل حبها يستطيع زوجها الاقدام والصمود ، ويخوض المعركة تلو المعركة ، ويستروح السلام الذى عز عليه !

الباب المردود

LA PORTE RETOMBÉE

تأليف : لويز بيلوك

(Par Loiuse Bellocq)

وفازت بجائزة « فيمينا » الكاتبة « لويز بيلوك » .
وليس موضوع قصتها « الباب المردود » موضوعا جديدا ، بل لقد طرقه الكثيرون ، على أثر « فرانسوا مورياك » : الذى أبدع فى رواية قصص العائلات الثرية من أهل «بوردو» . وهذه أسرة « لومون » ، قد عبث الزمن بأولادها الأربعة ، فمات «ميشيل» صريعا فى مقتبل شبابه ، واستبد الشراب والفراغ بالأخ الأكبر «ماكسيم» وبالأخت الشقراء «مادلين» ، وباتت الأخت الأخرى – « مونيك » – تحت امرة ابنتها المستبدة « ميشلين » . ثم بيع بيت العائلة الكبير ، فعاد من أبقت عليهم الحياة – أى الأخ والأختان – لاخلاء الغرف من الأثاث القديم . ويالها من ذكريات غامرة ، ملؤها اللوعة والأسى ، تنبعث من كل ركن ومن كل جماد هناك .. !

وتتجلى براعة الكاتبة فى انتقالها المرن من الحاضر الى الماضى ، ومن الماضى الى الحاضر ، دون أن تشعرنا بالتعقيد الذى يقتضيه تعقب أربع شخصيات متباينة . فلكل من هؤلاء الاخوة – الذين تجاوزوا سن الخمسين – جاذبيته الخاصة ، وشقاؤه ، وملحمته مع الدهر ، وناحية ضعفه التى يؤتى منها فلا تقوم له قائمة . وكأن أبواب ذلك البيت

العتيق تغلق بابا بابا على الآمال التى خابت ، و الهزائم التى حلت ، فيحدث صفقها المدوى قرعا شديدا تهتز له نفس القارىء ، ويرمز الى ضربات القدر .

والطريف فى هذه القصة تنوع التصرف فى سياقها بشتى وسائل العرض ، وجمال أسلوبها ، وصفاء لغتها ، ومسحة من الشعر النبيل الحزين ، تؤلف فيها بين لمسات الواقع وهمسات الأحلام .

أخبار أدبية :

• **أخرج** « جان لويس بارو » مسرحية شكسبير الشهيرة «يوليوس قيصر» اخراجا رائعا تتجلى فيه روح الأمانة والفهم العميق للمؤلف . وقد قارنت بعض الصحف بين أحداث «يوليوس قيصر» والأحدث الخطيرة التى أحاطت وتحيط برياسة « الجنرال دى جول » . . !

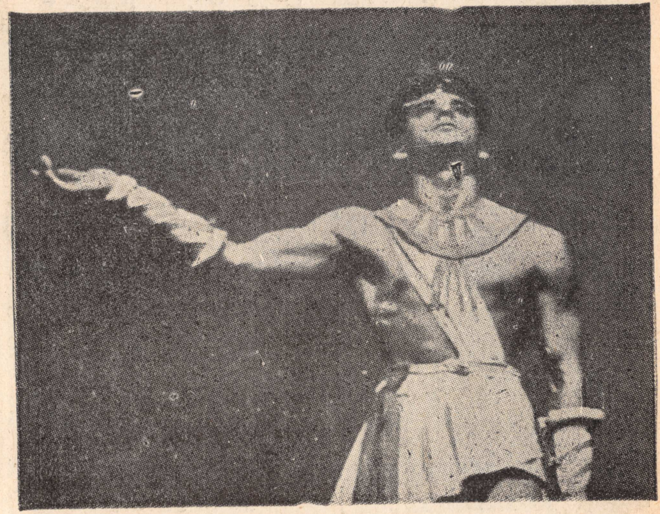
• **على** أثر فوز الشاعر الفرنسى «سان جون بيرس» بجائزة نوبل ، نشرت الـ «نوفيل ريفو فرانسيز» ـ وهى المجلة التى تفخر بأنه من كتابها ـ تعليقا تبين فيه



الممثل الفرنسى الشهير « بيير بلانشار » فى دور « يوليوس قيصر »

ان فرنسا وان تفوقت فى الادب الا انها متخلفة فى ميادين العلوم ، بشهادة جوائز نوبل نفسها . وأوردت احصائيه تثبت وقوف فرنسا فى الطب عند المرتبة الثالثة والعشرين وراء الولايات المتحدة ، وفى الكيمياء عند المرتبة الخامسة عشرة وراء ألمانيا ، وفى الطبيعة عند المرتبة العاشرة وراء انجلترا .

• **والجديد** فى دار الأوبرا هو اخراج «الملك داود» تحفة المؤلف الموسيقى السويسرى « أرتور هونجر » الذى توفى أخيرا . وهى مجموعة من اللوحات الحية يبلغ عددها احدى وثلاثين ، مقسمة الى جزئين ، ومادتها مستوحاة من أسفار الكتاب المقدس . ويتتابع فيها التمثيل والانشاد الفردى



الملك داود فى قمة مجده ، كما يصوره الممثل «أتيليو لابيس» فى اوبرا (الملك داود) التى تمثل الان على مسرح اوبرا باريس

والجماعى ورقصات الباليه التعبيرية . وقد كتب النص المسرحى الشاعر السويسرى « رنيه موراكس » ، وفرغ « هونجر » من اعداد موسيقاه التصويرية فى شهرين . ومثلث « الملك داود » للمرة الأولى بمدينة « لوزان » سنة ١٩٢١ ، وبها طارت شهرة « هونجر » وهو فى التاسعة والعشرين من عمره . وأما « الأوراتوريو » المعروف بنفس العنوان ، فقد استمده « هونجر » فى العام التالى من عمله هذا بعد ايجاز المشاهد التمثيلية ، واستبدالها بصوت راوية يصل بين الأجزاء السمفونية وألحان المنشدين . وقد التزمت أوبرا باريس بنص المسرحية الأولى ، وخلعت عليه ثوبا فنيا فخما .



النجمة الفرنسية « سيمون تورك » فى دور « بتشبع » وهى تستقبل مبعوث الملك داود (وفى التاريخ انها تزوجت من الملك داود فيما بعد)

• **أقبل** المثقفون على مشاهدة الفيلم اليابانى الجديد « الوكيل سانشو » . وأبدوا أشد الاعجاب بفن مخرجه « كينجى ميزوجوشى » الذى توخى التعبير عن المعانى والحالات النفسية بأقصى ما يمكن من بساطة الوسائل . واستمد من مناظر الطبيعة الصامتة جمال اللوحات المرسومة ، دون أن يقحمها على الموضوع أو يجعلها دخيلة على تطور القصة ، بل هى تبدو لازمة فى كل مرة ــ بما تبعثه أشكالها من ايحاء ورموز فضلا عن كونها الاطار المباشر للأحداث ــ لتترجم عما يدور فى نفوس الشخصيات ونفوس المتفرجين معا . . لماذا لا تعرض دور السينما لدينا هذا الفيلم العالمى ، أو ما كان فى مستواه ؟

من الكتب العربية

نحو مدارس أفضل

تأليف الباحث التربوى : « كيمبول وايلز »
ترجمة : فاطمة محجوب
مراجعة وتقديم : احمد زكى محمد
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

عرض وتعليق : محمد سليمان شعلان

كان من أبرز ما وجهت اليه البحوث التربوية عنايتها فى السنوات الاخيرة تحديد مفهوم الاشراف التربوى ، والأسس التى يقوم عليها ، والاساليب المختلفة التى يصطنعها المشرفون ، أيا كان مستواهم أو مسمياتهم الوظيفية ، وأثر ذلك فى تحسين عملية التعليم والتعلم .

والمعلم فى أية مدرسة من مدارس مراحل التعليم يعتبر

الركازة الاولى فى عملية التعليم ، ولذلك اقتضى أمر اعداده وتأهيله للتدريس تزويده بالدراسات التربوية والنفسية ، وطرق تدريس المواد ، الى غير ذلك من المواد المهنية التى تتطلبها مهنة التدريس .. ذلك لان عملية التدريس والتعليم عملية ابتكارية على مستوى عال . أو بعبارة أخرى **أصبح المجتمع ينظر الى التدريس على أنه فن ومهنة ، شأنها فى ذلك شأن المهن الفنية الاخرى كالهندسة والطب والمحاماة** ... الخ . ولكن المدرس مهما طالت مدة اعداده ، ومهما زود بالقدر الكافى من العلوم التربوية والنفسية ، فانه فى حاجة الى تنمية مستمرة أثناء الخدمة . فالعالم المحيط به دائم التغيروالتطور ، والعلوم نفسها بصفة عامة ، والعلوم التربوية والنفسية بصفة خاصة ، فى حركة تطور وتغير مستمر ، وهذه التغيرات فى العالم وفى العلوم تستوجب انعكاسات معينة على عملية التعليم وطرق التدريس .

هذا **والمعلمون** أنفسهم يختلفون فيما بينهم من حيث القدرات والخبرات والميول ، ومن حيث مستويات الاعداد ، والرغبة الذاتية فى تطوير أنفسهم بأنفسهم بما يمكنهم من ملاحقة وتتبع التطورات فى النظريات التربوية وطرق التدريس بالمستوى الذى تطمئن اليه السلطات التعليمية من حيث تحقيق عملية التعليم بشكل أفضل .

والتلاميذ بالمدارس يختلفون فيما بينهم أيضا من حيث القدرات والميول والخبرات ، الأمر الذى يستوجب على من يقوم على أمر تعليمهم وتربيتهم أن يوجه نموهم نحو الأهداف

التربوية الصحيحة ، كل بحسب استعداداته وقدراته ، حتى يجعل منه فردا يستطيع أن يوائم بين نفسه وبين مواقف الحياة التى يواجهها .

فى ضوء كل هذه الحقائق تظهر الحاجة ماسة الى « الاشراف التربوى » على المعلمين بالمدارس ومعاونتهم على تحقيق نوع أحسن من التعليم لمواطنينا الصغار ، والاتجاه نحو ايجاد مدارس أفضل .

ولكن من أين يأتى هذا الاشراف ؟ .. هل يأتى من جانب المدرس نفسه ؟ أم يأتى من جانب الناظر ؟ أم يأتى من جانب المفتش ؟ أم من جانب مدير التعليم بالمنطقة ؟

وما هى طبيعة هذا الاشراف ؟ .. هل هو اشراف يوجه الى كل معلم على حدة ؟ أم هو اشراف يوجه الى مجموعة مدرسى المادة المعينة بالمدرسة ؟ أم هو اشراف يوجه الى هيئة التدريس عامة بالمدرسة ؟

وما هى وظيفة هذا الاشراف ؟ .. هل هى معاونة المعلمين على التدريس بطريقة أفضل ؟ .. هل هى محاولة لخلق قيادة تربوية واعية ؟ .. هل هى محاولة لتحسين البرنامج التعليمى التربوى بالمدرسة ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها حاول بعض المربين أن يعالجوها فى ضوء فلسفة التربية الحديثة. والكتاب الذى نعرف القراء به اليوم « نحو مدارس أفضل » محاولة ناجحة لتعريف من يقومون بمهمة الاشراف التربوى بمسئولياتهم فى هذا الميدان .

والكتاب يقع فى أربعمائة واثنتين وسبعين صفحة ، ويشتمل على خمسة عشر فصلا ، **يتناول الفصل الأول** منها ماهية الاشراف وتطور مفهومه ، ومن هو المشرف ، فيعرض كيف كان الاشراف فى يوم من الأيام يركز الاهتمام على توجيه المعلمين والاملاء عليهم بما يجب أن يفعلوه ، ثم التفتيش عليهم ليرى المشرف أيتبعون ما تلقوه من توجيهات ، أم أنهم يضربون بها عرض الحائط ، وكيف أن هذا المفهوم قد تطور بعد ذلك الى تركيز الاهتمام على « الاشراف الديمقراطى » الذى يعنى معاملة المعلمين برفق وعطف ، وفى الوقت ذاته يتجه بهم لأن يفعلوا ما يريدهم المشرف أن يفعلوه على طول الخط . ثم الى فهم الاشراف على أنه « مشروع تعاونى » يستهدف أن يقوم كل الأفراد فى المجتمع المدرسى «بالاشراف» بعضهم على بعض بقصد تحسين عملية التعليم والتعلم ، وبهذا المعنى يكون عمل المشرف هو أن يسهل على الأفراد اشراف بعضهم على بعض .

ويتناول الفصل الثانى وظيفة المشرف ، فيحددها على أنها لا بد وأن تتجه بصفة أساسية الى تحسين موقف التعلم عند الأطفال . والاشراف على هذا النحو فى رأى المؤلف نشاط ذو غاية ، يوجد من أجل معاونة المعلمين على أداء وظيفتهم بطريقة أفضل . وطريق المشرف الى ذلك هو معاونة المعلمين على بذل جهدهم كاملا بالتغلب على ما يصادفهم من عوامل تحول بينهم وبين الانتفاع بمهاراتهم وقدراتهم .

والمشكلة الاساسية التى تواجه المشرفين كما يراها المؤلف

هي كيفية استكشاف طرق العمل التعاونى داخل هيئة التدريس ، اذ أن التدريس هو حصيلة مجموع خبرات المدرس، ولتحسين عملية التعليم ينبغى أن يوفر الاشراف ما يأتى :

١) القيادة التى تنتج برنامجا مدرسيا موحدا ، والتى تهىء بيئة خاصة للمدرسين جميعا .

٢) نوع الجو الانفعالى الذى يتقبل الجميع فيه ، ويشعرون أنهم جزء منه .

٣) الفرص للتفكير والعمل الجماعى المنتج .

٤) الاجراءات الادارية التى تعطى المدرس ثقة بالنظام المدرسى .

ثم تناولت فصول الكتاب بعد ذلك ابتداء من الفصل الثالث حتى الفصل الرابع عشر معالجة تفصيلية لجوانب «المهارات الاشرافية الأساسية» وهى : «المهارة فى القيادة» ، « المهارة فى العلاقات الانسانية » ، « المهارة فى العمل الجماعى » ، « المهارة فى ادارة الموظفين » .

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم فى الاشراف تقسيم صناعى ، فان المؤلف قد لجأ اليه بغرض التحليل وحده .

وتناول الكتاب فى الفصل الخامس عشر منه ، وهو الفصل الأخير ، بحث موضوع « مستقبل **الاشراف** » ، موضحا بعض الأخطاء التى يقع فيها المشرفون وهم يقومون بعملية الاشراف وأنها تأتى نتيجة لأن من كانوا يتولون وظائف الاشراف (النظارة) كانوا يعملون على أساس من افتراضات خاطئة تتصل بطبيعة البشر ، والجماعات البشرية ، وتبادل الافكار ، والتعلم . ولخص المؤلف أهم هذه الافتراضات فيما يأتى :

١) تولى مركز الرياسة يخول لنا القيادة .
٢) الاخلاص يكون للأشخاص لا للمبادىء .
٣) ضرورة تكيف أعضاء هيئة التدريس للرئيس .
٤) المشاعر ليست بذات أهمية .
٥) الادارة هى اتخاذ القرارات .
٦) يمكن الابقاء على الأمور كما هى .
٧) فى استطاعة الرئيس أن يحدد لموظفيه مشكلاتهم .
٨) الناس ينمون وينضجون بالتوجيه .
٩) يمكن ارغام الناس على أن يكونوا ديمقراطيين .
١٠) ما يحدث بين الرئيس وأحد مرءوسيه انما هو مسألة فردية .

ثم انتقل الكتاب بعد ذلك الى معالجة نوع بيئة العمل التى يجب أن يسعى المشرف الى ايجادها حتى نضمن للاشراف التربوى مستقبلا أحسن يأمل الناظر أن يصل منه الى تحسين التعليم وترقيته . ومن بين المقومات التى ساقها المؤلف لتهيئة هذه البيئة ما يأتى :

- أن يعرف كل عضو قيمته وقدر غيره .
- أن يوجد اهتمام عميق بشعور كل فرد ورفاهيته .
- أن يشعر كل عضو من هيئة التدريس بأنه ينتمى للجماعة .
- أن يثق المدرسون بعضهم ببعض .
- أن تشترك الادارة المدرسية فى اتخاذ القرارات فى حدود السلطات المخولة لها .

• أن يشترك كل من ستؤثر فيهم سياسة المدرسة ، فى رسم هذه السياسة .

• أن تزداد مقدرة كل عضو من أعضاء هيئة التدريس على التوجيه الذاتى .

• أن تعتبر الآراء ملكا للجميع .

• أن يكون الولاء للمبادىء والقيم لا للاشخاص .. الخ .

وأخيرا فان هذا الكتاب يعد بحق الأول من نوعه فى المكتبة العربية ، ويمتاز فى تأليفه بالاتجاه العملى الناجح فى تناول المشكلات التى تتعلق بالاشراف التربوى ، فهو يبسطها للمشرف بسطا واضحا ، ويمهد له الطريق للتغلب على ما يصادفه من صعوبات ، ويبصره بأسس الاشراف التربوى وفلسفته وأهدافه ، ويرسم له الطريق لاتباع أساليب الاشراف بنجاح مما يجعله مرجعا لاغنى عنه لكل من يقوم بعمل المشرف سواء أكان ناظرا أم مفتشا أم مديرا للتعليم ، لاسيما وأنه جاء نتيجة خبرة طويلة للمؤلف ، ومعززا بالأمثلة المستقاه من كثير من البحوث التى أجريت على مدارس من مستويات مختلفة . وكتاب « نحو مدارس أفضل » يعتبر فوق كل ما سبق من أمهات المراجع القليلة فى ميدان الاشراف التربوى التى لا يستغنى عنها طلاب البحوث العلمية والدراسات العليا التخصصية .

ضاق نطاق هذا العدد عن استعراض عدد كبير من الكتب العربية الجديدة التى ظهرت بعد اعداده للطبع ، وموعدنا بها فى العدد القادم باذن الله .


ايديال
ثلاجة ٩ قدم
ثلاجة العمر

مؤسسة فن الطباعة